رواية : بلا عنوان

الكاتبة: إيمان رياني

ما قد ظننته خسارة قد يكون هو بالتحديد الشيء الذي يصبح فيما بعد مسؤولا عن اتمام اعظم انجازات حياتك "

احلام مستغانمي

الوجع اننا نكتب لمن لم يعد هنا حتى يقرأ

اهداء

الى الغائبين دوما...الى البعيدين قربا...الى اللذين رحلوا لا عودة..الى اللذين كان حاضرهم بذرة لشجرة من غياب...الى اللذين يعرفون ان غيابهم خنجر يمزقنا,مع ذلك طعنوا قلوبنا بلا رحمة...الا ترحموننا فتغادروا ذاكرتنا كما غادرتم حياتنا؟...بسلام...دون ان تخربوا عقولنا وتعثوا في ذكرياتنا فسادا...

الى اولئك المجرمين المحكومين بالاعدام في محكمة مشاعرنا مع وقف التنفيذ ...نحن اولئك المخذولين...المغدورين...المرهقين...الارقين...الساهرين...وقد تعب منا التعب ...نطالب بانشاء محكمة عاطفية ...السنا الاكثر حاجة الى محامين يدافعون عن حق قلوبنا؟

لقد اصبحنا في حاجة الى اللجوء الى مجلس الامن العاطفي من شدة الخيبات التي تلقيناها ممن نحب...الا فرفقا بنا...يا من تسكنوننا !

"الحرمان هو ما يبقي الاخر شهيا...ما يبقيه مرغوبا وما يبقيه استثنائيا مهما مرت علينا السنوات "

-اثير عبد الله النشمي-

قلت لي يومها الايام اتيه ثم لم تسمح لها بالقدوم..اوقفت عقارب الساعة في حياتي على وقع رحيلك ...عزفت تراتيل الوجع على اوتار قلبي حتى اغفوته عليها...قلت لي يومها لا تزالين صغيرة استمتعي بحياتك...لم تكن تعلم ان الانثى لا تنسى وإذا تسببت بوجعها ستدفع ثمن ذلك حتى بعد عقود وسنوات...

كنت ابنة السادسة عشر يومها...اتيتني في فترة جنونية من حياتي وتنتظر مني ان انسى؟

جعلت روحي شجرة خريفية تفقد اوراقها دون المقدرة على تعويض خساراتها.بقيت كل تلك الفترة اصطنع اكاذيب اواسي بها نفسي كي اتمكن من مواصلة الحياة... حاولت اقناع نفسي ان الزمن سيجعلك هباء على دفتر ذكرياتي....واذا به يزيدني جنونا الى لقائك...كان الموت اهون علي من العيش على حرقة الشوق واللهفة للقاء غير مؤكد الوقوع...تطول قائمة اسمائهم اولئك اللذين يغادرون حياتنا تاركين ورائهم كتابا من علامات الاستفهام والتعجب التي نعجز عن ايجاد اجوبة لها...رحلت تاركا في جعبتي كتابا اريد قوله لك...قالت لي احدى صديقاتي انذاك :

"ادفنيه في مقبرة الذاكرة ووواريه تحت ثرى النسيان هو من سمح لنفسه ان يكون نزوة عابرة في حياتك الا يستحق ان تفعلي به كذلك ؟"...اجل كنت تستحق ذلك...لكن القلب لا ينسى اسما نبض لاجله يوما....

كان اليوم الذي يمر دون ان ابكي فيه فراقنا اكره فيه عيناي واليوم الذي يمر دون ان اكتبك فيه اكره فيه قلمي واشعر انني لا اصلح للكتابة...كم كان علي الالتجاء الى النوم من مرة في اليوم كي اقتنع بانني لم اخسرك وابقى سعيدة بوصالك؟ كم كان علي ان اصلي من مرة في اليوم كي ابقى على شعوري بقربك؟ كنت وحدك هدفي ووحدك مستحيلي..

طيلة فترة غيابك بقيت اسال الله ان يهبني لقاء واحدا بك قبل موتي كي افتح عيناي بعد ست سنوات منذ زمن لا تذكره لاراك امامي...اتراك حقا اتيت ام عيناي واذناي تتخيلانك؟ ولم تراه يبعث بك القدر إلي بعد كل هذا الزمن ؟ لماذا اعيد هدر الوقت من حياتي بلا مقابل بعد كل ما مر من وقت؟

انت ذاك الذي ظننت انه لن يزورني ثانية الا في احلامي...بقيت اتساءل طيلة الاسبوع الماضي بعد ان رايتك في منامي ما الذي جاء بك في حلمي بعد كل هذا الغياب؟ ليلتها استيقظت مبهوتة من رؤياك والان فقط عرفت ان ذلك المنام لم يكن الا اشارة على انني سأراك فقط بعد اسبوع...استيقظت تلك الليلة مذعورة ولم تكن تلك الليلة الاولى التي انهض فيها مذعورة جراء منام زرتني فيه لأتفاجئ اليوم برؤيتي لك بعد ان يئست حصول ذلك ونسيت تمنيه وبعد ان لم يعد يهمني لقائك منذ ذلك اليوم...يوم رحلت..ويوم

قلت لك ان لاعودة لك في حياتي ...اجدك اليوم امامي لا ادري أصدفة ام لا في حصة اخبارية تنقل اخبار "داريا" نقلها مراسل الخبار من قلب الحدث الذي كنت تصنعه ببندقيتك وبزتك العسكرية هناك...

اثر النشرة التي قدمتها زميلتي "فاطمة" وكنت فيها انت تتحدث مع المراسلة من الجهة ...اعدت مشاهدة الحصة لا ادري كم مرة...علني اكون اتوهم او اهذي او رأيت أحدا شبيها بك ليس انت...لكن عيناي لم تخونانني..إنك انت ...اجل انت هو....ذلك الحب القديم في قلبي ...ذلك الجرح المدفون في فؤادي الذي ظننته التام ...عادت به الايام لي لتهرق دمائه مرة اخرى...

انت بنفس قامتك ووجهك وملامحك وصوتك ووقفتك تتكلم...تتحرك...في الشاشة امامي ..بعدما ظننت مرارا أن الموت قد غيبك وانك إلتحقت بقوافل الشهداء....

لا ازال اذكر اسمك...اجل اذكر ذلك الاسم الخماسي الحروف الذي كان فؤادي يهتز للفظه او سماعه في فترة من الزمن بعيدة جدا عن لحظتي هذه...بقيت اكثر من ساعة اشاهد نفس المقطع ونبرة صوتك تكاد توقف قلبي رعشة وتكاد اعصابي تنهار صدمة بسماعها ....انك انت ! لست مخطئة ولست اهذي...لكن لماذا اتيت ؟ لماذا الان؟ لماذا هنا؟ لماذا بعد هذا الوقت ؟ وفي هذا المكان ؟ اصدفة اتيت ام تعمدت ذلك؟ ماذا اقول انا وماذا اهذي؟ انك لم تاتي لانك لم ترحل...وهل غبت يوما عن قلبي ؟ لا اذكر ولا يذكر قلبي لحظة غياب لك شهدها بين نبضاته...

الان ياتي بك الزمن الي اشبه بغرض قديم اخرجه لي من صندوق الماضي ذاك الذي لطالما خفت فتحه وتجنبت القيام بذلك ...هل اتجنبه اليوم ايضا؟ ام ماذا عساني افعل؟

هل ان الزمن احبني واراد ان يسعدني اخيرا بعد كل عذاباتي التي كاد يبكي لها ورقي؟

وهل لي ان افرح بعد خسارتك كل هذا الوقت؟ ماذا افعل؟ وما عسى المرء ان يفعل عندما تضعه الحياة في موقف كهذا ؟ وهل اصعب من ان يعود لنا الزمن بشيء لطالما حلمنا باكتسابه وحرمتنا اياه الحياة ...لا ندري اليوم امازلنا نريده ام لم يعد يعنينا؟ انفرح بعودته ونعوض على حرماننا منه ام نابى ؟ وهل ننجح فيما فشلنا فيه منذ زمن؟ وهل لنا ان نسعد بشيء جاء متأخرا واكستبناه بعدما نسينا اننا اردناه يوما؟ وهل لك ان تذكرني اذا رايتني ؟ وهل تسعد اذا التقيت بي؟ او تراك تريدني؟ او تراني اخرج لمرتي الثانية خاسرة؟ واذا حدث؟ ايكفيني شرف المحاولة؟ لماذا ينتابني كل هذا الحماس؟ لماذا كل هذه الرعشة تهز اطرافي ؟ وكل الصور التي ظننت انها احترقت في ذاكرتي عادت؟ مالذي فعلته بي رؤيتك؟ او تراني اندم اذا فعلتها؟ او تراني القى منك خيبتي ثانية؟

قامت من امامي الكمبيوتر وقد اتخذت القرار ...ذهبت نحو قسم الاخبار...

- مرحبا شباب

- مرحبا اماني

- شباب هل بامكانكما مرافقتي الى سوريا لمساعدتي بتصوير حصة تلفزيونية؟ اريد القيام بتحقيق صحفي هناك بمناسبة عيد الجلاء...سنتغيب يوما كاملا عن القناة اموافقان؟

-عيد الجلاء؟ ألاترين ان ذلك متاخر وقد مر هذا العيد منذ شهر نيسان؟

- اعلم لكن لاباس سنصوّره تزامنا مع ما يحدث لنمزج الاحداث بين الماضي والحاضر...

- اجل بامكاننا ذلك...لكن اليس عليك اعلام رئيس التحرير واخذ ترخيص منه؟

- لا لا اريد اخباره لاجل الا يرفض ...هل سترافقانني ام لا؟

- طيب أي مكان ستزورين؟

- ساذهب الى "ادلب"

- ماذا؟ادلب؟ لكنها جبهة ساخنة ...هل سيسمح لك الجيش بلقاء معه اثناء المعركة؟

- لا ادري لست متاكدة لكن علي المحاولة ...لطمئنا لست اخاف صوت الرصاص.

- لم نقل ذلك..نعلم جيدا ان نساءنا لا تهبن الموت...لكن كيف لنا الخروج دون اعلام رئيس التحرير؟ هل تدرين ان في ذلك خطورة على مستقبل عملنا في هذه القناة؟

- انا لا اريد اخباره كي لا يمنعني وانا مصرة على الذهاب حتى لو رفض هو ذلك ...هل ستذهبان معي ام لا؟

- لا يمكن لنا ان نتركك لوحدك سنفعل.

- شكرا ..اذن انا عائدة الان الى البيت غدا سآتي الساعة السادسة صباحا الى القناة هل اجدكما جاهزين للذهاب؟

- باذن الله سنكون هنا بانتظارك.

- اتفقنا..تصبحان على خير..انا ذاهبة.

- تصبحين على خير.

حملت حقيبة يدها السوداء ونزلت الدرج بعد ان هدأت اعصابها وجف تعرقها..لكن لم يذهب اثر صمتها على قلبها وعقلها بعد ...

ركبت سيارتها عائدة الى بيتها ولم تصدق ما حدث معها في يومها هذا...اتراها بمنام ستستيقظ منه عن قريب ام انها حقا تعيش ما تراه ؟ بعد نصف ساعة في الطريق وصلت لبيتها منهكة وهي تنتظر بلهفة لا

تقاس بوحدة متى ستاتي ساعة ذهابها اليه ووقوفها امامه...اتراها تنجح في ذلك ..اتراه يغير موقع المعركة قبل ان تصل اليه ...سهرت ليلها تدعو ان ان يكون لقائه من نصيبها علها تشفي غليلها بعد كل هذا الوقت...حتى نامت وهي تعد اللحظات الفاصلة المتبقية قبل الذهاب...

استيقظت صباحا كمذعورة ...اسرعت بقدر استطاعتها كي تنطلق باكرا وتصل باكرا...كانت الساعة السادسة صباحا امام القناة بانتظار زميليها للذهاب...حتى جاءا...وقالا :

- صباح الخير اماني

- صباح النور شباب..كيف انتما..

- الحمدلله

- امستعدين؟

- اجل

- لستما خائفين او نادمين اليس كذلك؟

- لا طبعا.

- اذا كنتما كذلك فانا اسمح لكما بالذهاب وساغادر لوحدي.

- لا لسنا كذلك ابدا بالنهاية لا يمكن لنا ونحن زميليك ان نتركك تزورين ساحة المعركة لوحدك بلا مرافقة.

- شكرا لكما..هيا اذن.

ركبوا السيارة وانطلقوا من ارض الجنوب نحو الشام نحو "ادلب" الارض التي يقاتل عليها...

...

الجزء الاول

"إننا عندما نحب....نريد بذلك دائما ان نكون افضل مما نحن عليه"

باولو كويلو

هي في طريقها اليه ..بعد فراق ست سنوات ..تقود سيارتها ..تمتطي اليه خيول لهفتها بنهم جائع في طريقه نحو وليمته...بسرعة جنونية يذهب قلبها اليه بعد عشق عاشت على مواصلته بغياب صاحبه ..تذهب اليوم الى ذاك الذي اطفا نار اللهفة ببرودته ..تحاول استرداد كرامة قلبها ..تقود ولاتدري ماذا يحصل بداخلها...اتراه حبها من يخطو بها نحوه؟ام ان لحظة الانتقام قد دقت؟...بعد ان يئست لقاءه ولمرة واحدة بعد ذلك الفراق...ما الذي تراه يبقيها على شوقها اليه بعدما فعله بروحها وقلبها غير سائل عنها؟ اتراها تركب طريق شوقها ام جنونها؟ وهي تدري انها ترتكب شيئا لا يجب لها ان تفعله...اهي من تسير نحوه؟ ام ان قدرها هو من ياخذها اليه؟

"اثر غيابك...كان الكل يراوغ قلبي ...لكنني جهزت لاجل الوفاء اليك جميع اسلحة الهجوم وخطط الدفاع لانني لك وحدك حتى وان لم تكن تريدني...اثر خسرانك لم يعد للي شيء اخسره او احد اذرف على غيابه الدموع...فهنالك اناس بخسارتهم تموت حياتنا ولا يبقى لنا احد نخاف خسارته بعدهم...على غيابهم تصبح حياتنا بلا طعم واجسامنا بلا ارواح...نبقى نحيا على ذكراهم وهم لا يعلمون...من تراه يعوضنا عن عمر لم نمنحه لانفسنا ولا اعطوننا اياه؟ من سيعوضنا عن حياة مرّت بدونهم؟

كنت اناجي الرياح لتحملني اليك....لاراقب حركاتك وخطواتك سرا...كان خوفي عليك يقتلني وانا اطلب الله معرفة اخبارك....

كنت ألجأ الى النوم هربا منك محاولة لنسيانك فتفزعني بزيارتك لاحلامي...كنت اتساءل اتراك تطاردني؟...ألست من طلب رحيلي؟

كنت كلّما دعوت لك ظن الجميع اجتماعنا ولست افعل ذلك الا لان نسياني يخونني في كل مرة...

كان فراقك طريقا من جمر جعلتني امشي فيه حافية كل هذا الوقت...فالحب كسيجارة نستمتع بتعاطيها واثر نفاذها وبدل ان نطفئها وننسى اننا استهلكناها نظل نؤجج نارها في قلوبنا باسترجاع ذكراها...وكيف لنا ان نقاوم اشتياقنا لصور لم تعد بحوزتنا؟...

لم تعلم قط انك اول من ابكاني رحيله ولم اتعود بكاء الراحلين ...ان كل ذرة عذاب شعرت بها في غيابك هي خطيئة لك...كيف تراك تلاقي الله يوما؟

اين مفرك من الحساب واين مفر قلبي من اخذ قصاصه؟

انا انثاك سيدي...انا تلك التي رحلت دون ان تدري انك بعثرت كيانها برحيلك ذاك...انا التي دخلت اعماقها غازيا وخرجت منها قاهرا مستبدا لكنني اليوم لم اعد تلك الصغيرة الضعيفة التي ترجتك البقاء ولم تفعل...انا تلك العاشقة الناقمة التي اتت كي تقتلك حبا...انا تلك القادمة من زمن بعيد ربما لا تذكره.. بعد ان صنع مني الوجع مبدعة اتيت لابدع في إيلامك...بعد ان اضحى فؤادي اشلاء متناثرة جراء قنبلة حب وقعت عليه في لحظة غفلة ...وبعد ان سرقت الحياة مني نبضات وانفاس ...بعد ان امتص الزمن صميم روحي على مهل اتيت...

انت الذي سرقت عمري حبا واخذت مني عمرا وانفاسا وقلبا كانوا لي يوما ما....فأهديتهم اياك بلا مقابل...اليوم اتية كي اجعلك ترجوني سيدي" !

كانت السيارة تسرع كعدد نبضات قلبها والطريق مرصع بالحواجز العسكرية التي جعلت الوصول اطول ...من الجنوب الى ادلب...وصلت اخيرا...وهي لا تفكر بشيء غير رؤيته وما سيصيبها اثر ذلك....اتراها تقدر على الوقوف امام من احبته ولم تحظى برؤيته لعقد من الزمن؟

اتراها تعود تلك النبضة التي تحرك قلبها كلما وقعت عيناها على وقفته كما كانت سابقا؟اتراها تسافر بتفاصيله الى ذاك العالم الذي لا تفقهه كما كانت تفعل سابقا؟ اتراها تفتتن برائحته الذكورية التي تركع امامها انوثتها في كل مرة تراه ؟ اتراها تراه اصلا؟ايمكن لحظها ان يغدرها فتصل وتجده قد غادر تلك الجبهة؟ ويا ويل قلبها اذا حدث معها ذلك!

قضت الطريق كله تسال نفسها عشرات الاسئلة..تسترجع ذكريات...تستشرف احداثا..تتوقع لقاءات...قد لا يحصل منها شيء ولكنها باقية على امل لقائه والوقوف امامه وسماع صوته ولو لمرة واحدة اخرى قبل انتهاء حياتها...وهي تدري ان الحياة فرص ثمينة علينا الا نضيع احدها وهي الان امام فرصة لم تحن الا بعد سنين...لذا يجب عليها انتهازها قسرا...اقتربت السيارة من داريا بعيد سويعات وقد بدئوا سماع اصوات الرصاص والصواريخ المنبثقة من الدبابات...

قال منتظر: ألم يكن الاجدر بك ان تنتظري ريثما تهدا هذه المنطقة او تقومين بزيارة منطقة اخرى؟

ايهم : اجل معه حق ...كان علينا الذهاب الى منطقة اخرى اولا تسمعين هذه الاصوات؟

واجبنا المهني يستدعي منا المخاطرة ومن خاف منكما فليعد ادراجه اما عني فلن اعود مهما كلفني الثمن.

ايهم:هيا فلنذهب

اخذ الشباب بكاميرا التصوير وانزلت اماني الميكرو وإتجهوا نحو عناصر الجيش مرة ركضا ومرة مشيا بحذر ...

كانت تركض نحوه ولا تبحث بعينيها عن احد غيره وسط ذلك الجمع من الجنود...راته فجاة فكاد قلبها يقع لوقع عينيها عليه..اصيبت برعشة في قدميها سرت في بقية اطرافها حتى لم تعد تقوى على الوقوف وكادت تقع ...قال منتظر : اماني ما بك؟

اجابت بسرور:

-لا لا شيء فقدت السيطرة على قدمي هيا بنا يا شباب.

تقدمت نحوه حتى وجدت نفسها امامه فهمت بتكليمه...وقفت تنظر اليه وتتفرس في ملامح وجهه وقد بدا عليها التعب وعبث بها الزمن حتى ارهلها وذهب بقليل من بريقها وشبابها.وقفت تتامل عيناه ..تتحسس قربه..تتقدم نحوه بكل ما بحوزتها من شوق....ثم قالت بفرح اخفته – مرحبا.

قال: اهلا

-انا اماني صحافية من قناة "على الهواء" اتيت اليوم وزميلي بهدف تصوير برنامج سيعرض قريبا عن الجيش العربي السوري وعن انتصاراته الحالية والتاريخية وقد اردنا ان نسلط فيه الضوء على وضع الجنود اليوم ونطلب مساعدتك ومن معك. ايمكن لنا ذلك ؟

-اجل طبعا.

-وجهت الى فمه الميكرو لاخذ المعلومات منه او ربما لسماع صوته...هي لاتدري بالضبط...ماذا تريد من هذا اللقاء وماذا تفعل لتوها ... اهي على صواب ؟ حاولت ان تتمالك نفسها وتتغلب على خوفها من المكان وصدمتها من لقائه...انتابها شعور لم تفهمه ولا احست بمثله يوما في حياتها....بقيت تحاول الصمود امام لحظتها تلك والوقوف وكان لا شيء يحصل معها..هي الان بصدد تصوير برنامج عليه ان ينجح وعليها الا تفكر بشيء غير ذلك ...راى قدماها ترتعشان فسالها:

هل انت خائفة ؟ اصوات الرصاص والقذائف قوية في هذه المنطقة الساخنة لان المعارك عنيفة هنا والحرب على اشدها ...ما كان يجدر بفتاة مثلك ان تاتي الى هذه المنطقة.

انا لا اهاب هكذا اصوات ... لا تظن انني ضعيفة لاني فتاة...انا جنوبية ابنة حرب ونحن بنات الجنوب كما تقولون انتم في الشام " اخوات رجال"

ابتسم في عينيها وقال : يا هلا باخت الرجال

بادلته ابتسامته وقد توردت وجنتاها وسرى وقع سماع صوته وكلماته في بدنها فحرك فيها شيئا لم تفهمه....هي كعادتها امامه لا تعود تعرف نفسها ....تقراه وتنسى قراءة نفسها....قدماها ترتعشان امامه وهي تبذل جهدا لتبقى على الوقوف في الحين الذي يكاد قلبها يقع تاثرا بنظرة ثاقبة منه رمقها بها...وهو

يظن ان رعشتها وشهقات صوتها وتقطع كلماتها من شدة خوفها من المكان....انما كل ما يحصل لها من وطاة لقائه عليها...

مرت ساعتين وهو يعرفها على المكان وحياة الجنود فيه...وهي كعادة الصحفيين تسال الجنود عن اوضاعهم ...حياتهم...عيشهم...واهلهم...ووقتهم...الذي يكرسونه لحماية الارض والعرض وهي لا تهتم بشيء من التفاصيل التي حولها ...دبابات...اكياس رملية يحصن بها الجنود مواقعهم وهم ممسكين باسلحتهم لساعات في مكان شديد الخطر...وهي لا ترى شيئا من ذلك غيره والفرح يكاد يغمي عليها....والخوف يكاد يقتلها في ان.....وبقيت كذلك حتى اكملت لقائها معه...مدت يدها لمصافحته وقالت... : شكرا جزيلا على مساعدتك علينا المغادرة الان واجدد تحيتي لك ولمن معك...الله ينصركم.

تسلمي...شكرا لكم واحذروا في طريق عودتكم ...في حفظ الله

شكرا جزيلا...في امان الله.

مد يده لمصافحتها فأحست بحرارة تسري في بدنها وبادلته المصافحة:

مع السلامة شباب شكرا كتير...يلا شباب صار لازم نروح.

هيا.

اتجهوا نحو سيارتهم ليركبوا ويغادروا المكان ولم تكن هي تريد ترك ذلك المكان على خطورته...قال منتظر : اماني فلتجلسي بجانبي انا سأقود السيارة علينا الخروج سريعا من هذا المكان.

ركبت ولاتزال قدماها ترتعشان تاثرا بلقائه وليس خوفا من المكان...لاتزال ليست بمصدقة بانها قد راته وصافحته ووقفت امامه وسمعت صوته ونظرت في عينيه وكلمته واشتمت رائحة البارود على ثيابه...انطلقت السيارة عائدة الى الجنوب...قال ايهم : - افعلت ماتريدين الان ؟

(ضاحكة): اجل شكرا لكما مجددا.

منتظر:

- كيف عسانا نخبر رئيس التحرير الان عند عودتنا؟

- اتركا امره لي ولا تقلقا بشانه...انا من سيحدثه..

وصلت السيارة الى ادلب...عادت ولا تزال غير مصدقة ان يدها قد عانقت يده حقا وان عيناها قد قرتا برؤيته بعد كل تلك الدموع ...اكرمها الله برؤيته ولم يجعل دموعها هباء...

تساءلت في طريق عودتها لماذا قدر لهما ان يلتقيا في ظرف كهذا ومكان كهذا؟ كانت كلما التفتت لا ترى غير الدمار ...اباني محترقة وأخرى مهدومة وحجارة مكومة تفرش كامل شوارع المدينة...

كانت الساعة الثامنة والنصف ليلا والظلام قد خيم على المكان...نزل كل منهم من السيارة ودخلوا مقر القناة...قالت :

مرحبا يا جماعة . ما اخباركم ؟

حسن

اهلا اماني اين كنتم طيلة اليوم ؟ لماذا تغيبت عن عملك ؟

كنت في سوريا

ماذا ؟ سورية ؟ وما الذي اخذك الى هناك ؟

تعلم تتالت انتصارات الجيش في هذه الفترة واردت عرض برنامج من إعدادي عن تاريخ الجيش العربي السوري وبطولاته وحال جنوده اليوم في اشد الفترات صعوبة والتي يمر بها ويقاومها فقمت بزيارة احد اماكن الصراع.

الى اين ذهبت ؟

الى ادلب.

ماذا ؟ الى ادلب؟ كيف فعلت هذا وانت تعلمين ان تلك الجبهة جد ساخنة وخطيرة ولا يزورها ايا كان.

انا لست ايا كان يا حسن تعلم انني صحفية ويحق لي الذهاب على عين المكان والحديث مباشرة لجنود الجيش.

اجل اعلم لكن كان عليك ان تخبرينا على الاقل لنكون على علم باخبارك ... ومن اخذت معك ؟

رافقني ايهم ومنتظر لاجل مساعدتي في التصوير.

لم يكن جديرا بك فعل هذا...كان ذلك خطرا على حياتك وحياة كل من ايهم ومنتظر.

خلص حسن فعلت هذا وانتهى الامر.

على كل الحمدلله على سلامتك.

شكرا ...هل رئيس التحرير هنا ؟ علي الاتفاق معه على وقت عرض البرنامج.

انه في مكتبه...اذهبي اليه ستجدينه لكن حاولي اقناعه بسبب تغيبك دون ترخيص وذهابك لجبهة ساخنة دون اخباره او اخذ مشورته فانه عندما سمع بذلك غضب بشدة وطلب منا ان نخبرك ان تذهبي اليه مباشرة فور عودتك.

لا تقلق بشأنه سأقنعه عن اذنك.

اتجهت نحو مكتب رئيس التحرير ودقت الباب ثلاثا...قال : - تفضل.

فتحت الباب ودخلت اليه وما ان وقفت امامه حتى نظر اليها وصرخ : اماني ؟ ادخلي.

مرحبا سيدي ...سيدي اعتذر عن عدم استشارتك قبل ذهابي لكنني خفت رفضك وكنت مصرة على الذهاب.

اجلسي ...ان كنت تعلمين انك اذا اعلمتني سارفض ومع ذلك ذهبت

لكنني عدت وبخير.

وهل تفكرين بنفسك فقط ؟ اتدرين انك عرضت زميليك للخطر وخاطرت بحياتهما.

اسفة سيدي لكنني والحمدلله عدت واياهما بخير ولم يصبنا مكروه.

لقد كنت انانية وعرضت حياتك وزميليك للخطر وبطريقة جنونية...المهم الحمدلله على سلامتك ان عدتم بخير...لكن لن اسمح لك بتكرار ذلك والا سيكون عقابك شديدا.

حسنا سيدي اعدك بذلك.

اذن ماذا فعلت في سورية؟

لقد قمت بتصوير برنامج يحوي تحقيقا صحفيا عما يجري هناك...هاهو شريط التسجيل سيدي.

حسنا سأراه قبل العرض بامكانك الذهاب الى عملك.

شكرا سيدي عن اذنك.

***

عرض البرنامج على القناة مساء وحقق نسبة عالية من المشاهدة...فرحت اماني بذلك وقد رأت في ذلك فرصة جيدة لمهاتفته بعد ان حصلت على رقمه اثناء التصوير ولم تصدق انه قد فعل ذلك دون ان تطلب ...قال لها " هاهو رقمي ربما تحتاجينني باخذ أي معلومة جديدة ومواكبة الاحداث... انا اشجع صحافية متميزة مثلك "

بقيت تكتب رقمه على شاشة هاتفها وتحدق به..تتردد ...اتتصل به ام تؤجل ذلك ؟

وفيما ستحدثه اذا فعلت ؟ بقيت كذلك حتى تغلبت على ترددها واتصلت ويدها ترتعش ....

اجاب بعد رنتين : الو

مرحبا سيدي انا اماني.

من اماني ؟

انا الصحفية من قناة المقاومة التي قامت بتصوير لقاء معك قبل اسبوعين وساعدتها بمعلوماتك...

اتتذكرني ؟

اجل تذكرت...اهلا بك.

لقد عرض البرنامج وحقق نسبة عالية من المشاهدة واردت ان اشكرك على مساعدتك تلك التي قدمتها لي كان الفضل لك فلولاك لما كان هذا البرنامج

لا شكر على واجب هذا عملي وواجبي عن اذنك.

عفوا سيدي.

تفضلي

لقد قدمت الى الشام لتمضية اجازتي هنا ونزلت بفندق "فور سيزونز "

جد ؟ اهلا وسهلا فيكي

هل بامكاني طلب رؤيتك ؟

اجل انا بدوري قد اخذت اجازة البارحة.

حقا ؟ صدفة جميلة ! اذن يسرني ان التقي بك . اين تريد ان نلتقي؟

اينما اردت

اذا لو لم ترى مانعا نلتقي في مطعم " ست الشام" غدا العاشرة صباحا انشاء الله .

ابامكانك ذلك ؟

ساكون هناك

شكرا عن اذنك

مع السلامة

انهت المكالمة وقد دق قلبها الى لحظة لقاء لم تتوقع لها حدوثا منذ عشر سنوات...اثر ذلك الفراق الذي حطم قلبها بعد ان جهزت جميع الاسلحة سابقا للبقاء على الوفاء اليه اصبح عليها اليوم تجهيز ترسانة من المقاومة لذلك الحب المشتعل بقلبها التي لم تجد السبيل الى اطفائه فبقي يحترق داخلها وابى ان يتحول رمادا ....كانت قد ارتدت ثوبا ابيضا خفيفا تذهب به الى نومها كما وكأنها تذهب الى موتها فهي تريد ان تراه في احلامها شبيهة بما ستكون عليه يوم ستراه في الاخرة في ثوب ابيض...حين تذهب معه الى حيث

لا نهاية ولا وداع ولا فراق ولا حزن ولا دموع ولا بكاء...الى حيث الصفاء الدائم والربيع الخالد والسعادة التي لا تنضب....

خلدت الى سريرها وبقيت تتقلب وهي تفكر بما ستقوله له في الغد ...بما ستسمعه منه ... كيف لها ان تقاوم نظرته؟ كيف لها ان لا تغرق في شعاب صوته الذي يسبب وقعا شاهقا في قلبها؟ كيف لها الا ترتعش في حضرته؟ او تبقي قلبها على نفس نسق نبضاته وهو الذي كلما وقعت نظرته الثاقبة عليها اضحت بحاجة لاعادة ترتيب نبضاتها....كيف لها ان تقف على قدميها وهي تصافحه بعد كل ذلك الغياب دون ان تسقط مغماة؟ كيف وكيف وكيف ومر الليل ولم تنم الا قليله....

استيقظت وقد راته في منام بين يقظتين ...وقد كانت بحاجة الى عتاد تزود به نفسها قبل ان تبدا حربها معه وهي تعلم انها اليوم تغيرت عما كانت عليه اماني الصغيرة المراهقة التي ترجوه البقاء....

هي اليوم تلك العازمة على قلب الاية القديمة بعد ان دججت قلبها بالسلاح اللازم لتقاوم نظرته لتقاوم جاذبيته وفحولته الذكورية القاصمة لشوكة انوثتها .... كانت الساعة التاسعة والنصف صباحا وقد ارتدت ثوبها وركبت سيارتها اليه....كانت الساعة العاشرة وهو الى الطاولة جالس في الزاوية اليسرى من "ارض ديار" في ذلك المطعم الشامي التقليدي "ست الشام" ...دخلت سائرة نحوه وقلبها يهرول....مدت يدها نحوه رفع راسه اليها مبتسما وقد حول سيجارته الى يده اليسرى وهم بمصافحتها وقال:

ياهلا فيكي نورتي الشام ؟

شكرا منورة بأهاليها

شو اخبارك

بخير الحمدلله وانت ؟

تمام تفضلي

الله يزيد فضلك لقد جئت الى الشام في اجازتي هذه لاشكرك على ما ساعدتني فيه اثناء تصويري لحصتي التلفزيونية في البرنامج لقد نجح وحقق نسبة عاليه من المشاهدة وكان لك فضل كبير في ذلك علي

- شكرا جزيلا كان ذلك واجبي
- اراك في اجازة ايضا
- اجل لقد اخذت اجازة منذ البارحة وستبقى لاسبوعين
- وانا اجازتي باسبوعين ايضا
- جيد...كيف وجدتي النوم في الشام ؟

- الليل هنا كانه الجنة لا اشعر ان هناك حرب لقد احاط الله الشام بسكينة ساحرة وجملها بليالي حالمة لا مثيل لنكهتها في مدينة اخرى.

- افهم من كلامك انك تحبين الشام

- اجل كحبي للجنوب لكن زيارتي الاولى لها.

- ولماذا لم تزوريها من قبل اذا كنت تحبينها؟

- ان الاماكن التي نحبها تسكننا لا داعي لزيارتها كي نراها يا سيدي...ربما لم يكتب لي القدر ذلك قبل هذه المرة

- محقة غالبا ما تعيش فينا مدن لا نسكنها ونسكن مدنا لا تعيش فينا

- اجل كثيرا ما يحصل ذلك مع العديدين.

جاء النادل بعيد دقائق ليسالهما باللهجة الشامية :

-تفضلو شو بتشربو ؟

-عفوا لم اسالك ماذا تطلبين ؟

-قهوة

-اعطنا قهوتين من فضلك.

-حاضر.

سالته وهي تعرف الاجابة مسبقا:

- اذن لم تقل لي من أي المحافظات انت ؟

- اللاذقية وتحديدا من "القرداحة" عرين الاسود

- ياعين ! اسمع عن جمال جبال العلويين ولكنني للاسف لم ازرها.

- ساخذك اليها باذن الله.

- انشاالله.

- انا عائد الى القرداحة غدا صباحا ولن ارجع الى الشام الا بعد انتهاء اجازتي.

استاءت من ذلك وقالت وتغيرت ملامح وجهها

- حقا ؟

- اجل .... قولي لي ماذا تريدين ان اجلب لك من القرداحة؟
- تروح وترجع بالسلامة بدي سلامتك بس
- الله يسلمك
- ايعني ذلك انني لن اتمكن من الالتقاء بك ثانية ؟
- لا اعلم

كان مرتديا قميصا ازرق صيفيا وقد ظهر وشام يده اليمنى المعتاد الذي لم يحصل ان سألته ما قصته عندما كانت معه بقيت تتأمله وتتثبت من اصابعه اعلق بها خاتم خطوبة او زواج ام لا ...كانت يداه عذراء ولاشيء يعصم اصابعه اطمأنت لذلك لكنها لم تصدق وهي التي تعرف انه في علاقة عاطفية منذ عشر سنوات تراه ماذا حصل معه في غيابها ؟ تشوقت ان تسأله ولكنها تمالكت شفاهها عن الكلام فلم يحن الوقت لكي يحق لها ذلك...لمن دق قلبه ؟ لمن سلم نفسه ؟ هي جالسة قبالته تتأمله وتفكيرها يدور حول عقد مر من حياتها دونه ومر به اثناء غيابها عنه....

جاء النادل بالقهوة فأخذا يحتسيانها ...اما عنه فاخذ يترشفها بنكهة صباحية وهي تبتلعها بغضب عشر سنوات استفرغ فيها روحها دون علمه .... هو الان امامه والسويعات الصباحية تمر سريعا ....سالها:

- لم تقولي لي كم عمرك؟
- ستة وعشرون
- العمر كلو يارب
- تسلم
- اتعيشين في الجنوب
- انا ابنة الجنوب اللبناني واعيش هناك وعمل كما تعلم صحفية في قناة المقاومة
- اذن انتم م العائلات الجنوبية المقاومة
- اجل ولي اخ استشهد في لحدى المعارك مع العدو منذ زمن طويل.
- قالت ذلك وخافت ان يتذكر شيئا او ان يظن انه قد عرفها سابقا فسارعت لتغيير الموضوع وهمت بسؤاله :
- وانت؟

- انا في السادسة والثلاثين من عمري ولكني لست متزوجا ولا مخطوبا انت كما تعلمين انني عسكري لذلك ظروفي المادية صعبة قليلا كي اقوم بالزواج وتكوين اسرة.

- اجل اعلم...فليكن الله بعونك.

- تسلمي

- مؤكد ان عائلتك دائمة التحدث معك عن الزواج وتطلب منك الاسراع في الامر

- اجل خاصة امي هي منزعجة جدا لانني بلغت هذا العمر ولم اتزوج بعد لكن هذذا قدري.

- الله يفرحنا فيك عن قريب

- شكرا ويفرحني فيكي

- كانت قد اشرفت ساعة كاملة من اللقاء على الانتهاء وهي تنظر الى الوقت خائفة من الفشل كما فعلت سابقا في شده اليها وجعله يتعلق بها...كان يرمقها بابتسامة الغرباء المتصنعة تلك التي يوجهونه لشخص يرونه لاول مرة...انتهزت الفرصة فقالت :

- ارجوك لا تبتسم لي وكانك تراني للمرة الاولى....تحدث الي وكانك تعرفني منذ القدم ارجوك.

- استغرب قولها فسالها :

- لماذا ؟

- توترني تلك الابتسامات المتصنعة التي يرمق بها الغرباء بعضهم في اول لفاء لهم....تؤرقني هذه الحياة في تفاصيلها البالية ويزعجني الناس بعاداتهم الباهتة ...الناس يرمونا دائما بابتسامات منافقة ونظرات منافقة وكلمات منافقة ....كل ما حولهم ليس الا نفاقا ...يصطنعون الكذب ويبنون عليه حياة اجتماعية ويجروننا وراء ذلك حتى تجبرنا الحياة على ان نصبح مثلهم لا تنقل نفاقا عنهم....توقفت عن الكلام لترى ماذا يقول...

قطع الصمت وقال:

اكملي

ماذا ساكمل ؟ ممارسات كثيرة يقوم بها الناس في علاقاتهم اليومية بغباء وبنفاق ونحن مضطرون في الحياة البالية هذه ان نعيش بنفس الطريقة التافهة الغبية كما نواصل الحياة اليومية الواهية معهم...

وما المثال على هذا في حياتنا ؟

ابسط مثال لذلك لذلك اننا كل يوم نرى اناسا يبتسمون في وجوهنا ليسالوا عن حالنا كيف اصبحنا في يومنا الجديد فنجيبهم باننا بخير....ولاهم يسالوننا لاهتمامهم لأمرنا ولا نحن قلنا الحقيقة عندما اجبناهم اننا بخير....او ليس ذلك ما نكرره كل يوم ؟

محقة لكن هل في ابتسامي كلك نوع من النفاق في حياتنا اليومية ؟

لا لم اقصد ابدا...لكن الافضل ان تعاملني على انني فتاة تعرفها منذ زمن طويل ...اتوافقني ؟

اجل

ربما هذا اول لقاء لنا ...وقد تستغرب كلامي ولكنني اختلف عن الناس في مفاهيم كثيرة علك تتعرف الي اكثر اذا اصبحنا اصدقاء....

قال مبتسما : اجل لم لا ان شاء الله

ها قد حركت حجرها الاول على اللوح متقدمة نحوه ...ظل ناظرا اليها معجبا بكلامها واحس انها امراة على عمق بالاشياء ولا تشبه الجميع كما هو تماما....اما هي فارتعشت اطرافها اثر حديثها ذاك خوفا الا يكون كلامها قد غير بداخله شيئا او لم يعجبه....لكنه ادخل عليها نوعا من السرور بقوله :

يبدو ان لك نظرة مغايرة للاشياء.

(ضاحكة)...اجل وذلك يسبب لي متاعب كثيرة

وانا شبيه بك

كانت الساعة الثانية عشرة الا دقائق وكان عليها ان تذهب ....تعمدت النظر الى ساعة يدها وقالت :

لقد اقتربت الظهيرة اتراني اشغلك عن اعمالك ؟

لا ابدا لقد تشرفت بمعرفتك واستمعت لحديثك

اظن انك ستعود لترتيب اغراضك للنزول غدا للقرداحة.

اجل اولن نلتقي قبل انتهاء اجازتينا؟

سنفعل اذا اردت

على كل لديك رقمي اتصلي بي اذا اردت لقائي ....اتمنى لقاءك ثانية قبل انتهاء الاجازة

شكرا سافعل

اذن انغادر ؟

اجل

هيا فلنذهب

افترقا امام المطعم ليركب كل منهما سيارته....

هو يكرر ما فعله معها منذ ست سنوات...في كل ما قاله لها لم يذكر ان له حبيبة لا يزال يتحدث اليها على انه فارغ القلب ومستقل في الحياة وهي كانت تبتسم له استفزازا لغبائه ذاك الذي تعودت ان يمارسه....لكنها تساءلت اتراه قد تفادى ذكر حبيبته لانه لا يريد لها التدخل في خاصة شؤونه ام لكي يتمكن من ممارسة الحب معها ويتجنب هربها؟

"ان الانسان اذا احب شخصا فإنه يحبه كما هو لا كما يريده ان يكون"

ليو تولستوي

"وكأن الزمن اماتني واعاد ليحييني بعد ست سنوات مضت ...اوليس اليوم هو الثامن من حزيران ؟ انه اليوم الذي رايتك فيه للمرة الاولى في حياتي منذ سبع سنوات يوم كنت ابنة الخامسة عشر وكنت انت ابن الخامسة والعشرين ... يومها لا ادري كيف وقفت امامك وكنت بالنسبة لي ككل العابرين اكتفي بالنظر اليك...يومها اكتفيت فقط بمشاهدتك لكنني شعرت للوهلة الاولى انك لن تكون عابرا في حياتي... للمرة الاولى التي رايتك فيها لم اشأ الاقتراب منك ... ولم ارد ذلك...ولا فكرت فيه يوما...لولا انك اتيتني واغرقتني بك...اكتفيت فقط بمراقبتك عن بعد...خفت اقترابك وخفت الوقوع في الحب بينما انني ما دريت ان تلك اللحظة قد كانت لحظة وقوعي فيه...اولا يقولون ان الخوف من الحب هو الحب نفسه ؟ بقيت على تجنب اقترابك سبعة اشهر كتفي بشهية ذلك الابتعاد الاحتياطي...حتى اتيت وكأنك تعمدت ذلك لملاحظتك ابتعادي .... اتيت كي تدخل قلبي دوامة الهيام بك فأبقيتني على حبك سبعة اشهر اخريات...جعلتني فيهم احيا في دنيا لا ازال اجهل حتى يومي هذا بماذا يمكنني وصفها وبم يمكنني تسميتها ؟ ... كل القصة لم تأخذ من وقتي غير اربعة عشر شهرا فقط...سنة بين صيفين قلبت فيها حياتي ورحلت...

وماذا افعل لتويّ ؟ هل أعلن الحرب على قلبي ثانية ؟ "

عادت الى البيت وقلبها يخفق وهي تكذب كل ما يحدث معها اعطاها رقمه...اتصلت به ... إلتقت به...تحدثت اليه...صافحته...وتمنى التقائها مرة ثانية...دون ان تحتاج هي لفعل ذلك !!

اتراها تنجح بعد فشل عاشت على بكائه لسنوات ؟ اتراها حقا ذلك هو ما تريده ؟ كيف لها ان تعود لمن خذلها ؟ وهي التي كتبت طويلا لقرائها " علينا الا نتوقع من الذي خذلنا مرة الا يخذلنا ثانية ولكي لا تمت مرتين لا تعد لمن خذلك " كيف تفعل ذلك بنفسها اليوم ؟

هل ستكون عاقبة ما تفعله افضل من عاقبة ما فعلته منذ ست سنوات ؟

كيف لها ان تفتح باب النار على نفسها للمرة الثانية بعد هذا الزمن ؟

كيف لها ان تلعب دور صديقته بعد كل ذلك الوله ؟ وجميع القواعد العاطفية ترفض الصداقة بعد الحب والثقة بعد الخذلان....

ذاك الذي وعدها وخان وعده...مهمتها الان ان تطيل الوقت قدر ما تستطيع بينهما وهي التي تدري جيدا ان الامنيات اشبه بطبخة اذا ما استعجلنا بإتمامها ستحترق دون تحصيل شيء منها لذلك هي عليها الان ان تنتظر وتنتظر طويلا...كما فعلت من قبل...لكن ليس كما كانت من ذي قبل...طوال جلوسها امامه بقيت تسترق متعة لحظة لقاء مشبعة بمرارة غياب بعد حضور وحضور بعد غياب...محاولة الفرح بوصال تخاف ان يقتل بها حبا ويحولها في حلبة العاطفة الى انثى شرسة ذاقت طعم النقمة لعشر سنوات...فالأشد الما في حياتنا ان لاشيء يعود كما كان...

صحيح انها قد بقيت على الوفاء لذلك الوجد الذي ذهب بقلبها لكنه قد امات في ذلك القلب شيئا لم تعرفه اثر غيابه....وهي الان تنظر اليه في حالة صراع مشاعرها تجاهه...ماذا تفعل له بعد لقائها هذا ؟ اتواصل ممارسة الحب معه وهي تدري جيدا انه على ابواب خطوبة او زواج ؟ ام تأخذ القصاص لقلب اكتوى بلهيب الفراق لسنوات ؟ كانت تعلم جيدا انها في حياة يمكن ان تجد فيها نفسها مجردة من كل شيء بين لحظتين ...لذلك هي تجتنب ان تثق ف نفسها اكثر من اللازم ...هي تلك التي تخاف ممارسة الحياة لما فيها من خيبات وتمنع نفسها من الفرح بما اخذته فجأة لان الحياة لا تهبنا شيئا لتتركه لنا انما تعطينا اياه كهبة مؤقتة لم نفرح بها بعد الا ووجدناها سلبت منا ... هكذا هي السعادة ليست اكثر من لحظات فجئية مؤقتة اخذناها في لعبة قمار بين القدر والحياة...لسنا فيها الا كورقة ضغط مرمية بين الطرفين خرجنا منها خاسرين ..وما يزيد قلقها اكثر انها لم تدري اعاد صدفة لحياتها ام انها من اعادته ؟ هي تخاف ان لا يكون القدر من بعث به اليها وان تكون هي من جاءته عنوة ... فأفضل الاشياء هي تلك التي تدخل الينا من باب الصدفة ولطالما اتتنا الخيبات من الاشياء التي نسعى للوصول اليها...فالصدفة قدر جميل يجمعنا بأشياء اجمل وكل ما يسعدنا في الحياة هو من صنعها...هكذا هي السعادة ... لا تحب العجلة ولا تأتي هرولة انما تأخذ أوقاتا وأنفاسا حتى تصل...تحب من ينتظرها...تحب امتصاص ارواحنا على مهل حتى تأتي هكذا هي الاشياء الجميلة ندفع ثمنها ساعات حياتنا الواقفة امام محطة الانتظار...وما عليها الان إلا ان تنتظر...

عادت الى بيتها طلبا للراحة وقد كانت تتصبب عرقا امامه وثوبها يخفي خوفها ورعشتها ...بقيت نغمة صوته تتردد في اذنها وبقيت تسترجع كل كلمة دارت بينهما وتتفحص كلماتها عساها تكون قد تعثرت بخطأ ما اثناء الحديث اليه...وقد احست ان لاشيء فيه تغير فاغتبطت بفرحتها...ما اندر اولئك اللذين لا يقدر الزمن على تغييرهم بما فيهم...هو لا يزال بنفس ايجابياته وسلبياته...لا يزال ذلك الغامض الصامت الذي لا يتحدث كثيرا ولا يفشي اسراره ولا يتكلم بشأن خصوصياته مع أحد...لا تريبه الاسئلة ويعرف جيدا كيف يتملص من الاجابة ولا يجيب ...لا يزال ذلك الذي ترتاح اليه حتى الاستسلام وهي تتحدث معه ...لا يزال ذلك الذي يجعلها تكشف كل اسرارها محافظا على غموضه...لايزال ذلك الذي يظل

لساعات يتحدث بهدوئه التام...ولا يتحدث عن نفسه ...انه لم يفصح لها بغير عمره وعزوبيته ومسقط رأسه وكل ذلك تعرفه...وهي لم تستغرب سطحيته في الحديث ... فهي اعلم الناس به.. وضعت يديها على جبهتها متشابكتين...وهي جالسة في حيرة من امرها ومن قال انها اذا ظلت معه الان ستفرح ؟ لقد سلبها فرحها يوم كانت بحاجة لان تفرح...وما حاجتها له الان وهي ميتة القلب لا يمكن لها ان تتلذذ حتى بطعم الفرح ؟ كانت ستكون اسعد لو انها فرحت عندما ارادت ان تفرح...دائما ما تسرق منا اشياء يقتل فقدانها فينا شيئا اسمه "سعادة" وبعد تعفن جراحنا على غيابها يعود بها الزمن الينا ساخرا منا مانحا اينا السعادة بعدما لم يعد فينا شعور يجعلنا نتلذذ بها...عندما كان الى جانبها كانت تخاف رحيله اكثر من الخوف على قلبها من التوقف...حريصة على بقائه اليها اكثر من حرصها على البقاء في الحياة ... وربما لذلك هي فقدته...فالاشياء التي نكون اشد حرصا على عدم خسارتها هي اول الاشياء التي نخسرها....هي امراة قبل ان تدخل الحياة اليها مات قلبها....وان اصعب المواقف التي تضعنا فيها دنيانا هي ان يعود لنا الزمن بشيء من الماضي حيث يوقفنا على حافة الحيرة مذهولين من ذلك التكرار المباغت المفاجئ في الزمان والمكان ...لنسال انفسنا في حيرة من امرنا امازلنا بحاجة لما احتجناه منذ زمن ؟ امازلنا نريده ؟ انقبل به ام ناباه؟ وهل عسانا نفرح بعودته الان بعدما غادرنا في الوقت الذي كنا بأمس حاجتنا اليه ؟

انتفضت ماسحة دموعها وقد ابرق بداخلها شيء من العزيمة والامل " وليكن كل ما حصل قد اذاني ... ليست الحياة اكثر من محاولات اذا فشلت احداها نجحت الاخرى...فانا سابقا لم اكن اعلم الكثير عنك وارتكبت اخطاء انا اليوم عصية عن اعادتها...ادري جيدا انك تلدغ كل من يحاول الاقتراب منك دون ارادتك وكان ذلك سبب فشلي في كسبك واليوم انت من طلبت مني اللقاء ولن افشل...انت رواية كتبت بلغة من غموض كلما حاولت قراءتها غرقت في بحر اسرارها ولم اتمكن من فهم ابجديتها....كمتاهة انت من يدخلها يستحيل خروجه...انت رواية اتيت انا كي اكتبها لان لا احد فه لغتها وتمكن من قراءتها قبلي "

هي على ثقة الان بانها ستصيب هدفها التي اخطات اصابته منذ زمن وبقيت خيبة ذلك الفشل عالقة بصدرها وهي التي كما هو لا تعرف طريقها للفشل...تجلس امامه الى الطاولة ثانية بعد دورة من الزمن كي تباريه لكن اشواطها اليوم لن تكون كما كانت عليه للمرة الاولى....عزمت الا تعود من اجازتها الا وقد كسبت الشوط الاول لصالحها...اما هو فقد عاد لمسقط راسه " القرداحة" في صباح الغد.

***

في القرداحة...

في جنة الهدوء والصفاء وفردوس النعيم ...في ارض السلام والجمال والراحة ...اين الغوالي والاحبة والايام الخوالي وذكريات الطفولة ...ابناء العم والبيت العبق باحلى اللحظات ...عاد باقصى درجات بهجته بعد ان انطلق الساعة الخامسة صباحا كمن الشام ليصل بعد اربع ساعات ....دخل المدينة التي تقرا في مدخلها احتفاءها بك " هنا القرداحة ..." القرداحة ترحب بكم "...متجها بسيارته الى بيته في حي المقدمين تائقا لرؤية اناسه واشتمام رائحة امه وسماع صوتها والفرح بحفاوة استقبال اهله وعائلته...لم يكد يصل البيت حتى بدا كل من التقاه في الشراع بالتسليم عليه فيقف بسيارته رادا عليهم التحية وهم سعداء بعودته ومزهوون برؤيته...يسالونه عن حاله ويحمدون الله على عودته بالسلامة وصل امام باب بيته بعد دقائق وما ان سمع اخوته مازن وطارق صوت وقوف سيارته حتى خرجا من المنزل واستقبلاه معانقين اياه منادين امه ليبشروها بايابه...

قال :

- اشتقتكما كثيرا ..اين امي ؟
- في البيت جوا فوت اخوي فوت الف الحمدلله عالسلامة.
- خذوا معي الشناتي.
- هات عنك اخي.

دخل بيته ونادى امه :

- امي امي ام مازن اين انت ؟
- اتت منادية بصوت غمرته فرحة رؤيتها له..قالت
- مجتبى ؟ حبيبي اجيت ياروحي...؟ يانور عيوني الف الحمدلله عسلامتك ياعيوني .

اخذت بتقبيله وعناقه فنزل على يديها يقبلهما وقدميها وقد التمعت عيناها من الفرح وقالت :

- يا تقبرني فوت حبيبي فوت رح يجي ابوك رح يفرح كتير.

ادخلته الصالون واخذ اخويه حقائبه لغرفته وجلست اليه امه تتحسس قربه وتحمد الله على عودته وسلامته...قال اه يا امي تعبان كتير.

قالت :

- سلامة قلوبك من التعب يا حياتي كيفك كيف كنت عامل بالشام عم تاكل منيح عم تتغطى عم تقدر تنام ؟
- أي انا بخير يامو لا تقلقي.

- ياحياتي الف الحمدلله عشوفتك وعرجعتك بالسلامة.
- جلس اليه اخاه طارق وقال – كيفك ياخيي ماعم تتذكرنا وانت بالشام
- هلق هيك ؟ والله اشتقتلكن تقبروني
- تشتقلك العافية يا امي الله يرضى عليك.

عرضت عليه امه ان يتحمم ليرتاح وما ان فعل حتى بدا ابناء عمه واولاد حارته يدقون باب بيته لمباركة عودته من الشام والاطمئنان عليه...فقالت لهم والدته تفضلو اجلسوا وانتظروه انه في الحمام يغتسل.

وما ان خرج حتى علا صوته فرحا برؤيتهم :اولاد العم ؟

- ابو العباس الف الحمدلله عرجعتك اخوي.
- تسلمو

وجلس اليهم يتحدثون ويتضاحكون حتى قالت حتى قالت امه " اقعدوا وافطروا عنا شباب" وجلسوا الى الغداء وامضوا الظهر سويا.

لم يصبر على مرور ذلك اليوم دون ان يسارع بلقاء حبيبتة قلبه "منى" فاتصل بها وما ان قالت "الو حبيبي" صرخ بفرح "اهلا حبيبتي لقد عدت اليوم الى القرداحة"

- حقا ؟ يا روحي الف الحمدلله عسلامتك ياعيون القلب.
- ابامكاني رؤيتك؟
- طبعا ساخرج من المستشفى الءساعة السادسة وسالتقيك في الحارة
- لماذا في الحارة حياتي تعالي لبيتنا حتى تراك امي.
- حاضر تاج راسي امرك.
- اوك باي يخليلي ياكي.
- الله لا يحرمني منك حبوبي.
- ويخليلي ياكي حياتي

اغلق الهاتف وقد رقص قلبه بسماع صوتها بعد هذا الغياب الطويل وهو مايزال كذلك حتى نادته امه :مجتبى حبيبي تعال اشرب كاسة متة ياروحي.

- يلا جايي يا امي

كانت الساعة السادسة مساء وبعد ان تانق وتعطر انتظرها وقد جملت امه البيت وحضرت الحلويات...طرق الباب فجاة فذهب مسرعا لفتحه وما ان راته حتى صرخت – حبوبي الحمدلله عالسلامة نورت القرداحة.

وتعانقا :- الله يسلمك نورتي بيتنا فوتي ...يامو ياماما منى اجت.

- مرحبا خالة

- اهلين حبيبتي تفضلي فوتي نورتينا.

- شكرا ياخالة

- اتشربين شيئا عزويزتي.

قال مجتبى :- احضري لنا قهوتين يا امي

- على عيني يا روحي

التفت اليها وقال :

- اشتقتلك ياعيوني

- واشحارو لقلبي وانا كمان حبيبيي؟

بعد دقائق اتت امه بالقهوة وطبق الحلوى لهما:

- ما اخبار اهلك وعملك وحياتك ؟

- الحمدلله كلو تمام الف الحمدلله على رجعتك بالسلامة كبفو الجيش وكيف الشام

- بيسلمو عليكي

- الله يسلم قلبك تسلملي

عرض مجتبى على منى ان يخرجا للعشاء سويا

قال :

- غدا العاشر من حزيران انها ليلة عيد ميلادك وعلي ان احتفي بك.
- تسلم حبيبي اليوم فرحي فرحين برجعتك.
- انخرج للعشاء سويا في السهرة ؟
- اجل لكن امي لا علم لها بذلك
- لا تقلقي سنمر على بيتك ونخبر اهلك انك ستسهرين معي...اموافقة ؟

- اجل طبعا عزيز
- خرجا في تلك الليلة الحزيرانية الناعمة للعشاء وتسامرا وضحكا وهما في اشد سعادتهما بذلك اللقاء.

مر ثالث يوم على عودته للقرداحة واماني ما تزال في الشام في فندق "فور سيزونز" في غرفتها تقضي وقتها بين قراءة الكتب واستعمال حاسوبها وانتظار رسالة منه لهاتفها ...خافت اتراه ينساها ؟ اتراها حقا تلاقيه ثانية ؟ وهل تراه يفكر فيها او يتذكرها وهو بين اهله واحبته وفي حارته خاصة اذا التقى بمنى....اتراه سيتذكرها ؟ كم ستبقى بانتظاره؟

ايكون افضل لها لو عادت الى الجنوب ومررت اجازتها مع اهلها على ان تبقى هنا لوحدها كي تنتظر اتصالا منه او طلبا للقائه...ربما يكون في لحظة كهذه قد التقى بمنى وسعد برؤيتها واحتفل معها بيوم ميلادها ونسي امرها تماما...ربما يقضي كل أوقاته معها وهي تحظى منه بلمسات ناعمة ونظرات ساحرة... تفكر في كل ذلك وتنظر نحو هاتفها...متى تراه يتصل ؟ متى تراه يطفئ نيران شوقها ولهفتها بنبرة صوته التي كلما ارتشفت منها القليل تاقت الارتواء اكثر وهل لدى الانثى صوت احلى اليها في الدنيا من صوت حبيب قلبها ؟

بقي الوقت يمر وهي تعد الساعة يوما واليوم سنة وهي على شدة خوفها من اقتراب نهاية الاسبوع دون اتصاله بها...

انه اليوم السادس من اجازته الساعة الثالثة مساء كان في غرفته على فراشه وبديه هاتفه يفكر ...يتذكر لقائه بها ...كيف تكلمت اليه...كيف جلست ..كيف تحركت امامه كيف احتست كوب قهوتها ثم طلب منها رقم هاتفها واعطته..هي ايضا في غرفتها وتذكرت انها اعطته رقم هاتفها واشترت منه وعدا بالاتصال وهي تعرف انه ليس ذلك الوفي لوعوده كيف تفعل ذلك؟ اتراها اصابت بما فعلت؟ ولماذا لم ترفض ولم تتردد باعطائه اياها ... تراها لماذا طلبت لقائه بالمطعم اصلا...اثر نجاح البرنامج؟ الهذه الدرجة هي تريده؟ لكن لماذا؟ كيف لها ان تثق بانه سيتصل لا محالة الى درجة جعلتها تعطيه رقم هاتفها من اللقاء الاول لها معه ؟ هي على ثقة انها تعرفه جيدا ذلك الذي خباته لعقد في قلبها واغلقت عليه باحكام الهذا تراها اليه وكانها تعرفه منذ زمن وليس بلقائها الاول معه لكن اتراه يتصل ؟ واذا فعل ؟ بماذا تراه يحدثها؟ وهل ان امرها يعنهي؟ كان ينظر الى الهاتف ممسكا به بين يديه ... قرر ان يهاتفها دون تردد وتفكير فهو الذي دائما يفعل مايريد دون ان يسال ماستكون نتيجته وما اذا سيندم على ما اقدم عليه ام لا..هو من لايخاف من العواقب ولا يخشى النتائج ولا تريبه ردة فعل الشخص المقابل...هي في غرفتها وقد بدا النعاس يغالبها حتى نامت منتظرة مكالمته...واذا بهاتفها يرن وهو

ينتظر اجابتها الى حين توقف الرنين ولم تجبه فاعاد ذلك ثانية ولم يحظى باجابتها تساءل لم لم تجبه؟ اتراها مشغولة؟ ام لم تسمع الهاتف؟ ام انها تجاهلته متعمدة؟ بينما هو كذلك ددخلت والدته غرفته قالت:

- عزيزي ألا تاتي وتشرب معنا الشاي ؟ لقد اتى ابن عمك جعفر كي يسلم عليك ويبارك لك عودتك.
- جعفر؟
- اجل قال انه لم يسمع بمجيئك الا اليوم فاتى مسرعا.
- حسنا سآتي

استيقظت الساعة الخامسة مساء فوجدت مكالمتين منه عل شاشة هاتفها فندمت على نومها.

قررت مكالمته ليلا علها تحظى بمسامرة معه...ذهبت للحمام تغتسل ثم نزلت للعشاء بمطعم النزل وماعادت الا الساعة التاسعة وبقيت بفراشها املة ان تنام على صوته فاتصلت به بلا تردد اجابه

- مساء الخير
- هلا خيي مسالنور
- كيفك ؟
- حمدا لله بخير اعتذر على عدم اجابتي على اتصالاتك لانني كنت نائمة

(ضحك) معليه مو مشكلة صحة النوم

- تسلم ...صمتت لوهلة وقد سرى وقع ضحكته في جسدها كصعقة كهربائية هزت اعصابها فسخن دمها وبرد واحمر وجهها فجاة

قال: الو ...

قالت: الو عم بسمعك

- قلتيلي نمتي ؟
- أي
- وهلق بدك تسهري؟
- أي
- لكن منسهر سوا ايزا مابيزعجك هالشي
- لا طبعا ابدا
- اردت ان اطمئن عليك امازلت في الشام ؟
- اجل ما ازال هنا لكنني افكر بالعودة

- لماذا؟
- بقيت لوحدي هنا لا اعرف احدا واظن انني ساغادر مع نهاية الاسبوع الى الضاحية
- الم تقولي ان اجازتك اسبوعين
- اجل هي كذلك
- اذا اكملي نهاية الاسبوع هنا وعودي مع بداية الاسبوع القدم
- ولماذا ؟ لاجل من سابقى ؟
- ولو الا تبقين لاجلي ؟ اما اذا كنت تريدين تمضية اجازتك مع اهلك فلا اجبرك على البقاء...لكن خذي علما انك ستسعدينني كثيرا اذا بقيتي.
- اافهم من كلامك اننا سنلتقي؟
- اذا امكنني ذلك ساعود قبل انتهاء اجازتي بايام
- سافكر...اذا لم احتج العودة الى الجنوب سابقى بانتظارك
- شكرا اماني اذن اخبريني كيف انت ؟كيف تمضين وقتك في الشام ؟ اتضجرين ؟
- لا طبعا وهل لمن يعيش في الشام ان يضجر ؟ فقط تزعجني وحدتي قليلا
- اذا اردت ان اؤنس وحدتك اكلمك كل يوم طبعا اذا كنت لا تنزعجين منذلك
- لا على العكس الحديث اليك ممتع
- شكرا يا مذوقة
- اكيد لقيت اهلك مشتاقينلك كتير
- أي والله طبيعي هيك الاهل
- وكيفا امك؟
- امي؟ الحمدلله منيحة
- دوم
- شو خطرلك تسالني عن امي ؟
- ولاشي قلت لحالي اكيد ناطف قلبا عغيابك بتعرف قلب الام
- أي صحيح بس الحمدلله شافتني وانبسطت
- يخليلك ياها
- تسلمي

بقيت تتحدث اليه الى ان قالت : تصبح عخير

- وانتي بالف خير

اقفلت الخط على صوته ونامت على تلك المكالمة بعد ان حرمها النوم نصف ليلها بالتفكير باللقاء القادم اتراها هي من طلبته ام هو من اراده؟اعليها ان تبقى بانتظاره الان؟

اشرفت الاجازة على الانتهاء وهي تنتظر بلهفة متاججة لحظة رؤيته وسماع صوته ...اتفقا على اللقاء امام الفندق لياتي وياخذها بعدما طلبت منه على الهاتف ان يفتلها بالشام

كانت الساعة الرابعة عصرا ونسمات بردى الصيفية تضفي على هواء الشام برودة توقف بها في احدى الحدائق ونزلا ليجتلسا عشبها...قال لها :هل انت مغادرة غدا ؟

- اجل غدا صباحا باذن الله
- ستشتاقك الشام
- حقا؟ اوانا سافعل
- استعودين؟
- اذا اقتضى عملي ذلك
- كيف كانت اجازتك في الشام ؟
- كيف لوقتي ان يكون في جنة الله على ارضه؟ مؤكد انني سعيدة فمهما يحصل في الشام ستبقى سيدة المدن وجنة الجمال والهدوء
- اماني اليوم يومك الاخير في الشام من هذه الاجازة لذا علي ان اجعله يوم لا ينسى في اجازتك ساخذك الى جميع ارجاء الشام حتى نحنفظي بها في ذاكرتك
- ساحتفظ بها في قلبي
- جيد هيا فنكمل فسحتنا الليلة سنسهر باحد المطاعم
- علي ان انام الليلة باكرا كي انطلق غدا صباحا باكرا للعودة الى الضاحية
- اطمئني لن نتاخر

***

عادت في غدها الى لبنان وقلبها يعتصر على تكرار فراقه اليس الاجدر بها بعد فراقها له كل هذا الوقت الا تبتعد عنه ثانية ؟ اليست الاحق به بعد كل هذا الوفاء ؟ عادت ادراجها يمسح دمعها امل يقنعها بانها ستلتقيه بعد وقت بعد انتظار تامل الا يطول ...عادت الى عملها والى حياتها اليومية الرتيبة

"كيف لي التحرر من قيود عملي كي احظى ببضع دقائق اضافية معك ؟ ماذا لي ان افعل كي اراك مرات اخرى ؟ الان وقد التقيتك بعد كل هذا الزمن اشعر وكانك لحظة من فرح علي الا اتركها تضيع....

علي المحافظة عليها وعدم التفريط بها كما كنت قد فعلت بطيشي سابقا...كيف لي ان التقيك ثانية ؟ كيف لي ان اهرب من الحياة اليك ؟ او هل سيعطيني ربي القدرة على الصبر لفترة ربما تدوم الى مابعد الصيف دون لقائك ؟ كل من نلتقيهم بعد غيابهم لفترة طويلة نتمنى الالتصاق بهم ماتبقى من عمرنا وها انا ذا اجد نفسي اعود لوطني لاتركك هناك وحدك اواترك نفسي لوحدي لا اعلم بالضبط...لكنني اعلم انك احتفلت معها بعيد ميلادها يوم العاشر من حزيران ثالث ايام اجازتك وانك فرحت لها وربما تكون قد اهديتها شيئا ثمينا لتعبر به عن حبك لها وتبارك لها سنة جديدة من عمرها وتحتفي معها بدخولها متمنيا ان تكون سنة الوصال ...اتراها صدفة انني عرفتك منذ احد عشر عاما بشهر ميلادها ؟ ستستمتع بوقتك معها وسابقى انتظرك....

مر شهر تموز...

انه الواحد من اب...كانت الساعة الحادية عشرة ليلا وكانت مستلقية على اريكتها تحتسي كاس فراولة بارد في صالونها المظلكم المضاء على الضوء الخافت للشموع الموضوعة على الطاولة الزجاجية بين الثلاث اريكات تستمع لموسيقى هادئة تفكر كيف يمكن لها التقاؤه قبل انتهاء الصيف وقد حل شهره الاخير الشهر الذي فيه خسرته..منذ شهر لم تره...شعرت باشتياقه...تريد رؤيته لكن ليس في هذا الشهر...هو شهر الحزن بالنسبة اليها وهو عنوان فراقهما...التي كانت تنعى فيه ذكرى فراقه مع كل حلول جديد له...هو ذاك الشهر الذي كرهته والذي حدث فيه ما سهرت تددعو دوما الا يحدث.....وتمنت لو ماتت وماكان حدث...شهر بكت فيه طويلا وسهرت تذرف الدموع لاجله وبسببه ...شهر احترقت فيه مهجتها لوعة وغشى فيه قلبها الحزن والياس ...شهر ردمت فيه شيئا يسمى حب وحجرت فيه عمل جميع عواطفها وجعلتهم خارج الخدمة بعد فراقه ذاك ...شهر اصبحت فيه انثى مخذولة ...مكسورة القلب فارغة الفؤاد...لا امل لها في يالحياة من شيء يسمونه وفاء .... اخلاص... صدق او قلوب بيضا لاتكره...كل ذلك تكسر ايمانها به في شهر كهذا منذ عقد ...واصبح بالنسبة لها شهر الشؤم الذي تتجنب فيه ممارسة الحب او الوقوع فيه او التعرض لفراق يقتل قلبها كما حدث...لم ترد لقياه في شهر كهذا لاجل ما تكنه من كره له.

"يوم عشرين اب كان فراقنا...لم اصدق يومها انني سوف اخسرك واواصل الحياة بدونك ... كيف لقلبي ان ينبض اذا خرجت منه ...كيف وكيف وكيف؟ واذاا بي اواصل احياتي بلا حياة في غيابك وبدونك ولا احد علم بحالي وما امر به وما ان نسيت اسمي وانك عرفتني ولقيتني يوما...ياسيد الوفاء انا مانسيت...

كم كرهته شهرا جعلته شهر عزائي الذي احيي فيه ذكرى فقدي لسعادتي .... اتراك فكرت حينما غادرت انك ستجعل انثى تسهر ليلها تبكي لا يعرف النوم الى عينيها سبيلا ...تقضم اظافرها ندما على

وضعك في مكان ما من قلبها كي تشعل فيه حريق القهر برحيلك بكل برودة ولا مبالاة....اعرف انك مريض باللامبالاة تجاه مشاعر الاخرين....لكن ألهذه الدرجة انت قادر على فعل ماتريد فعله بهم مدعيا انك على حق وانهم الكاذبون المتظاهرون ؟ أي رجل تراك كنت حين فعلت ذلك ؟

لازلت اذكر كل ماقلته يومها " مافي سبب" "هيك من الله" "مافي شي" "مو صايرلي شي" "الله معك".....كنت اكبر مني صحيح لكن كانت تنقصك اشياء وتغيب عنك اشياء كثيرة....لم تعلم او ربما تجاهلت ان على المرء ان يحرص على مشاعره ولكن ليس على حساب مشاعر الاخرين....فلست وحدك من تحرص على امنك وسلامتك فللناس كرامة يحرصون على حفظها وعليك الا تتعداها.....سكتت يومها لانك تكبرني ولانني اكن لك الاحترام والتقدير وشيء ما بداخلي يجعلني اخافك...لكن لا اظن ان واحدة اخرى ستسكت وتخرج بسلام من حياتك كما انا فعلت ...لطالما شغل خاطري سؤال لم اجد الاجابة عنه...اتراك ارتحت بعد مغادرتي حياتك ؟

"لا شيء يجعلنا عظماء غير عمل عظيم"

توفيق الحكيم

"في ايلول....عندما تفتح نوافذ القلب على امطار الذاكرة ...واقفة امامه على صقيع القلب وبرودة الروح...احتسي كوب الوجع الساخن...اترشف الحنين الى زمن رحل بلا عودة ...في ايلول كهذا كسر شيء في قلبي اتراك تذكر؟...في ايلول....يبدا فصل الخريف ...فصل ميلادك...فصل انبعاثك الى الحياة....كم اعشق الخريف بجميع تفاصيله...وكم انتظر قدومه قدومه لأشعر بك فيه...كنت اقضي كل سنة من حياتي انتظر هذا الفصل فقط لاشعر بالقرب منك...كم تشبه الخريف وكم يشبهك...

اذكر انني سالتك يوما:

اتراك تتركني؟

فاجبتني :

اسئلي الخريف سيجيبك

ولم يأتي الخريف الا وكان كل شيء قد انتهى ...

فقضيت الخريف بدونك ومنذ ذلك الحين ابتدا خريف قلبي الذي لم اعرف فصلا غيره لست سنوات حتى لحظة رؤيتك في ايار الماضي ساعة عاد ربيع قلبي ليزهر من جديد."

نزلت اماني هذه المرة الى الشام كي تسترجع ايامها منذ زمن...

توجهت مباشرة نحو بيتهم الذي كانت تسكنه مع اهلها عندما كانت في الشام...كي نفتحه وتسكن به بدل اقامتها في النزل ... ذهبت الى "العمارة" في "الصالحية" ...صعدت الدرجات الاربعة وفتحت الباب الخشبي البني ودخلت البتي واصابعها ترتعش اثر ادارتها المفتاح...كانت تترائى لها صور تلك الايام وكانها تعيشها لتوها...دخلت البيت وقد كان مظلما وباردا...جميع اثاثه مغطى باقمشة بيضاء وكانه مكفن وقد ملاته رائحة الندى التي تمكن منه وقتا طويلا...جلست على احدى اريكاته وهي تنظر لحيطانه وثرياته...اطاراته وطاولاته وكراسيه...التلفزيون الذي امتلا بالغبار حتى انها لم تعد تدري اتسبب ذلك في عطبه ام انه لا يزال يعمل...تذكرت كل ما عاشته هنا..تذكرت كيف كانت تعود لبيتها منتشية برؤيته وهي ترقص وتغني كمراهقة عاشقة تمكن الوله من قلبها...اخذت تنزع اللحافات البيضاء عن الارائك والاثاث والغبار ينتفض من كل قطعة حتى اخذت بالسعال والعطس بشدة....اتجهت الى غرفتها وقامت بمسح الخزانة من الغبار بخرقة مبللة لترتب ثيابها...لم يكن لديها شيء بالبيت لتاكله فقررت العشاء في احد المطاعم والذهاب في الغد صباحا للتسوق وتعمير البيت وتنظيفه واعادة شيء من بريق له ....

كان الصباح ...وكانت اماني قد تسوقت واقتنت مايلزم البيت وعادت به فاعترضت طريقها احدى الجارات القاطنات في العمارة وبادرتها بقول – صباح الخير

قالت :اهلا

ودخلت البيت واغلقت الباب بينما استغربت جارتها وجودها في العمارة ولاحظت انها من الغريبات بينما اخذت اماني بتجهيز الفطور للغداء....مر يومها وخرجت في غدها الى الشام العتيقة لشراء بعص الاغراض صياحا وعادت عند الظهيرة لتجد صاحبة البيت المحاذي تنزل من الدرج قال لها:صباح الخير

- اهلين
- عفوا وكأنك جديدة هنا بحارتنا.
- أي والله انا لبنانية وقد اتيت الى هنا منذ يومين.
- حقا ؟ اهلا بك... من اين انت ؟
- من الضاحية بالتحديد
- اهلا وسهلا...انا ياسمين جارتك بالبيت الذي الى جانبك...بيننا حائط مشترك
- اهلا بك انا اماني
- ميت هلا فيكي كيف لقيتي حارتنا؟
- منيحة عن ازنك

دخلت البيت وبقيت تقلب اغراضها المقتناة بعناية ...هي متحمسة لمجيئها ولا تكاد تصبر على لقائه...رغم خوفها من فعل ذلك اتراها تفعل ؟ ايوافق اذا طلبت ؟ لكن كيف لها ان تطلب منه لقائه ؟ عليها ان تجعله من يريد ذلك ومن يطلبه...عليها ان تسوقه اليها دون ان تتقدم نحوه...ان تسقط احد احجاره دون ان تخسر احد احصنتها....

كان ثالث يوم لها في الشام...كانت تشرب قهوتها في المطبخ الساعة الثامنة صباحا لتسمع فجأة صوت دوي اشبه بانفجار...ارتعدت فرائصها خوفا...واسرعت نحو النافذة كي تكتشف ما يحدث رأت الناس يركضون مسرعين متجهين نحو مكان الانفجار...عرفت ان قذيفة نزلت قرب الحي وخلفت جرحى وتسببت في تدمير سيارات...تعالت اصوات الصراخ وصوت سيارة الاسعاف تقترب لحمل المصابين...كان قلبها يخفق بسرعة لم تستطع تصديق المشهد...واستيعابه رغم تعودها على رؤية مشاهد مشابهة تصل الى القناة وتعرض في نشرات الاخبار كل يوم...هنا ينجو اناس على حساب اخرين ويستيقظ اناس ليكون يومهم الاخير ويرحل اناس كي يتركوا في قلوب اهلهم ومحبيهم لوعة الرحيل ...فتحت القناة السورية الاولى كي تجد الخبر ينقل على الشاشة وقد كتب على شريط احمر معنون ب "عاجل" ...بقيت في بيتها تشاهد التلفاز وقد بدات تغيب الاصوات التي كانت تتعالى منذ دقائق شيئا فشيئا...هنا يمكن ان

تنزل قذيفة اخرى على أي عمارة واي بيت في اية لحظة لتودي بحياة اشخاص عديدين في بضع ثوان كانوا قبلها مجتمعين بعائلاتهم واصدقائهم لتترك اجسادهم شظايا وبقايا اعضاء متناثرة ..كانت تنتقل بين القنوات السورية على التلفاز والتي كانت تبث اغان وطنية...تتغنى بسوريا وجيشها...اوجعها الامر...هي التي عاشت في نفس المنطقة منذ زمن ومشت على ارصفتها وعبرت شوارعها ودخلت ازقتها حتى حفظت الشوارع اسمها ...كيف لها ان تستوعب ان البلد التي احبتها وقطنت فيها مع اهلها منذ زمن جميل لكن بعيد اصبحت بلدا للموت بامتياز...اضحت الارض التي لا يدري احدهم ايعود فيها حيا اذا ما غادر بيته ام لا ...ام انه يجد نفسه بين ثانيتين قد فقد بيته متخذا من الشارع والركام ملجئا...كيف لها ان تصدق ان كل ذلك يحدث في البلد الذي كان الاكثر امنا يوم كانت تقطنه...المها ما رات...لزمت مكانها وظلت باكية وقد تراءت لها ايام جميلة احبتها ...مضت وبقيت كذلك حتى اتى الليل وكانت الى طاولة العشاء...فانقطع الكهرباء فجأة فتحته فوجدت ياسمين امامها تمسك بصحن فيه شمعة وقد قالت "مساء الخير"

- اهلا انسة ياسمين
- عفوا على مجيئي في هذا الوقت
- لاباس اهلا بك في أي وقت كان
- شكرا لكنني اردت فقط ان اطلب منك شمعة ...لم اجد في بيتنا عدا هذه التي ترينها
- اجل طبعا انتظري لحظة
- جاءت لها بشمعة فعادت الاضواء ...قالت ياسمين: ها قد عادت الكهرباء اعتذر عن ازعاجي لك شكرا جزيلا
- لا باس هل انت لوحدك في البيت ؟
- اجل والدتي عند خالتي في منطقة ابو رمانة وابي لم يعد من عمله.
- ابامكانك ان تسامرينني قليلا في بيتي ؟ تعلمين انني وحيدة هنا لن ياتي احد ويزعجنا لا تقلقي
- حسنا لكن الا يزعجك ذلك؟
- لا مطلقا بالعكس ابحث عمن يؤانسني ...تفضلي
- شكرا جزيلا لكن علينا الاحتفاظ بالشموع فالكهرباء ينقطع ربع ساعة ويعود ساعتين
- حسنا سنبقي الشمع بجانبنا...تفضلي بالجلوس...اتشربين شيئا؟
- قهوة لو سمحت
- ساحضر قهوتين لنتسامر سويا...الليلة خميس مؤكد انه ليس لديك عمل او دراسة في الغد.

- اجل غدا عطلة كالعادة.

قدّمت اماني صحن كعك لياسمين في طبق فيه فنجانين من القهوة معطرتين بالزهر وقالت :

- اهلا وسهلا فيكي ببيتي نورتيني.
- شكرا كتير ...اهلا فيكي انتي بحارتنا وبالشام.
- شكرا ...الن يقلق اباك اذا عاد ولم يجدك في البيت ؟
- لا عادي ...هاتفي معي وعلى كل انا لن اتاخر لديك...اتعملين هنا في الشام ؟
- لا والله انا اعمل في قناة المقاومة في الجنوب.
- ايواااا....يعنني انت صحفية.
- نعم
- الله يوفقك ويكون معاك.
- شكرا.
- انا عمري ستة وعشرين وبشتغل مع بابا ادارة اعمال.
- حقا؟ . انت من ندي
- حقا؟ جميل ...هل انت وحيدة والديك مثلي ؟
- كان لي اخ واحد استشهد في الضاحية منذ زمن.
- فليرحمه الله.
- تسلمي الله يرحم امواتك.
- اذا لم يكن لديك همل هنا في الشام لماذا تاتين الى هنا؟
- اتيت كي افتح بيتنا القديم واطمئن عليه وارتبه...خفت ان يكون قد قصف او تضرر جراء القذائف.
- لا سمح الله....الحمدلله حارتنا امنة من القذائف لولا ما حصل اليوم صباحا.
- للاسف فليشفي الله كل جريح...حمدا لله ان لا وفيات سقطوا في الحي.
- لم يسقطوا في حينا وانما سقطوا في مدن ومحافظات اخرى بالتاكيد....فكل يوم هناك ارض ما ستسقى بدم شهدائها في هذا الوطن.
- الله يفرجا.
- امين
- تفضلي اشربي قهوتك
- يسلمو اماني ...منذ متى لديكم هذا البيت في حارتنا؟

- الحقيقة كنا نقطن هنا منذ عقد من الزمن... يوم غادرنا كنت ابنة ستة عشر عاما.
- حقا؟ هل لديك اب تاجر؟
- اجل
- اولديك ام تكنى بام محمد؟
- اجل...ومن اين لك هذا؟
- هل انت اماني الاحمدي؟
- اجل هل تعرفيننني ؟
- لايعقل هذا...انسيتني يا اماني ؟ انسيتي رفيقة دربك؟ انسيت حبيبتك ورفيقتك العزيزة والوحيدة التي تعرف كل اسرارك هنا في الشام؟
- هل انت ياسمين الشامي بنت عمو رضا وخالة هناء؟
- اجل ...هل تنسين رفيقة دربك ياسمين؟

تعانقتا وهما يضحكان ويصرخان فرحا ...قالت اماني:لا اصدق ياسمين صديقتي ورفيقة دربي تجلس الي من جديد واشرب واياها القهوة في ليلة ايلولية بعد ست اعوام؟

تعانقا طويلا...

- اجل وانا لا اصدق ...اويعقل ان يحصل هذا وفي ظروف كهذه؟ حبيبتي ابنة الجنوب عادت لتفتح بيتها وتقطن فيه بعد كل هذا الوقت.
- لن اقطن فيه انها فقط اجازة.
- ليت تلك الايام تعود وتعود واياها مراهقتنا وجنوننا يا اماني...
- ياريت والله وك هاتي بوسة ولك يلعن ابو جمالك شو حليانة وكبرانة.
- وانت ايضا انني لا اصدق ...اتتذكرين يوم غادرت ؟ لكم بكيت وقتها
- وانا ايضا لم ارد ان يحصل ذلك ولكن كان علنا مغادرة الشام والعودة لوطننا لان عمل ابي قد اقتضى البقاء في الضاحية.
- لا زلت اذكر كيف كنا نمضي سويا يوما كاملا نتمشى في شوارع الشام ونسهر سويا كل مرة في بيت واحدة منا لقد نمت في بيتنا.
- وانت فعلت
- اجل اتذكرين ضحكاتنا وحكاياتنا حكايات مراهقتين عاشقتين
- اجل اذكر.

- اتذكرين صديقاتنا اللاتي كنا نلتقي بهن في حديقة السبكي ومطعم ست الشام وغيرها من الاماكن التي جمعتنا ونقضي سويا امسياتنا ...لين ولمى وساندي وهويدا واسيل؟
- اجل اذكر كل واحدة منهن اليوم في طريق ...هناك من تزوجن وهناك من اصبحن امهات ومن هاجرن ...لم يبقى احد هنا...
- الله يوفقهن لكم كانت اياما جميلة.
- وجلساتنا اجمل
- وانت ما اخبا قلبك ؟
- في الحقيقة عندي مشروع خطبة مع شاب يدعى محمد من ابو رمانة من حارة خالتي.
- الله يهنيكي ويفرحني فيكي يا قلبي
- تسلميلي وانتي كمان مو معقول مننى مصدقة اني قدامك...

بقيت اماني وصديقتها القديمة تتحدثان عن عشر سنوات مرت حتى اتت الساعة الحادية عشر ليلا وعادت ياسمين الى بيتها وهما لا يزالان يتعانقان ويقبلان وجنتيهما وقد اتفقا على ان يتقابلا ويتسامرا كلما أمكنهما ذلك.

كانت الساعة السابعة صباحا استيقظت اماني وفتحت باب شرفة غرفة نومها كي تصطدم روحها بنسمات ايلول الشامية...غمرتها نشوة بوقوفها امام قاسيون ...امسكت بهاتفها وكتبت له راسلة من كلمتين فقط "انا في الشام" ليجيبها عند الساعة التاسعة وهي بصدد احتساء قهوتها "اهلا وسهلا" ...لا تزال مشغولة بقرائتها لرسالته حتى اتصل بها وقالت بفرح:

- اهلا
- مرحبا
- اهلا فيكي بالشام
- تسلم
- نورتي
- نورك عاكس
- ايمت اجيتي
- منذ ثلاث ايام
- ولاتخبريني؟
- كنت ارتب بعض الامور هنا؟
- وماهي هذه الامور؟

- بيتي
- بيتك؟
- اجل لي بيت هنا في الصالحية وانا ادعوك لزيارتي اتقبل؟
- اجل ساكون عندك لكن كيف لي ان اعرف مكان بيتك هذا؟
- انه قريب من قاسيون تعال انت وسوف اكون بانتظارك لنذهب الى البيت سويا فقط اتصل بي عند وصولك.
- حسنا متى تريدين ذلك؟
- الساعة الخامسة جيد؟
- جيد... كوني بانتظاري.

كانت الساعة الرابعة والنصف وقد تأنقت وجهزت بيتها لاستقباله...وضعت اللمسات الاخيرة وجلست بانتظاره...خيم الصمت على بيتها حتى اصبحت تستمع لصوت نبضات قلبها المتسارعة...كم هي سعيدة بلقاء كهذا لم تتوقعه يوما..

بقيت جالسة على اريكة الصالون وهاتفها بين يديها تنتظر اتصاله..رن الهاتف...انتظرت الرنة الثالثة ثم اجابت:- الو

- الو انا في مدخل الاقامة
- حسنا اتية

نزلت العمارة مسرعة وقلبها يشتعل لهفة لرؤيته وجدته مبتسما امام السيارة بانتظارها ...رفع راسه ليراها امامه...قالت مبتسمة:

- اهلا
- يا هلا فيكي بالشام منورة
- نورك عاكس تسلم تفضل معي

صعدت واياه درج العمارة وادخلته البيت وقالت تفضل بالجلوس نورت البيت

جلس وقال لها

- الم تقولي لي انك لم تزوري الشام من قبل قط قبل مرتك تلك التي كانت في حوارك الصحفي ؟ اذن كيف يكون لك بيت هنا في الصالحية؟
- انه ليس لي
- اذن؟

- انه بيت والدي....اشتراه منذ زمن عندما جاء لدمشق
- ولماذا جاء والدك لدمشق؟
- بحكم عمله
- وماذا كان يعمل؟
- تاجرا....جاب اغلب البلدان المتوسطية وزار الشام كثيرا.
- اولم يجلبك معه قط من قبل؟
- لا كان ياتي بحكم عمله وانا لم اخبرك بذلك لانني لم ارى بدا من التحدث عن اهلي او عمل والدي فذلك من شان عائلتي لوحدهم
- محقة انما سألتك فقط عن يقين بانك لم تشتري هذا البيت في زيارتك هذه
- (ضاحكة) ...قطعا لم يحدث هذا

ارادت انهاء الحديث على عجل فقالت لقد بقيت تسألني عن البيت ولم تطلب شيئا تشربه اتريد قهوة؟

- اجل لكن حظري قهوتين عل اللقاء يطول."
- على عيني

كانت امام الموقد واقفة الى القهوة تحركها بملعقة صغيرة على نار هادئة...وهي تتذكر اياما خلت ...ايام اتت لاقامة في الشام مع عائلتها منذ سنتين لتعرفه وليحدث بقلبها ما حدث ولا يزال وشمه مطبوعا على شراييها ...عله يذكر انه وعدها يوما انه لن يترك روحا هي الاقرب اليه واخلف...هي تدري انه حاد الذاكرة وانها اذا لمحت له بمجرد اشارة لقصة قديمة حدثت معه سيذكرها لفوره...ظلت تسترجع اياما يئن قلبها تمنيا لعودتها...تستحضر صورا يرسم استرجاعها ابتسامة تغمر ثغرها دون ان تشعر ولم تجد الا دمعة تسقط في القهوة التي كادت تفيض فأطفأت النار وسكبتها بفنجانين ...مسحت دمعها وخرجت له بابتسامة باردة لا تفهم لماذا ترمقه بها ...بعض الناس حين نراهم نبتسم دون ان نشعر او نعرف لماذا....

وضعت امامه الطبق وقد زينت الصحن بالياسمين وعطرت القهوة بالزهر ...قال لها "يسلمو ايديكي" فجابته بسرور" الله يسلمك".

جلست الى الاريكة قبالته وقد غمرت رائحة سيجارته المختلطة بانفاسه وعطره قلبها قبل ان تطغى على صالونها وهي جالسة قبالته تنظر اليه يمارس على تلك السيجارة نفس العملية لدقائق طويلة...يداولها على فمه ثم يبعدها مخرجا تبغها على شكل دخان يتلاشى في الهواء....تماما كما فعل بقلبها منذ زمن...عندما استفرغ كل ما يمكن له ان ياخذ منها ثم رمى بها من وقته تاركا ذلك القلب الذي جن باسمه يوما كسيجارة محترقة استفرغ تبغها وانتهت صلوحيتها....اطبق على الصمت شفتيه هنيهة ...مكتفيا بالنظر وهو الذي لا

يصدقها في كل ما تقول والشك يتبادر الى ذهنه ...لماذا لم تخبره بامر والدها وبيته منذ البداية؟ وهل يعقل لفتاة تحب مدينة لم تزرها ولم يكن لها فيها اية ذكرى ؟ ما الذي تخفيه عنه من الحقيقة ولم تفعل ذلك ؟

هي امامه تبادله النذر اليه كلما امعنت في لمحة عينيه الثاقبتين تخوفت لا تدري مما بالضبط...هي لا يهمها للحظتها شيء عدا ان يصدق ما تقول وهي تدري نوعا ما ان الشك يراوده ويبدو جليا في عينيه...لا يهمها الان شيء عدا ان تبقيه تحت سيطرتها مستسلما بأفكاره لها مسلما بما تقول وواثقا فيما تشعر تجاهه ...هي على حرص ان تبقيه للوقت الاطول معها دون ان يعرف شيئا عنها وذلك اصعب ما يمكن لها ان تفعل امام شخص تتمنى وضع رأسها على كتفه لتنسى دنياها....

امام من لوحده يجعل مشاعرها في لحظة استرخاء قابل للبوح بكل ما في داخلها...هي تمارس جهدا وتبدو اشبه بنزاع معه في ميدان الصراع ل اتدري شيئا غير ان عليها ان تكسب شوطها....هي على ثقة انها تقدر لكن عليها ان تعرفه اكثر دون ان يعلم فيهرب كما فعل...

قطع ذلك الصمت فجاة ليوقظها من غفلتها بجملة "اشربي قهوتك ستبرد" بينما اخذ يحتسي هو فنجانه....قالت :

- هل اعجبتك؟
- اجل ذوقك رفيع جدا حتى في تقديم القهوة...اتعمدت تأنيق التقديم لاجلي؟
- ليس لك بالذات ...انما انا افعل ذلك مع جميع ضيوفي...معروف عنا نحن اهل الجنوب الكرم والذوق والتواضع والحفاوة
- اجل صحيح...اتجيدين الطبخ؟
- اجل اجيده...اوليس الطبخ شبيها بالحياة؟...لا ننال ما نريده الا بعد انتظار طويل وزيادة اللوازم في الوقت المناسب حتى نحصل عليه مرة كما اردنا ومرة كما شاءت له الاقدار ان يكون.....انما الحياة اشبه بوجبة علينا التاني والانتظار الطويل كي تكون بأيدينا ...كما نتمنى لها ان تكون واذا ما تسرعنا او تهورنا فلن نجدها الا احترقت ولم ننل منها شيئا.
- الى متى ستبقين في الشام؟
- ربما اسبوع
- اليس بمقدورك ان تطول اقامتك قليلا.
- لماذا؟
- انك كلما اتيت الى الشام بقيت فقط بضعة ايام

(ضاحكة) يكفي ذلك كي لا تملوا وجودي عندكم.

- ولو بزعل منك ها لو بتعيشي عنا هون بالشام ما رح نمل منك

- شكرا كتير لكن لا يمكنني اطالة مكوثي هنا بسبب عملي
- معك حق
- ثم انك منشغل عني في المعسكر وفي الجبهة من اجل من سابقى انا ؟

ظل ينظر اليها بصمت...قطعته قائلة :

- هيا فلنذهب للعشاء سويا كما اردت فعلي العودة باكرا الى البيت غدا طيارتي ستكون فجرا

كانت الليلة الاخيرة لاماني في الشام ...اتت اليها ياسمين ليلا وسامرتها....

- حقا ستعودين غدا للجنوب؟
- اجل لقد قمت بجمع اغراضي وتجهيز نفسي ساستيقظ فجرا لاجل العودة
- الله يوصلك بالسلامة
- شكرا
- اوعك تنسيني
- ولو؟
- سوف اكتب لك رقمي كي نبقى على اتصال
- حسنا افعلي
- اماني رايتك مساء تستقبلين شابا وسيما في بيتك من يكون؟
- انه جندي من الجيش العربي السوري
- اهو شامي؟
- لا قرداحي
- بجد؟و كيف عرفته؟
- الحقيقة انا اعرفه منذ زمن طويل...منذ اتيت الشام وعشت فيها
- منذ كنا صديقتين؟
- اجل
- وكيف التقيتما؟
- لم نلتقي
- اذا كيف وجدته؟
- رايته في لقاء تلفزيوني صورته احدى زميلاتي في القناة
- وهل اتيت الشام من اجله
- ربما

- اتحبينه؟
- كنت منذ زمن والآن لا اعلم.
- ما الذي تغير؟
- لا ادري ...كل شيء تغير ...فقد مر عقد باكمله والناس والدنيا يتغيران كل يوم...لا اعلم اتراه مجتبى الذي عرفته منذ عقد هو مجتبى الذي يقف امامي اليوم
- الا تزالين على شعورك القديم تجااهه كلما رايته؟
- ...
- لماذا تصمتين ؟
- لا ادري ماذا يساورني كلما راتيه كم اخافه واخاف نفسي امامه
- تخافينه؟
- اجل انه يجعلك مرتاحة معه تماما ما ان جلست اليه الا وتجدين نفسك تقولين كل ما بداخلك دون ان تشعري ...انه يجعلك تبوحين له بكل شيء دون ان ينطق هو بكلمة واحدة عن نفسه وهذا النوع من الرجال يخيفني ويربكني ...انه ينبش ما بداخلي بسهولة ...اشعر انني بحاجة لحزام امني ينذرني انزلاقات كلماتي امامه...يجنبني انجراف عواطفي قبالته...انه ينسيك حتى ان تحذري ...فقط ياخذك اليه وكأنه أنامك مغناطيسيا ....لا تشعرين بشيء مما حولك لساعات وانت امامه...
- اكل هذا يحصل لك عندما تجالسينه؟
- اجل واكثر لا يمكنني وصف كل شي لانني انسى نفسي وانسى مشاعري امامه
- اتظنين انه يفعل ذلك بكل من تجلس اليه ام انك تشعرين بذلك بسبب حبك له؟
- لا اعلم اظن انه كذلك مع الجميع فهو ليس باسلوب يمارسه علي لنما هو طبعه وهكذا خلق وهكذا هو لا يمكن له ان يتغير انه كذلك مذ عرفته.
- شوقتني لمعرفته
- انا من اشتاق ذلك فلا ادري لماذا كلما التقيت به شعرت أنني ازداد به جهلا لا معرفة...اتعطش لمعرفته ولا اقدر على ذلك فهو لا يسمح بذلك لأي كان.
- قلت ان اسمه مجتبى؟
- اجل واظن انني تحدث اليك عنه سابقا.

...

- ياسمين بماذا تفكرين؟
- تذكرته

- حقا؟
- اليس هذا الذي سهرت طويلا تبكين فراقه وانت تقولين "لقد خسرته ولن يقدم لي احد تعويضا عن ذلك""لقد كان سعادتي وخسرت سعادتي بخسارته" وقلت لك "اتريدين ان اجعله يندم على ما فعل بك واخذ حقك؟" فقلت لي " لا لا اسمح لاحد ان يؤذيه ولا اريد اخذ حقي منه"
- اجل هو ذاك
- حقا؟ امازلت تحبينه وتريدينه؟ هل اتيت الى الشام مجددا من اجل شخص فعل بك ذلك؟
- اردت ان اخذ القصاص لقلبي منه
- وماذا حدث معك؟
- وجدت نفسي اقع بحبه ثانية
- اجننت؟ كيف ذلك؟ كيف تضعفين امامه بهذه السهولة؟
- لا تخافي لن اهبه قلبي ثانية ببساطة
- احذريه انه خطر ...لا ادري كيف رضيت ان تعودي له ...لقد حاولت فهمه كثيرا ولم تستطيعي
- لا تقلقي لن اخطا كما اخطأت من قبل
- اعرف انك انت "اماني"؟
- لا كيف له ان يعرف ؟ لن يفعل
- انشاالله مايرجع يصير فيكي الي صار
- لا تفكري كثيرا عزيزتي.

نظرت ياسمين الى ساعة يدها وقالت انها الثامنة والنصف اظن ان علي ان اتركك لتنامي باكرا

- شكرا عزيزتي
- غدا لن اتمكن من توديعك صباحا لانني اعمل
- تعانقتا ...لا بأس عليك ياسمينتي يكفيني فرحا انك قضيت معي سهرتي
- من عيوني حبيبتي بس توصلي الجنوب خبريني اوعك تنسي او تقطعيني برجعتك
- لا ابدا سنبقى على تواصل منذ الان عزيزتي تعرفين انني مخلصة فبعد افتراقنا منذ عقد كتبت اليك كثيرا
- اجل ....ولا اذكر لماذا انقطعت اخبارك فجاة...
- ربما كان قدرنا الا نلتقي الا بعد كل هذا الوقت
- فلتصلي بالسلامة في رعاية الله

كان الصباح واخذت اماني طريقها نحو الجنوب...

ذات بكاء خفت لو يغيرك الزمن ولا اعود اعرفك بعد لقاء وبين دمعتين دعوت "لاجعلك الله غريبا عني يا وليف روحي" قلت يومها " اعلم ان الفراق قد حصل وسألقاك في غد بائس وقد تغيرت لكن قلبي يريد ان يحبك فلا تمنعه"

فإكتفيت بالصمت....كم هو مستفز صمتك ذاك الذي ياتي في الوقت المناسب للكلمة...

لا اصدق اليوم انني اذهب اليك بقدماي لاحظى برؤيتك لا اصدق انك تغريني مرة ثانية بالاقتراب منك لا اصدق انني اتيت للانتقام منك لاجد نفسي اقع في حبك مرة اخرى

ماذا تراك فعلت بي كي اطلب رؤيتك واتي اليك ؟ لماذا تراني افعل هذا ولماذا تراك تتبعني في ذلك ؟ لماذا تفعل بي رؤيتك كل هذا؟

كم اؤمن بأن اناسا عديدين في الدنيا تجمعنا بهم لقاءات معدودة ويبقون اثر رحيلهم راسخين بذاكرتنا قابعين في قلوبنا ساكنين اعماقنا ...على عكس اخرين نعيش معهكم كل يوم ولا اتصال لارواحنا معهم اطلاقا...لماذا تراك تبقى بداخلي وتابى الرحيل وكانني لا ازال مراهقة صغيرة ابنة ستة عشر عاما وان اقف امامك....بعد ان بقيت اسال نفسي طيلة عقد.

كم تغيرت من مرة؟...كم تغيرت الحياة بداخلي من مرة؟ كم تغير الناس من مرة؟ كم دارت الارض من دورة ؟ كم غريب رحل عنها وانت لم ترحل عني لست سنوات والكل تغير ....اتدري مامدى جرم ان تجعل احدا يوقف قلبه على ساعات ايام مضت فقط كي يبقى على وفائه لك....اهناك شيء لم يتغير منذ وقتها حتى اللحظة... هو الوحيد قلبي الذي لم يفعل

كم اضعف امامك وكم اقوى بك ...وكم كنت قويا امامي وضعيفا بي ...

اعلم ان ليس لقائد مثلك ان يرتدي لباس الوهن امامي لكنني كنت على يقين داخلي واقتناع ذاتي انك كنت تضعف امام كلماتي وانني يكفيني فقط ان اتكلم كي انبش ما بداخلك ولم تعترف...ولازلت لا ادري سبب ذلك...وقد اكدت لي ذلك يوما عندما قلت لي " انا بعرف انك بتعرفي عني شغلات انتي ما بتعرفي اني بعرف انك بتعرفيها" ثم قلت "فهمتي شي" اكتفيت بضحكي امامك وقولي "لا" لكنني فهمت واهتز قلبي فرحا لتلك الجملة....وتعطشت بسببك للكتابة اكثر...كنت اعلم انك تحب كتابتي ومكنت غبية لانني ظننت انك احببتني بحبك لها....ولكنني كنت على اسف انك لم تعلم لم كنت اكتب كل ذلك...ولاجل من ؟...تساءلت كثيرا اتراك الم تتساءل لمن كنت اكتب ؟ اتراك لا تدري ان لكل امراة من لاجله تكتب ؟ ادري جيدا انك كشفت حبي لك ولكنك اردت سماع ذلك مني ولم ارد قوله لك لانني لم اكن احلم بان اكون اكثر من صديقة مقربة امنك تثلج صدرها بإسماعها هموم قلبك وتعريك من اسرارك امامها ولم تقبل...ولم اقبل ان اكون ما اردت انت...لكنني تساءلت كثيرا ماذا تراك فعلت لو انني قد قلتها لك ؟

الجزء الثاني....

"ها قد إلتقيا على شيء اخيرا فهل كنا مفترقين؟"

حسن سامي يوسف

لطالما شد انتباهي وأثار غرابتي الخريف بتقلباته الشديدة وغموضه المربك...

لطالما احسست انه يخفي شيئا ربما هو يحتضن خلفه الشتاء رافضا ان يعلم احد ذلك...لطالما تساءلت...ايحب الخريف الشتاء؟هل تنه من انجبه؟ايخفيه وراءه طيلة اشهر حتى يلده مع بداية سنة جديدة؟ دائما ما شعرت ان الخريف اب جميع الفصول لانه لا يخرج الا وقد ولد سنة جديدة واجهض اخرى....اذن هو من يهبنا الحياة والامل ببدايات جديدة....هو فصل الحياة والموت والانبعاث....حيث تنبثق من صلبه نهاية حياة وبداية اخرى ....وتنبعث من جديد في ليلة بين فصلين ....اشعر احيانا بانعزاله وانانيته وحب انفراده وتفرده عن بقية الفصول....واحيانا اشعر بانه يحتضنهم جميعا...اجل انه اب الفصول ولولاه لما كان وجود الشتاء ووجودي ...فولا الخريف لما كان الشتاء....اي لولاك لما اتيت الى هذه الدنيا...لذلك انا احيا كي احبك بلا ملل يا ابن تشرين يا باعث الحياة في نفسي ....في ليال تشرينية كهذه كنت امضيها بدونك...كم تمنيت لو قلت لك فقط مرة ثانية بعد تلك المرة التي كانت منذ عقد من الان....كلمة " كل عام وانت بخير"...رغم ادراكي جيدا انك لا تنتظرها مني ولا تعبأ لسماعها بصوتي....كنت يوم عيد ميلادك اشعر انه يوم انبعا روحي...كان اليوم الذي احتفل فيه بميلادي بدل يوم ميلادي الحقيقي....بل انني لم اكن استحق احتفالا بيوم ميلاد....فقد كان كل يوم تستيقظ فيه انفاسك وتخطو فيه على الارض بقدميك...اشعر وكان الارض تاتي لي وتعلمني بانها تتحسس مشيتك وتعقلها وانها تسمع نبرة صوتك وصرخاتك وضحكاتك وانها ترى ابتسامتك ونظراتك...لتأتي وتهنئني بان ابن قفلبي بخير...فاعيش بقية ساعاتي على فرح ....يكفي لانني اتنفس واياك في نفس الوقت واخطو واياك في نفس الوقت واعيش واياك ولا نزال على قيد الحياة سويا وفي نفس الوقت....حتى ولو لم نكن على نفس الارض...حتى ولو لم تكن تذكرني.....حتى ولو لم تراني...حتى ولو لم اكن شيئا في حياتك يومتا....يكفيني سعادة انك في الحياة معي....فانا لم انتظر منك يوما حبا او اطراء او اشتياقا او اهتماما او ان تتذكرني او تتحسر على غيابي....انا التي احببتك بلا مقابل فكانت قصتي معك بلا عنوان....وهل تراك تدري مدى وجع تشرين يأتي بدونك وخريف لا يسجل حضورك في قائمة الاسماء من حولي؟

في كل موسم كهذا كنت اذكر ايما كهذه كنت معي فيها مرة واحدة وعيد ميلاد لك كان معي لم يتكرر...واه لو تدرك مرارة ما حصل فقط مرة واحدة ولم يتكرر ابدا...طيلة عشر سنوات يئست فيها من ان تعود سنة

كتلك السنة ويوم اشبه بتلك الايام ....عادت اليوم بعد يأس....لكن بنكهة مغايرة لما كانت عليه منذ زمن....عادت بصيغة مختلفة عن صيغة مضت....كم اتمنى عودتها ....لكن عودة الماضي مستحيل....

لست سنوات لم تذكرني فيهن....امضيت جميع فصولي انتظر الخريف ....انتظر ايام تشرين....كم تشبه تشرين الثاني...بنفس عمقه....وبنفس تقلباته...حزنه وغموضه...لك نفس دفئه وبرودته....كنت في كل تشرين وكأنني اعيشك انت لا تشرين.

طيلة عقد من الزمن بقيت أحيا على أمنية قضاء ليلة تشرينية واحدة برفقتك...لا ادري ماذا كان خطئي كي تضيع مني ايام كنت اسهر ليلا اصلي لعدم فقدانها....ربما كان خطئي انني اغرقتك في ظلمات قلبي وأشعلتك حبا حتى احترقت بداخلي ورحلت تاركا خلفك رماد حبي ...تميتني به كل يوم الف مرة...او ربما هو الله اراد اختبار صدق مشاعري نحوك وحرمني اياك جاعلا اياي اعيش على حبل من الوفاء اخاف ان يقطعه بي غدر الزمن فيوقعني في حب يجعلني اخونك ...لكنني كنت على اقصى درجات الايمان بان عيناك وحدها التي تستحق اخلاصي لها....

ربما علينا ان نبقي الاخر مجهولا في ذواتنا كي نكتسبه لوتق اطول....اولئك اللذين عشقناهم كيف لنا ان نواصل الحياة وكأننا لم نعرفهم...كيف لنا ان نواصل الحياة وكتان شيئا لم يحصل....كم يحتاج القلب من دعسة حتى تنسى عروقه اللوعة وتشفى دمائه من نار الفراق التي اكتوى بها لسنوات ولا احد يعلم بحاله....هل سمعت ان الانتظار اضحى مهنة؟ طيلة فترة غيابك امتهنت الانتظار....بعد ان حاولت جعل نفسك صفحة مطوية بغبار الزمن في كتاب عمري منعتك وبقيت اكتبك كي لا تمحى ...وماذا افعل بالكلام الذي لا ينتهي عنك؟ وهل تكفي رواية؟ وهل اقسى عقابا بحق حياتنا من ان نضيع وقتنا في انتظار ما قد لا يحصل؟

اثر خسرانك...اضحى الموت ممارسة يومية يعيشها قلبي ....ولم يبقى لي غير ان احيا على شرف معرفتك....

كنت اكرر دائما ان لاخير في حب يغتاله الفراق ويدفنه النسيان....وعلى كل من غادر ان يموت يوم رحيله...وهل تراك تدري مدى الم حب مسح دمعك يوما ما يتسبب اليوم في نزول عبراتك؟

كان ذلك اليوم الذي نعيت فيه فراقك اشبه بجنازة لقلبي...وكنت بحاجة لحسينية لنعي فراقك... عهدت الى نفسي ان تبقى اسما مخبا في قلبي لا يقراه احد....اعلنت عليك الذكرى وحرمت على اسمك النسيان...وبقيت اقنع نفسي انك مادمت تعيش بداخلي فلم يحصل بيننا فراق....كنت على قناعة تامة بان لاشيء نخسره طالما يعيش بداخلنا...مع كل شروق جديد ابدا صباحي بسؤال نفسي ماذا تراه يغير بك يومك هذا؟ اتراه ينسيك اياي ؟ ام يملا قلبك حقدا علي وشهوة للانتقام مني ؟ عندما كنت الى جانبي كنت

كلما نظرت لعينيك سالت نفسي من اكون بداخلك والى لحظتي هذه لم اعلم من انا بعد....كنت اريد ان ارى نفسي بعينيك وانت لم تعلم....

كنت في تلك الايام اقول في اعماقي ستبقى حبا يسكنني وهم لا يعملون لكنك بين لحظتين وبين يومين وبين عيدين جعلتني اقول ستبقى حزنا يسكنني لن يبتسم بعده قلبي لاحد....

لم ننجح سويا لانك رجل الاقتراب منه اكثر يجعل فراقه اسهل...ولان تأمل الجمال عبادة...كان النظر بوجهك احد اركان عبادتي ...رحلت وحرمتني احدى ممارساتي التي كنت اتقرب بها الى الله...ولانك لست لي عزمت على ادمانك....ولان القمر لايغيب انت لم تفارق ليل قلبي يوما....انت من دخلت حياتي غزوا ولن اغفر لك ذلك الدخول المباغت والخروج الصاعق....انت الذي ورطتني في جريمة عشقية محرمة خرجت منها بريئا ولا تمكنت من محاسبتك ولأغلق ذلك الملف الذي قضى على قلبي....غرقت بك وما دريت وقتها ان القدر كان يجهز لموت قلبي ....اتنتظر مني ان انسى وانا التي ما كتبت يوما الا لاجل ان اكون امرأة في حياتك...ولا صليت الال اجلك...ولا دعوت لأحد من قبلك...ولا بكيت فراق احد سبقك الى فؤادي...ولا التجأت الى النوم إلا لأراك في احلامي...اتدري؟

كنت اخاف ان يأخذ الله كما فعل بي لأنني احببتك كإبني والأم لا تنتظر مقابلا من ابنها عما تعطيه....بقيت طوال كل هذا الزمن امشي على سلم القدر منتظرة اين يوصلني وإذا به يرمي بي عند قدميك بعد ان قلت اننا لن نلتقي لا هناك في الدنيا التي لا فراق ولا نهايات فيها وسيبقى قلبي محترقا طوال عمري لن تطفئه نظرة باردة ممن عينيك ولن تغسل ترسباته آلامه لمحة جافة من بين جفنيك...بعد كل ذلك...ولازلت لا اصدق انك حقيقة امامي انك لست وهما ولست سرابا كنت اعيشه...انما انت ذلك الحب الضائع الذي عاد اليوم ليعيد لي نفسيه بشكل جديد بعدما عزمت على الانتقام لقلبي منه....دائما ما تاتي الينا الحياة بما نتمناه لكن بعدما لم يعد امنيتنا ولم نعد نريده او نحتاجه...الحياة دائما تعطينا ما نريده متاخرة حتى تحرمنا لذة الحصول عليه....دائما ما تعيد لنا شيئا من الماضي بشكل جديد....لكن ليس لاجل ان تسعدنا به وتنسينا الم فقدانه وخسرانه وانما لتدمر حياتنا....

اليوم هو العاشر من تشرين الثاني ...ولم يبقى الا تسع ايام على يوم ميلادك السادس والثلاثون...ماذا تراني اقدم لك كهدية وكيف؟ كيف عساني اقدمها لك مقنعة اياك انني لا اعلم انه يوم ميلادك ...وان ذلك قد حدث صدفة....لطالما تمنيت ان اقدم اليك حياتي هدية علك تنكر زيف مشاعري كما كنت تتوقع وربما لا تزال...لا ازال على انتظار فرصة يهبني اياها قدري لاقدم فيها حياتي لك على طبق من وفـاء علني اكون رفيقة دربك في الجنة...علها لا تسرقك مني انثى اخرى في الاخرة كما حصل في الدنيا....

لازلت اذكر جيدا ذكرى ميلادك السادسة والعشرين الوحيدة التي مكنت واياك سويا وقت مرت...لا ازال اذكر كيف انني ولأول مرة اشعر ان ميلاد شخص هو يوم انبعاثي ثم الذكرى التي تلتها كتبت فيها رسالة

لك وقتها لم تبعث ولم تصل...ليتك قرأتها...لازلت احتفظ بورقتها التي اصفرت بمرور الزمن وتبللت بدموعي وانا اخط كلماتي عليها وقد كتبت لك فيها "غدا تبتدئ سنة جديدة من عمرك في غيابك عني او ربما غيابي عنك...غدا يبدأ لك عمر اخر بدوني...بعد ام سرقت عمري فلم يعد ملكي...غدا تقلب صفحة من حياتك ربما كان اسمي فيها ...اتراك ستذكر يوما ان اسمي تدون في احدى صفحات حياتك حتى السيئة منها؟...اتراك تحتفظ به في مكان ما من ذاكرتك؟ ام تراني اغدو ذكرى بالية لا يسرك استرجاعها؟ هل القاك بعد يومي هذا؟ انلتقي مجددا في سنة غير هذه التي مضت كومضة من سعادة في حياتي....ليت ذلك يحصل

"ليلة الثامنة عشر من تشرين من سنة الحب"

في ليلة لم انم فيها اقمت فيها عزاء لنعي تلك السنة ...لم ادري ماذا كان علي ان افعل لاستقبال سنة جديدة من عمرك....أأبكي تلك السنة التي اسميتها "سنة الحب" والتي كانت الوحيدة التي التي شهد قلبي فيها الوله؟ام افرح بانتهائها لانها فرقتنا؟ ام اشارك فرحك بعيد ميلادك؟ ليلة سهرت فيها اذرف عبارات حسرتي وشوقي وابتلع شهقاتي قهري او لازلت للحظتي اعيش في سنة واحدة مضت هي تلك التي عرفتك فيها ولم اجد ليلتها غير الليل رفيقا والنجوم انيسا والجبال حولي تواسيني تسمح دمعة انزلها غبائك على وجنتاي؟ اجل كان فراقنا بسبب غباء بدر منك....لا اكثر...وهل اكثر قهرا من علاقة تنتهي ل "لا سبب.

ما اروع الشام في ثوبها الابيض!

اتت له في لحظة هروب من الساعة وذعر من الوقت ولهفة للقاء...

لا يمكن لشغفها بريحه ان يقاس بمعيار ولا لسرعة هروبها نحو صوته ان تقاس بوحدة...قلبها يركض صوبه بعمى الحب ...لا يرى امامه غير قامة وليفه...اي جنون ترتكبه واي حماقة؟

الرجل ليس في اجازة كي يلتقي بها سيخرج من ساعات عمله لاجل ان يراها ...ماذا يجب عليها ان ترتدي؟ كيف لها ان تقف ...ان تتحدث ...ان تتكلم امامه؟ كيف لها ان تغريه بلقائها هذا الى لقاء اخر بعده؟ هي تدري ان "علينا ان نستعد دائما للتفاصيل الغير المحسوبة"...لذا عليها ان تأخذ حذرها مما قد يحدث وقد لا تعيره اهتمامها...فهي تدري انه يقبل بالمغامرة على ان الخطأ معه لا يغتفر وقفت ربع ساعة امام المرآة ماذا ستلبس ؟ بما ستتزين؟ قررت ان تضيف جاكيت عسكرية لقميصها الاسود المرصع وسطه بالنسر السوري وبنطلون عسكري شبيه بالذي يلبسه....هي تدري انه لن يجد الوقت لتغيير ملابسه وسيأتي اليها بزيه العسكري...لذا هي تريد ان تكون شبيهة به في لقائها هذا...ركبت سيارتها واتجهت نحو مكان اللقاء....

هو كعادته متجه لمدخل المقهى بظهره وبين شفتيه سيجارة لا تقدر لها بثمن...اتجهت صوبه بخطوات ثقيلة وخفقان سريع...

هي لا تخاف الدنيا عندما تكون معه هي التي على استعداد دائم لخرق جميع قواعد المنطق والمعتاد فقط لتحظى بلحظة اضافية معه..اتتله في تشريني خريف ممطر....تغطت فيه شوارع الشام بالثلج والبرد....انه يوم ميلاده...اليوم التاسع عشر من تشرين الثاني....وهي تدري ان عليها ان تكذب كي لا تكشف غاية مجيئها وتخاف ان يكشف كذبها.

"انه يوم ميلادك ولا يمكنني التفريط في لقائك في هكذا مناسبة...ماذا تراني اهديك ليبقى لك مني ذكرى بيوم كهذا ؟ كيف لي ان اقدم لك هدية باقناعك انني اجهل انه يوم ميلادك؟ لطالما امنت ان العظماء يولدون في الليالي العظيمة كهذه وكم كنت وستبقى عظيما كما تشرين"

اتفقت واياه على الالتقاء في احدى المقاهي على الهاتف...دخلت فوجدته جالسا كعادته في كرسي مركون باحدى زوايا المقهى...ذهبت اليه...صافحها بابتسامة...بعد ان وضع السيجارة على الطاولة...

- صباح الخير اهلا وسهلا

- صباح النور هلا فيك

- تفضلي

- يزيد فضلك

- اكنت بالشام؟ لماذا لم تخبرني.؟

- من قال لك؟

- قلت لنفسي هل اتيت الى الشام اليوم لاجلي بهذه السرعة؟

- اجل في الحقيقة انا هنا منذ عشرة ايام

- حقا؟ ولا تخبرينني؟

- اعلم انك في ساحة المعركة ولا يمكن لك ان تلتقيني لم اشأ ازعاجك او تعطيل عملك

- ولو ليس في ذلك أي ازعاج ...متى يكون لدي وقت فانا جاهز لرؤيتك

- على كل انا عائدة غدا الى الجنوب وربما تكون هذه اخر زيارة لي الى الشام قبل السنة الجديدة

- ليتك تأتين ليلة راس السنة الى الشام

(ضاحكة)...لا استطيع انت تعلم اننا نعمل في تلك الليلة كباقي الليالي والايام

- اعلم...وفقك الله ...ربما نتحدث

- طبعا ...سنبقى على اتصال

- اردت قبل عودتي الا اعود كما اتيت

- ماذا تقصدين؟

- لقد خطر ببالي ان اهديك شيئا متواضعا قد يفرحك قبل رجوعي الى الجنوب..

وضعت على الطاولة كيسا ملونا في هدية مغلفة ...وقالت

- اتمنى ان تقبل مني هدية متواضعة تتذكرني بها.

- اعلمت ان اليوم هو يوم ميلادي؟

- حقا؟ (تظاهرت بالتفاجئ) ...لا لم اعلم ومن تراه يخبرني كل عام وانتب الف خير اذا هديتي اتت اليك بالوقت المناسب.

- هه اجل يالها من صدفة .. نظر لها محاولا ابداء عدم تصديقه لها...وقال:

- متى عائدة الى الجنوب ؟

- غدا باذن الله

- توصلي بالسلامة

- تسلم

- غريب امرك

- ما الغريب؟

- كيف لك ان يخطر ببالك ان تهديني هدية تصادف يوم ميلادي.

- معليه كرمال ما تقول "اماني نسيتني"

- له ولو

- اذا انت ابن تشرين؟

- اجل

- تشبهه كثيرا

ساد الصمت بينهما لوهلة تمنت لو انها لا تنتهي

- على كل ...كل عام وانت بخير واتمنى ان تعجبك هديتي

- لازالت من غالية مثلك مؤكد انها غالية على قلبي.

- تسلم يا غالي

- فلتصلي بالسلامة الى الجنوب اعتذر علي الذهاب الان

- شكرا في حفظ الله

غادر كرسيه واخذ طريقه بينما بقيت ترقب خطواته ومشيته نحو باب المقهى وقد ترك سيجارتين مطفئتين في صحن السجائر الصغير على الطاولة..بقيت تنظر اليهما ثم اخذتهما ووضعتهما بجيب جاكيتها ...كم تحسدهما...تينك اللفافتين اللتين التصقتا بشفتيه حتى الذوبان...وتبللتا بريقته حتى الانتهاء وامتص تبغهما حتى اختلطت رائحتهما بانفاسه...منذ دقائق كانت شفتيه تحضن كل واحدة منهما ثم يتلفهما...وضعتهما في جيبها وغادرت.

كانت في الضاحية وقد قارب شهر تشرين الذي تحب من الانتهاء لتستقبل اخر شهر في السنة...كانت

كانت في الضاحية وقد قارب شهر تشرين الذي تحب من الانتهاء لتستقبل اخر شهر في السنة...كانت

في استراحة بين فترتين من عمل جالسة الى هاتفها تتصفحه ليبعث اليها برسالة فجاة قائلا... "اهلا"...

فأجابت:

- مرحبا كيفك.

- حمدلله تمام وكيفك انتي ؟

- بخير

- اردت شكرك على هديتك

- عفوا لا شكر على واجب...هل اعجبتك؟

- اجل...مصحف ومسبحة خضراء في علبة من فضة هدية راقية لكنها لابد لان ترمز لشيء ما اردت قوله لي

- اجل ...اردت فقط تذكيرك بالا تنسى الله

- وهل تظنينني انساه؟

- لا يعلم ما في قلوب الناس احد عدا خالقهم...انا لا ادري اذا ما كنت تنساه ام لا ...لكنني اشعر ان من واجبي تذكيرك به.

- من واجبك؟ ولماذا ذلك؟

- ربما لانني اريد لك كل الخير وهل من خير للانسان في دنياه افضل من ان يحبه الله بفضل تعبده وتقربه؟
- صحيح...على كل شكرا
- لا شكر على ولجب مرة اخرى ....ما يسعدني اكثر من اعجابك بهديتي هو تقديرك لها
- وكيف لي ان اقدرها بغير الاعجاب؟
- ان تذكر الله كما اردت لك ان تفعل...عندها فقط ساكون سعيدة
- ساذكره كما تذكرينه
- اذكره اكثر مما اذكر

"لا اعلم اذا ما استغربت من هديتي تلك ام لا؟ او وجمت امامها ام لا ؟ لكنني ادرك جيدا ان هدية كتلك لم تخطر لك ببال من واحدة مثلي لا تعني لك الكثير او ربما لا شيء ...ربما لانك لا تعلم تعلقي بك ورجائي تعلقك بالله...كم دعوت ان يكون سبيلك الى الله يسيرا ودربك نحوه قصيرا ...كم حلمت ان تكون من المقربين اليه...ان تكون صفوته من عباده وخيرته من خلقه...ان تكون من السعداء لا الاشقياء...وان تكون من الضاحكين المستبشرين وكم كنت تعذبني كلما اعلم انك في المقابل وفي نفس الوقت الذي اجهد نفسي فيه بالدعاء لأجلك تقضي سهراتك منتشيا بإحتسائك ما حرم الله ...

كم كان ذلك يقرفني...وكم كنت اشعر بالغثيان والرغبة في التقيا كلما رايتك على ذلك الحال ...لا اعلم اذا ما كان كل منا نعمة للاخر ام ابتلاء له...لكنني اعلم انني تقربت نمن الله لساعات من اجلك فربما يكون الله قد قذف بحبك في قلبي لانه احبك واراد لك الخير...وربما يكون قد جلبك الي لتكون سببا في تقربي منه...فيغسل بذلك ذنوبي لا ادري بالضبط ...لكنني فقط اعلم انك كنت كل لحظاتي كنت اعيش اقصى درجات راحتي وفرحي عندما استحضر اسمك في سجداتي داعية لك...واموت حزنا عندما اذكر خسرانك فأنام ليلي باكية حالمة بك...كنت السبب في عيشي اقصى تناقضاتي...لكم عشقت الله لانه خلقك وصورك جسدا نفخ فيه من روحه...لكم اشعر بقداستك ولم اياس يوما من دعائي لك بالهداية مهما ضل وضعك على حاله ...لان امي علمتني ان الام لا تيأس من رحمة الله ومن دعائها لأبنائها...لذا كنت اريد ان اكون تماما امك ...كم اعشق تلك التي انجبتك الى الدنيا واتوق لرؤيتها وتقبيل جبهتها ويديها..تلك التي خلق قلبك على حبها وفطم على ارضائها ..تلك التي كان وطنك الاول رحمها وأحشاءها وغذائك الاول دمها ولحمها وعظامها...كبرت على يديها وعاشت معك كل لحظة من حياتك...وكلما خفت او بكيت ارتميت بحضنها ...تلك التي فتحت عينيك لتضمك الى صدرها ليكون ريحها اول رائحة تشتمها بحياتك تلك التي تعلقت بحلمة ثدييها لأشهر وساعات وغرست يديك الصغيرتين بصدرها وخفت وحدتك بغيابها...تلك التي نزلت من جسدها وخلقت من روحها ولفظت اول انفاس لك بين جنبيها....

تلك المرأة الاولى والأخيرة بحياتك الذي يحظى اسمها بالقداسة الاولى في قلبك...تلك التي اقمت بداخلها تسعة اشهر ثم خرجت لتقيم في احضانها بقية حياتك...تلك التي ستعاني اليتم وستموت حزنا بعدها....لكم احسدها ولكم احب ان اكون مكانها !

"كل اللذين احكموا اغلاق ابواب قلوبهم خشية الوقوع في الحب هم لا يدركون ان السارق الحقيقي لا يأتي عبر الابواب"

روناين

انه الخامس والعشرين من كانون الاول/ديسمبر

انه يوم الميلاد....لبنان على احتفاله بذكرى ميلاد المسيح المجيد(ع) وقد اكتست شوارعه ببياض الثلج وبرودة اخر شهر من السنة ...جميع المحلات مزينة باشجار الصنوبر المرصعة بالاحذية الحمراء الصغيرة والحلوى الملونة ... الناس بصدد شراء الهدايا لاطفالهم والبلد تعج بالحركة بالرغم من الصقيع وبرودة الطقس...في يوم عيد كهذا عرفتك...

وفي كل يوم ميلاد كنت احتفي بذكرى معرفتي بك...

يومها اتيتني من حيث لا ادري ولسبب لا اعرفه حتى الان...في "صحنايا" كان اوال لقاء لنا..اذكر يومها ان ثاني لقاء بعد ذلك كان بمبادرة مني ولم يكن لك بي اهتمام...مابين شجاعة وخوف وقوة وضعف وانجذاب وانفة كنت اقترب وابتعد محاذرة مسافتي منك...لا ازال اذكر كل كلمة دارت بيننا وكن تتحدث كعادتك بهدوئك التام...بينما تعرض قلبي على وقع ذلك اللقاء لرجة عاطفية لا يزال اثر خرابها باقيا فيها حتى اللحظة... لا يمكنني تصديق ان مجرد لقاء باحد الناس جدير بقلب حياتنا خمس مائة درجة مئوية...بمجرد لقاء ترتج مشاعرنا ولمجرد رجة تنقلب حياتنا...كانت الساعة العاشرة صباحا وقد ابتدرتني لحظتها بكلمة "مرحبا" لتضخ بتلك الكلمة الفي برميل من حب في قلبي...

لا اذكر ان بداية او نهاية واضحة كانت لحكايتنا...فقط ثماني لقاءات وبضع صدف جمعتنا كانت فاصلة قطع بين فترتين من حياتي...

ما اجملها لحظة كانت !

عادة ما تكون افضل لحظات معرفتنا بهم هي لقائنا الاول ممعهم لحظة كنا نجهل حقيقتهم...في ذلك اللقاء الذي نتحدث فيه اليهم دون ان نعرفهم ونعرف ماذا هم حقيقة...ما احلى جهلنا بحقيقتهم !

يومها كنتاتحدث اليك ببرود قاتم حتى ظنن انك لاحظت ذلك ولم يعجبك...وما ظننت ان ذاكرتي ستحتفظ ببضع اللحظات تلك وتحبها الى هذا الحد وماتوقعت امن قلبي سيعبق بعشق ريح بذلتك الخضراء تلك التي

جعلت مني كاتبة...خلال عقد من الزمن اصبحت شهيد حبري واضحى قلمي بارودتك وورقي زيك العسكري, طيلة تلك الفترة بقيت اكتبك كي اعيش معك على ورق حياة لم اقدر على عيشها في الحقيقة ... لايسع ورقي الحديث عنك فالحديث عمن نحب لاينتهي...اه ياسيد قلبي ! كم يستغيظ قلبي غيرة من تلك التي ستكون احق بك مني وهي بعيدة عنك الف ميل من حب اتراها توجد انثى اخرى غيري تفعل ما فعلته لاجلك؟ اتراها توجد تلك التي هي احق بك مني ؟

اه اسيد امري ! كم تقتلني تلك التي ستسرقك مني وستشاركك حياتك ...ستكون ام اولادك وكنز اسرارك ...ستقاسمك افراحك واتراحك...ستضاجعك وتسترق انفاسك في لحظة سريرية...ستتأمل نظراتك حتى تغرق في سحر مقلتيك...لا يمكنني تقبل فكرة ان تاخذك مني اخرى...لقد بقيت مذ عرفتك ر ادعو " اللهم اجعله حلالي يوم ينادي المنادي يوم اطلبك من الله ويهبني اياك لن يأخذك مني احد سيكون عرسي منك في الجنة اين لا حاسدين ولا كارهين ولا مبغضين ولا رافضين اجتماعنا اين لا احد يرانا او يتقفى اخبارنا او يفضح امرنا ...اخاف نسيانك في ظلمة قبري بعد حفاظي عليك مخبأ في ذاكرتي كل هذا الوقت بعد ان كنت ارى الاماتن من نفسي فيك واطئن لدنياي وقدري في عينيك مزحت وشاح قلبي بعد ان جعلتني اواصل ممارسة الحياة بدونك...

كسرتني واعترف ...لكنك جعلت مني انثى قوية عزفت عن ارتكاب اخطاء عديدة ارتكبتها...كم نحتاج الى تعويضات في حياتنا عن حماقاتنا واخطائنا كم نحتاج هدنة مع ماضينا ومصالحة مع انفسنا كم نحتاج لهدنة بين قدرنا وما نحب

يبدا الوجع حقا قندما يصبح بين قلبينا الف ميل وبين الامس واللحظة الف سنة..ويبدأ الوجع حقا عندما تصطدم قلوبنا باللامبالاة ويصبح متساويا لدينا خسران وكسب ما نريد...يبدأ الوجع حقا عندما يصبح سيان لدينا حضورهم وغيابهم...يبدأ الوجع عندما نقتل حاضرنا وفاء لماضينا...يبدأ الوجع وينتهي الحب عندما نتمنى عودتهم لكن لا مكان بعد لان يسعهم للدخول مجددا ...فالوجع هو ان نأسف على اننا وضعنا امثالهم في قلوبنا...ويبدأ عندما يصبحون ليسوا من احببنا وعندما نتساءل اين هم من اللحظة التي احببناهم وعرفناهم فيها؟

هل بامكاننا لحظتها ان ننسى؟

ليس النسيان بمريح كما هو رائج فالنسيان ليس سوى ممارسة تعمق فينا الشعور بأن فترة جميلة من حياتنا ماتت...يزيدنا قناعة ان لا حل امامنا عدا طيها خلفنا..زلنسيان ليس الا مواراة منا لخساراتنا المتعاقبة لاناس غالين واوقات ثمينة عشناها وعشقناها...واذا كان النسيان هو قلب صفحة من كتاب العمر فالنسيان ليس حلا لان تلك الصفحة سنظل نراها رغم قلبها فما نريده هو اضمحلالها من كتاب حياتنا...ولم اكن اريد لك ذلك لذا لم يكن النسيان مجديا ...فكيف لي ان انسى انمني عرفتك؟أي غبي انت؟ وهل جربت

ممارسة النسيان حتى ظننته بهذه السهولة ؟ ليس كل من مر بحياتنا قادرون على نسيانه يا "مجتبى" ...لقد كنت من اولئك اللذين لا ينسون...كنت ولا ازال اعلم انني لست لك ولست الوحيدة التي احبتك...وادرك ان قائمتهن طويلة واسماءهن كثيرة..لكن ما يبقيني على ثقتي بنفسي ان حبي لك لم يكن كما هن...اولم يقل ابو الفلسفة "افلاطون"

الحب الذي ينبع من الجمال والذي ينتج الاعمال الفنية لا يشبه انواع الحب العادية التي تخضع للناحية الجسدية"

لا ادري لأي عالم اخذتني لحظة حدثتني يومها..ولحظة خرقت هدنتي مع الحب بكلمة...كنت متمالكة نفسي من سحرك امامك

قلت يومها "مرحبا" فأجبتك باستغراب "اهلين" فقد كنت اخر من اظن انه يمكن ان يحدثني

- كيفك
- الحمدلله بخير
- انا مجتبى
- هلا منتشرف
- بحضرتك من وين حضرتك؟
- انا لبنانية
- منتشرف باهل لبنان
- الله يزيدك شرف
- من وين من لبنان
- من الضاحية
- تشرفنا قديش عمرك
- 15 سنة
- بالله؟ 15 سنة؟
- أي والله
- العمر كلو
- شو الغريب ؟
- ولاشي
- أي صف؟
- الحادي عشر

- علمي والا ادبي
- ادبي
- ليش مو علمي؟
- مابحب العلوم
- انا علمي كنت
- الجيش احسن من الدراسة
- كنت وقتها انظر لبذلتك العسكرية امامي وقد افتنتني لأول وهلة ...ابتسمت وقلت
- انا احتياط مننني متطوع
- الله ينصرك
- الله يسلمك
- نيالك فسورية اعظم بلد
- دخيل ربك سورية بتجنن
- بعرف جننتني
- جننتك؟
- انا وياها قصة عشق
- كمان؟ شو القصة؟
- طويلة
- احكيلي؟
- انا واهلي اجينا هون عالشام بحكم شغل ابي من وعمري 7 سنين ومن ساعتا عرفتا وحبتيا ومابقا تابع الا القنوات السورية اخبار او مسلسلات او كل شي ...ما لاحظت انو لهجتي شامية؟
- مبلى

لم اخذ من وقتك يومها اكثر من عشر دقائق وما اثار استغرابي من نفسي يومها انني لم ارفض مجيئك لي وحديثك مالي واسترسلت في الحديث معك وكأنني اعرفك منذ زمن كم ارتحت لك وقتها اذكر بأن حوارنا انتهى باستفزازك لي حتى انني غضبت منك قبل مغادرتك لكنني لم اظهر لك ذلك تحدثت الي كفتاة عادية يومها بينما لم اتكلم مع احد في حياتي كان مثيلا لكم ولا كان لي لقاء شبيها بلقائك ذلك ولا شعرت تجاه احدهم ما شعرت تجاهك يومها اذكر انني يومها لم أشأ ان اطرح أي سؤال عنك واكتفيت بالأجوبة فلم اسالك عن مدينتك او عمرك او مهنتك او دراستك او شيء من خصوصياتك فقد كنت اعرف كل ذلك ولست بحاجة لإدلائك ...اولا يقولون ان العاشقة تكون جاسوسة لحبيبها؟ لم انقطع عن ذلك حتى بعد انتهاء "صداقتنا"

***

اجبتك يومها وجلست اليك وما كنت ادري انني ساقع في فتنتك ...اتيتني يومها في يوم ميلاد المسيح(ع) لكنك لم تكن معي كالمسيح بل كنت كأسطورة "سنتا كلوز" ...حلما جميلا لكنه ليس حقيقيا ولم يدم طويلا ...فقط بضعة اشهر لاستفيق بعدها على صفعة الواقع وكأنني نمت ليلة من سعادة استيقظت على اثرها لأجد هدية الرحيل المفجعة قبالتي كي تنتهي بذلك لحظات من فرح امضيتها اشبه بنائمة وافقت من ليلة حلم لأجد هدية ممن الم ملقاة على سرير الخيبة...

هكذا هي الحياة دائما تنتظر منا التعلق بحبل من امل كي تواقعنا على سرير الخيبة...

لا ادري يومها لماذا اتيتني ..سالت نفسي كثيرا اتراك اتيت بغاية ام عن غير قصد؟ وكيف لشاب ان يحدث فتاة لا يعرفها وهو قد اتى اليها عن غير قصد؟

لكنين تعلمت لاحقا ان علينا الا نفكر في تفاصيل الاشياء كثيرا لان التفكير يتعبنا دون جدوى وربما يدخلنا بهواجس تجعلنا نتخيل ما لا وجود له في الواقع لا زلت لا ادري لم اتيت وكيف ولكنني اعلم جيدا انك لم تأت في وقت مناسب ولا في لحظة جيدة ...كم اؤمن بقول الكاتبة احلام "الحب يجلس دائما على غير الكرسي الذي نتوقعه" ...فكلنا نكون في لحظة غير جاهزين فيها اطلاقا لاستقبال الحب الذي نجده يأتي الينا بغتة ...اتيتني في لحظة كنت الملم فيها ذكريات السنة المريرة التي مررت بها ,استجمع قوى قلبي محاولة اعادته للحياة محاولة ان اتجاوز به عتبات سنة من الم وقعت فيها وقلبي هدنة مع الحب لم يمضي عليها اكثر من سبعة اشهر لتاتي في لحظة غفلة كي تخرقها باختراقك قلبي ببضع لحظات وكلمة ...لا زلت استغرب نجاحك في ذلك اكان سببه قوتك ام ضعفي؟

كان قلبي قد اقسم في تلك السنة امام خالقه على الا يعود فيضعف امام احد مهما كانت وسائل اغرائه اتيت يومها لانثى مخذولة مقهورة عارية القلب تبحث عن ملجأ عاطفي امن لخيبات فؤادها المتتالية فنجحت بإغراقها واتبعتك ظنا ان هروبها اليك سينقذها من براثن العتمة وانامل الخوف التي تعبث بروحها لكنني كنت غبية عندما هربت من الوجع ومن الوهم الى وهم اكبر فلم تمر سبعة اشهر لاحقة الا ودفعت ثمن كسري لقسمي وثمن غبائي واعلم انني استحق..

كم يرهقوننا اولئك اللذين يدخلون حياتنا فجأة في لحظة انشغالنا بترتيب اوراقنا اثر خروجنا للتو من ذبحة عاطفية في حاجة نحن لدهر للنجاح في نسيانها ...اولئك المناسبون اللذين يدخلون حياتنا في اوقات غير مناسبة ولا متوقعة ...ما اجمل حضورهم وما اتعس مجيئهم !

"نحن لا نشعر بفاجعة فقدان من نحب الا عند اشتداد حاجتنا اليهم او تذكر او افتقاد ذلك الفعل الذي كان يميزهم عن غيرهم"

عبد الرحمان خضاري

كم اكره بدايات السنة الجديدة !

كنت مع كل بداية عام جديد اشعر وكأن الزمن يستفزني بقلبه لصفحات حياتي صفحة بعد صفحة حتى يجعلك ابعد ما يكون عني كذكرى بالية لم تعد تصلح للاسترجاع...

اتراك فكرت يوما ان شخصا عرفته قديما لم تعد تذكره لم يتوقف عن التفكير بك لحظة والدعاء لك لليلة؟ اتراك قلت مع نهاية احدى السنوات ان سنة من حب قد امضتها احدى الفتيات الوفيات لماض احبه قلبها لا يمكن لها ان تخون ذلك القلب بنسيان احلى ايام نبض فيها...

انني لم اؤمن يوما بالنهايات لو اؤمن ولن افعل بأن حبا عاشه قلبي قد انتهى وشقه الزمن بسيفه الغادر فقتله...رغم محاولاته خذلان قلبي الا انني حفظتك وحفظت زمنا قديما بين شراييني وليس اشد الما من ان تصبح اجمل لحظات حياتنا ضحية زمن قتلها وجعلها ذكريات...

في كل رأس سنة جديدة ونحن بصدد طي اجمل ايام حياتنا ومواراتها تحت تراب الزمن ودباله...

نمني انفسنا ببدايات جديدة وليست البدايات الجديدة الا وهما نصطنعه لنواسي به انفسنا كي لا تتوقف الحياة...كانوا مع كل بداية عام جديدي ينصحونني بالنسيان ودفن احلى ايام عشتها لكنني كنت لا اريد ان استمع لاولئك الاغبياء اللذين لا يفهمون انك لست حالة عشقية مر بها قلبي وانتهت انت عمر كمن حب سأبقى اعيش فيه حتى اخر رمق انت نفسك لم تقدر ان تفهم ان حبك ليس بفترة من الزمن اعيشها وتنتهي حبك ميثاق بلين قلبي وخالقه عوقبت ان لم اف به...

انها اخر ليلة في السنة التي التقيت به فيها بعد عقد...وهي على خوف ان تفقده في السنة التي تجهز نفسها للدخول ليتكرر بذلك ما حصل منذ زمن لاتتمنى تكراره...هي تفكر بحاله كيف له ان يكون في ليلة كهذه يقضيها لا مع اهله ولا في ضيعته...

انها ليلة راس السنة...والبعض ليس في حياتهم عيد وكل ايامهم شبيهة ببعضها...

كان وزملاءه الجنود يحتفون باستقبال عام جديد من الامل تحت وابل من الرصاص وبين جثث الشهداء تارة والقتلى طورا يكملون معاركهم يواصلون حربهم ثم ينامون تحت قماش خيمة او بقايا دمار كان جالسا في مكان تمركزهم ببذلته وبجانب سلاحه وبيده هاتفه وامامه بعض الصحون من الاكل و"الحواضر" على الارض ...اما هي فكانت في الضاحية جالسة الى حاسوبها على فراشها تتحدث اليه بتعطش على النت

خلف الشاشة تصلها منشوراته ... ادلى بمنشور كتب فيه"كل عام وجيشنا وشعبنا ووطنا بالف خير وعقبال ما تهل علينا سنة النصر" ابتسمت بقراءته ...كم تعشق كلماته ! بادرته بالكلام وقالت: كيف انت؟

لم يجبها سريعا ثم اكتفى بقول "لاشيء جديد سوى ذكريات تترتب تحت الوسادة تعصف بالقلب تقصد تحطيمه"...هي التي بعادتها ان تشفيه ببضعة حروف منها ...ان تخرج ما بداخله دون ان يطلب اليها ذلك...يرجعها بجملة واحدة عشر سنوات الى الوراء ..لطالما تمنت لو القت نظرة على قلبه..لو زارت ذاكرته او دخلت عالمه ذاك الذي يأبى مغادرته لكنه اعمق من ان يسمح لها بذلك..اشبه بالاعماق هو غرقت به قبل ان تكتشفه ...تظهر له انها تعرف ما بداخله وهي التي كلما تحدثت اليه تسأل نفسها ألف سؤال بلا ادنى اجابة...

كان ذاك الذي يجمع بداخله جميع تناقضات الدنيا ...فهي بينما لا تجد من هو اصرح او اصدق منه ..لنم تعرف يوما من هو اغمض منه او اكتم...تجاوزته وقالت

- كيف تمضي ليلتك؟
- فقط ليس كما الناس
- سلامتك الله يهون عنك وترجع متل الناس
- تسلمي "اماني" الغالية

ومضت تتحدث اليه عن بدايات السنوات الجديدة التي نحتفي بها مدركين انها كغيرها من البدايات ليست بجالبة لنا السعادة او الحظ وانها فقط انطلاقة نحو دورة اخرى من الحياة والزمن...لنا يعود الامر ان اجتزناها بنجاح ام لا ...قالت له "برأيك اذا كنا قد مررنا بسنة عرفناهم فيها هي نفسها السنة التي خسرناهم فقيها ثم نبدأ سنة جديدة بدونهم أي سنة علينا ان نحب؟ اتلك التي عرفناهم وخسرناهم فيها ام التي بدأت دونهم؟

قال:

- اظن ان علينا الا نحب واحدة منهما
- لماذا؟

لان الاولى تعرضنا فيها لاقسى خيباتنا والثانية عشنا فيها الخيبة...اقنعتها الاجابة ...لطالما عشقت اسلوبه في الكلام وطريقته في التفكير ذاك الذي كان حرا في كل شيء وجريئا في كل شيء ولم يعرف يوما خجلا او او استحياء من شيء الى درجة انه كان يحجرها بمحاولاته استخراج ما بداخلها وهي التي لم تجرؤ يوما على مصارحته بما تشعر به تجاهه .

هاهو اليوم السابع من السنة وهو يوم ميلادي الذي قضيته مرة واحدة معك في سنة لم تكن تعرف فيهها عني شيئا....اذكر جيدا انه في تلك السنة ...كانت سورية قد عاشت يوما من وقف اطلاق النار على جميع الجبهات وفي جميع المناطق للمرة الاولى منذ انطلاق الحرب بسبب شدة هطول الثلوج وسوء الطقس وقد صادف ذلك اليوم يوم ميلادي في السنة الوحيدة التي كنت فيها معك ....يومها بقيت دون لقائك طيلة سهر يناير واذكر انك يوم عيد ميلادي قمت بتنزيل منشور على حسابك فيسبوك كتبت فيه صباح الخير اخواتي هي انا وخيي ابو جعفر الغالي بهالبردات بداريا زنطرنا اححح...بس كلو فدا الوطن والقائد ادولنا تخلص هالنوبة قبل مانموت من البرد..."وكانت تلك ذكرى ميلادي الوحيدة التي امضيتها برفقتك والتي لم تتكرر منذ زمن طويل...كم تؤلمني ذكرى ميلادي.

فبين ميلادي وميلادك شهرين وبين ولادتي وولادتك عقد كامل ...انا ينايرية ...وكم هن مسكينات بنات هذا الشهر...لقد عشقت شهري لانه شبيه بشهرك تماما ...كم هما متشابهان "تشرين" و"يناير"...كلاهما اتفقا على اضفاء لمسة من غموض على السنة...كلاهما اتفقا على ان يحزنا على ان يصمتا ...اجتمعا معا على البرودة والدفئ والمطر والرياح العاتية والصقيع والقسوة والحنان...كلاهما تزين بالليالي الدافئة والايام الباردة...بالصباحات الرمادية والمساءات الصفراء...كلاهما حزينين ...كطلاهما يخبئ سرا دفينا في ايامه...كلاهما بنفس طعم لالساعات ونكهة الدقائق ...طويلين...ثقيلين...لكن ساحرين...وكم اؤمن ان ابناء يناير وتشرين كتبت عليهم الخيبات بامتياز...وكأنها خلقت لهم...كم هن حزينات الينايريات...كم عليهن ان يتحملن...وكم عليهن ان يصبرن ويتناسين ويجابهن الحياة بمتاريس قوية وكم هن عديمات حظ ...لقد كتب عليهن الخيبات والخذلان من اقرب الناس اليهن...كم تغرك برودتهن ...تماما كشهرهن...حتى انك تظن ان ذلك البرود والهدوء هو ما في اعماقهن وان ظاهرهن متطابق لباطنهن...وهن يضمرن عكس ذلك تماما...فالغضب والثورة والصرخة التي في مكنوناتهن لا يمكن توقعها ...فالغضب والثورة والصرخة التي في مكنوناتهن لا يمكن لك توقعها ولو عرفت ما يتحملن لما جعلتهن يقاسين الخيبة يوما...

انني وانت كما بعض ولدت في نهاية عقدك...وولدت في نهاية عقدي بعدك بعقد...كلانا اتى في النهاية ولا ادري لماذا اتيتني في نهاية احدى السنوات لتكون سبب جميع البدايات في حياتي...لننا ابناء يناير نخاف المستقبل كثيرا ونكره النهايات...نفرح كثيرا بالبدايات ونتمنى لها الا تنتهي ...كنت تشعرني بالامان من النهايات والمستقبل الى ان اوقعتني في نهاية لم اتوقع بشاعتها يوما...لكم كنت اريد لك نهاية جميلة كبدايتك لكنني نسيت ان لا نهايات جميلة في هذه الدنيا...وليس غريبا عني ان يكون رحيلك بتلك البشاعة في ذاكرتي وهل يمكن لرحيل من نحب ان يكون جميلا؟ نحن ابناء الشتاء قلوبنا حزينة تماما كفصلنا...ليلنا طويل وايامنا قصيرة ...لا نمكث طويلا لكننا نترك بصمة اينما حللنا ...لكننا مذ اتينا الدنيا وقعنا عقدا مع الحزن والخيبات...حياتنا كشتائنا الذي ولدنا فيه...باردة معنا دائما...لكننا نقاومها باشعال

الحطب وانتظار الدفئ امامه...لكنه سرعانما ينطفئ ليعيدنا لرعشتنا...لقد كنت ابن نهاية السنة وكنت ابنة بدايتها لذا انت معتاد على النهايات ليس مثلي وكيف لي وانا ابنة الشتاء التي ولدت من غموضه وبرودته الا اقع تحت فتنة تشرين برياحه العاتية وتقلباتته الغريبة وبرودته المثيرة واوراقه الصفراء التي جعلت قلبها شبيها بها...كم نشبه فصلينا وكم يشبهاننا...لم اكن تشرينية ولكن تشرين كان كل مافي وكنت كلما فيه..."تشرين..."يناير"...اسم شهرك وشهري بخمس حروف تماما كاسمينا وبين شهرينا عشر سنوات ...كم تمنيت لو عشتها لاكون على دراية بما عشته ورايته انت وانا لم اولد بعد..

"كل شيء يبدأ كاللعبى ثم ينتهي الى شيء اخر يتجاوزنا"

واسيني الاعرج

14/2... انه عيد الحب !

اذكر في ذكرى كهذه عشتها معك لمرة واحدة يوم حدثتك عن الحب وشاطرتني الرأي ...كان يوم الاحد الخامس عشر من فبراير يوم تلاقينا دون ان نلتقي بعد شهر من غياب...وبادرتك بالكلام فقلت "تحياتي" فاجبتني هلا" قلت لك باهتمام "كيفك" فاجبتني ببرود لاذع" تمام انتي كيفك؟" فقلت لك بخجل "حمدلله بخير" لا اذكر جيدا ما دار بيننا من حديث وقتها غير انني قلت لك في حديثي عن الحب " الحب انتهى ع ايام جميل وبثينة هلق مااعاد في حب في مهازل وبس" ما اثار غرابتي وقتها انك لم تعارضني برأيي ووافقتني تماما عما قلت ...تساءلت كيف لرجل محب عاشق امن يشاطرني نفس رؤيتي السوداوية للحب...سألت نفسي كثيرا اتراك كنت تسايرني في ما اقول دون اهتمام منك برايي ام انك حقا توافقني ...لم تقل لي شيئا كثيرا عن رؤيتك نحو الحب يومها ولم اعرف ذلك كما لم اعرف الكثير عنك...هكذا انت...سنة كاملة امضيتها على معرفتك دون ان اعرفك...رحلت غامضا تماما كما اتيت وكم تمنيت لو عرفتك.

كانت على سريرها تحت الاغطية الحمراء في غرفة نومها الوردية المضاءة بمصباحين اصفري الصوء مشعين فوق فراشها كانت جالسة وواضعة حاسوبها المحمول على قدميها والى جانبها كوب من الشكولاطة ابساخنة تتابع اخر اخالاخبار على موقع قناة المقاومة...وصلت اليها فجاة رسالة نصية منه...اكتفى بقول"مساء الخيرات" تركت له "seen" ولم تتسرع باجابته ردت بعد لحظات "اهلا" فتعمد عدم اجابتها رغبة منه في ان تبادره هي بالسؤال قالت بعد ان فهمت ذلك

- كيفك انت؟

فسارع بالاجابة :

- الحمدلله

- دوم

- ما اخبارك؟ كيف حال الجنوب؟

- الحمدلله

- اراك تسهرين الى ساعة متأخرة من الليل

- اجل فليس لدي عمل غدا لذا سأطيل سهرتي

- اين انت؟

- في بيتي

- الي اذن بفنجان قهوة من يديك؟

- ضحكت أي على راسي تكة وبيجهز

- اتعلمين؟

- ماذا؟

- بقيت اتذكر دقة اعتنائك بتفاصيل الجمال اثناء تقديمك لي القهوة عند زيارتي لبيتك

- انت دقيق الملاحظة

- اتعمدت تأنيق التقديم لي؟

- استهزأت بما قاله...ولطالما سخرت من الرجال لصغر عقولهم وسطحية تفكيرهم...قالت

- انني اؤنق التقديم لجميع ضيوفي ولا افعل ذلك لشخص معين

- لم تعجبه اجابتها فاكتفى بالقول سريعا

- على كل حال شكرا لحسن ذوقك

لم ترد انهاء المحادثة هكذا فغيرت الموضوع بقولها:

- لم تقل لي ألبيت لي امنيتي؟

- ماهي؟

- قراءة الكتاب المقدس الذي اهديتك اياه

- اجل لقد بدأت بقراءته ووصلت لمنتصفه

- حقا؟

- اجل ايفرحك ذلك؟

- طبعا كثيرا لبيتك تواصل على هذا النحو

- هل تفرحينني الان بتلبيتك لطلب لي كما فعلت انا؟

- ما هو؟

- هل لي ان اسمع صوتك بمكالمة؟

- مارح زعلك اتصل

اتصل بها فأجابت بعد رنتين ...قال:

- مساء الخير

- مساء النور

- اظنك تحبين السهر؟ماذا عنك والليل؟

- انا والليل؟ ان لي فيه حياة اخرى ان الليل والنجوم والسماء المظلمة حياة اخرى علينا ان نعيشها

- فلنتقاسم الليلة سويا اذا

- جميل.....ليت هذا الليل يأخذنا معه الى مكان لا نعود منه ابدا

- انه يأخذنا دوما الى عوالمه الخفية التي لا نفقهها ونزداد حيرة كلما حاولنا فهمه

- ليس الليل الا مواساة يأتي الينا كهدية لتصفية ارواحنا من رواسب النهار كي نستيقظ في غد جديد ونواصل الحياة دائما ما يأتي الليل محاولا تجريدنا مما عبث به ايدي الحياة نهارا محاولا خلع ثوب التعب عنا الا انه يلبسنا رداء الحنين والذكرى يخلع عنا حزننا لينزل دمعنا وينزع عنا همنا ليكسينا بغشاوة سوداء من ماض بعيد يراود ذاكرتنا بغتة كلما التجأنا الى الوسادة نحاول طلب النوم...طلب تلك المناجاة التي نمارسها في اسرتنا كي ننسى...اوليس النوم صلاة؟ انه صلاة رجاء للدنيا حيث نضاجع احلامنا ملتمسين الحياة ان تتركنا لامانينا وتجعل ارواحنا تطير الهيا ...الى من نحب...الى ما نريد وما نتمنى ...نحن لا ندمن النوم في النهاية الال اننا ندمن من نراهم في احلامنا..

- انه شبيه بك تماما

بقي صامتا مدهوشا يستمع الى ماتقوله دون كلمة

قالت الو....الو

قال الو انا معك

- اكنت تسمعني؟

- اجل

- انا اسفة اذا كنت اسهرك معي

- لا ابدا الحديث اليك ممتع

- شكرا

هز قلبها بكلمة تمنت لو سمعتها منذ زمن ...اقفلت الخط ونامت على صوته....

كان شهر اذار...

اقترب شهر رمضان المبارك...عقلها لا يتوقف عن التفكير بعه لوهلة...وكأن له ظلا يلازم روحها حد الالتصاق تشعر بوجوده في غيابه وتتحسس قربه على ابتعاده...تتمنى رؤويته مباركة له هذا الشهر الفضيل ...تذكرت كم مرة مر هذا الشهر بدونه...كم مرة تألمت في تكرار تمضيته دونه...دون مقابلته...دون لحظة واحدة تحظى فيها برؤيته...دون ان تقول له فقط لمرة فقط لوهلة واحدة"رمضان مبارك" او "عيك مبارك" تتمنى الاتصال به...تكتب رقمه على شاشة هاتفها وتبقى تنظر اليه طويلا دون ان تقوم بالاتصال وقلبها يشتعل حرقة تمنيا منها ان تفعل ما تريد لكنها لا تقدر وتعلم ان لا فارق لديه ان تعايده ام لا ...سيان لديه ان فرحت او عصف الحزن بفؤادها قهرا...تعلم ان لا حاجة له ببضع كلمات منها تموت فرحا لو نطقت بها اليه وهو ليس بانتظار سماعها منها...جالسة على الكرسي في قسم التحرير في القناة ناسية كل ما حولها ...عائدة بذاكرتها الى تلك الايام التي مرت وهي تقاسي فيها حرقة فراق من لا يدري انها تتذكره اصلا...هكذا هم اعزاؤنا في كل عيد في كل شهر وكل مناسبة وكل لحظة...تعني لنا شيئا سواء لحظة حزن كانت ام فرح...نتمنى فيها ان تكون الى جانبهم نتقاسمها واياهم ...نضحك معهم ونضع رؤوسنا على اكتافهم لنذرف عباراتنا عليها ونشفى بعد ذلك شفاءنا الابدي ونسعد سعادتنا الازلية ولا يتحقق لنا ذلك...نظل ننتظر لحظة يرحل فيها ما مضى وينقضي فيها ما حدث سابقا من مخيلتنا لكن يبقى شبحه يرافقنا مرعبا ايانا ولا نحظى بذلك...جالسة هي تتذكر كل ما كان وتسترجع ما عاشته...الها بعد كل ذلك الوقت ان تقول له اليوم وهي تستطيع ان تفعل"رمضان مبارك..عيد مبارك..كل سنة وانت سالم...ينعاد عليك"؟ ولم تقدر على فعل ذلك يوم كان تتمنى فعله...هي مع ذلك لم تكرهه ولم تخنه ولم تتغير ولا تزال تتمنى قول ذلك له لكنها لن تفعل ولن تسعد ولو فعل هو ذلك..هي على حالها وقد رقرقت عيناها دمعا وألما على ماعاشته ولا احد على علم به لعشر سنوات وهي تحتفظ بالالم في لقبها حتى اعتصر وجعا وبردت حرارة لوعته وحرقة حرمانه...واذا برسالة نصية تثل هاتفها منه قال لها فيها" كل عام وانت بخير صديقتي اماني اسعد الله شهرك المبارك اردت ان اكون اول من يعايدك بهذه الايام الفضيلة وليبقك الله بخير الى لقاء جديد"...تقراها باستهزاء تتساءل في اعماقها ماذا تراها تغير بها رسالة كهذه بعد كل هذا الوقت التي انتظرت فيه ان تحظى بها ربما عليها ان تحمد الله على انها حصلت عليها بعد وقت طويل من التمني والانتظار بلا يأس ربما لا يحصل معها ذلك ثانية ربما تكون الامرة الوحيدة التي ستحصل فيها على تلك الرسالة التي كانت ستهز قلبها قرحا لو انها لم تأت بعد كل هذا التأخير ...وهل من شيء يميت بقلوبنا فرح حصولنا على شيء غير الحصول عليه متأخرا؟

هكذا هي الحياة تأتينا دائما بما نريد متأخرة حتى تحرمنا فرحة الحصول عليه ...لم ترد اجابته واكتفت بقراءتها وغلق هاتفها كي لا يتصل وإذا بزميلتها فاطمة تدخل:

- مساء الخير اماني

- مساء النور عزيزتي (وضعت هاتفها جانبا)

- اسمعت؟ اعلن مفتي الجمهورية ان شهر رمضان المبارك سيبدأ غدا باذن الله رمضان مبارك اماني

- فليجعله الله مبارك على الجميع فاطمة

- مؤكد انك تعلمين ان وقت العمل كالعادة سيتغير طيلة هذا الشهر الفضيل

- اجل اعلم ذلك طبيعي سنتعود

- لكن التعب سيتضاعف تعلمين نحن النساء لدينا عائلات ومسؤوليات عدة ...انا شخصيا علي كل يوم تجهيز السحور والعشاء لاولادي وزوجي الي جانب سهري هنا في القناة.

- لا تصعبي الامر يا عزيزتي كل شيء سيكون بخير فليتقبل الله منا اتعابنا وعباداتنا والان علي العودة الى البيت لإعداد السحور تصبحين على خير.

- تصبحين على خير عزيزتي

دخل حسن وهي خارجة من الباب

- اهلا امينة امغادرة؟

- اجل تصبحون على خير جميعا

- وانت بخير رمضان مبارك لا تنسي غدا سيكون موعد عملك في اول ايام الشهر الفضيل

- اعلم ساكون في الموعد

خرجت عائدة الى بيتها وفتحت التلفزيون حين وصولها...تناولت العشاء ثم دخلت الى فراشها على الفور ولم ترغب في فتح هاتفها كي لا تضطر لمحادثته...وضعت راسها على وسادتها ولم تقدر على النوم وهي تتساءل وتعيد طرح الاسئلة على نفسها...ماذا تراه يفعل في ليلة كهذه؟ كيف تراه يقضيها؟ الا يمنحونه اجازة في شهر فضيل كهذا؟ مؤكد انه سيتحمل تعبا مضاعفا بصيام وجهاد مجتمعين في شهر واحد عليها ان تراه في هذا الشهر لكن كيف لذلك ان يحصل ؟ والوقت يداهمهما ويمنعهما من الاقتراب والالتقاء وهي لا اتعلم كيف لها ان تفعل لكنها لا تدري الا شيئا واحدا...ان قلبها ينبض باشتياقه وعليها ان تلبي نداء ذلك الفؤاد المنفطر على غيا مالكه...هي تندم على عدم اجابتها على رسالته...تمنت لو فعلت لكن شيئا ما منعها

من ذلك...كلما حاولت التقدم اصطدمت بجدار ماضيها وذلك يزيدها الما فكيف لها ان تغفر لمن تسبب في وجع عاقرته لعقد من الزمن دون رحمة او رافة بها؟ هي تعلم ان عليها ان تبقى القريبة البعيدة ...الا تحرق المسافة ولا تقطعها انما فقط تخطوها على مهل...

"عشت معك مرتين شهر رمضان...كانتا وقتها في صائفتين متتاليتين اذكر شهر رمضان الذي لحق وفاة ابن خالتك وكم كنت اتألم لك وقتها وادري انك كنت حزينا لكن ما قدرت على فعل شيء لك عدا ان اكتب محاولة مني للتخفيف عنك...كنت اعلم ان اناس غالين عانيت فقدهم وقتها من زملائك في الحرب...وقتها لم نتحدث الا مرة واحدة يوم السابع والعشرين من الشهر اما بقية الايام فكنت ارقبك من بعيد واخاف قربك ...ربما ما حرمني من الحظو بلحظات اكثر معك هو خوفي اياك وخوفي صدك لي او انزعاجك من قربي ...كم كنت منشغلا عني وكم كنت مشغولة بك

اذكر في ذاك الشهر كيف كنت اتابع اخبارك عبر facebook وكيف كنت اتحسر لقربي منك وعدم استطاعتي الوصول اليك كننت في الشام شهرا كاملا وكنت في الصالحية ولم نتحدث الا عبر الشاشة وانا احاول تحسس قربي منك والتعويض عن حزنك بكلمات لا اعلم اذا كانت تعني لك شيئا ام لا يوم قمت بتنزيل منشور على حسابي قلت فيه "حول الطاولة كرسي فارغ من تراه يملا مكانه في قلوبنا" وكنت اقصد في ذلك فقدك لابن خالتك شهيد عائلتكم ...شهيد بيت سلطانة وبيت الجنيدي...كنت اعلم ان في قلبك فراغ فكلما فقدنا غاليا على قلوبنا فرغ مكان ما بداخلها ...اذكر في تلك الليلة التي كتبت لي فيها"كيفك شو اخبارك" كم اثلجت صدري فرحا اجبتك يومها ببرود عتابا على غيابك"هلا حمدلله بخير" فلم تضف شيئا علمت انك تريد مني المبادرة بالكلام فقلت "كيفك انت" فسارعت باجابتي على الفور "تمام" وكنت اعلم انك لست كذلك فقلت لك "بالله" قلت "أي والله" فقلت لك "مو وكئنك تعبان" فقلت مكابرا"عادي مينو مو تعبان".

كم كنت استغرب التناقض الذي تعيشه بينما تبديه وما تضمره ربما ترفعا منك عن التذمر والشكوى وربما لابراز قوتك وشدة صمودك...كنت اعلم ان ما يستحيل لك ان يبديه لاحد يوما ضعفك الذي يتملك اعماقك امام ما تعانيه ...كنت حين أتأملك ارى الابتسامة على شفتيك وعميق الحزن في مقلتيك ...كنت استغرب من اين تاتي بهذه الابتسامة من اين ينبثق بريق الامل الذي في عينيك رغم بحار الحزن البعيدة الشطآن التي تملؤهما ...كم حاولت قراءتهما ولم اقدر...ربما كنت ابعد من ان اقدر على ذلك...اعلم انني في النهاية لست الوحيدة التي غرقت في عينيك وان فيهما طاقة جذب ضعفت امامها الكثيرات غيري لك مؤكد ان لا واحدة منهن تمكنت من قراءتهما.

...

كان العيد...وكانت في الشام في الليلة الاخيرة من رمضان بعد ان حلت ضيفة على ياسمين تناولت الافطار في بيتها وسهرت واياها وعائلتها ...عادت الى بيتها لتصل اليها رسالة منه الساعة الحادية عشر كتب فيها "عيد مبارك عزيزتي اماني" لترد عليه بواحدة خطت له فيها"علينا وعليك خيي تسلم" قال:- هل انت اتية الى الشام؟

- لا اعلم ربما بحلول الصيف
- لا... يجب ان تأتين في العيد حتى تري اجواء الشام الاستثنائية في يوم كهذا
- ربما افعل
- حين تصلين الشام اخبريني
- حسنا سأفعل

كان يوم العيد ...استيقظت صباحا لتكتب له في رسالة نصية "انا في الشام" فاتصل بها على الفور وسألها:

- متى اتيت؟
- في الحقيقة انا هنا منذ يومين
- لماذا لم تخبريني؟
- كي لا ازعجك الست في الجبهة
- لا اخذت اجازة منذ يومين هل لي ان اراك؟
- الست في الضيعة بمناسبة العيد؟
- اجل لكن سآتي الى الشام غدا لاجلك
- لاجلي؟
- اجل متى اراك؟
- متى شئت
- حسنا غدا ساكون عندك
- حسنا فلتصل بالسلامة انتبه الى نفسك
- شكرا

قال لها جملة سيجعلها تحيا على تذكرها وانتظاره ليلة كاملة...وكأنه اتى اليها ليذهب بعقلها ويغادر

"لا ادري لماذا لا تزال تفعل بي نفس ما كنت تفعله بتلك الصغيرة المراهقة اتراك لا تزال ساحرا؟ ام تراني لم اكبر؟ ليتني لم ارك في ذلك البرنامج وليتني لم اتذكرك ولم اتي الشام... لماذا تراك تأتي الى الشام لاجلي؟ اتراني اكون من اوقعتك في شاركي هذه المرة فتكون بذلك قد قلبت الاية ...ام انك تمضي وقت فراغك معي لا اكثر لانك وجدت الفرصة سانحة ومتوفرة؟ لماذا؟

كانت تفكر في ما قاله لها على الهاتف بينما جاءت اليها ياسمين فتحب الباب قالت:

- صياح الخير ياسمين

- صباح النور اماني عيدك مبارك

- علينا وعليكي وعكل الشام انشالله تفضلي

- مارح افضل كتير عندك بدي روح مع بابا وماما لنعايد اهالينا بالشام بس حبيت عايدك اول وحدة

- شكرا عزيزتي

- عزيزتي انتظريني في المساء اريد الخروج واياك الى الشام

- حسنا سافعل

- عن اذنك

كان المساء وكانت اماني وياسمين تتجولان في شوارع الشام قالت اماني:

- ما اجمل الشام في ثوب فرحها

- الله يديم الفرحة

- امين

- اتذكرين الاعياد التي كنا نقضيها سويا يوم كنا مراهقتين

- اجل اذكر وكم تحزنني الذكرى

- لماذا تحزنك؟

- شتان بين الامس واليوم

- صحيح

- كم احزن لحال الشام واعيادها الملطخة بالدم المفعمة بالحزن....كانت جميع ايام الشام عيدا سابقا...في زمن ليته يعود.

- والان لم يبقى لنا عيد حتى في الاعياد.

- لن يدوم ذلك طويلا عزيزتي باذن الله.

- اكيد

- ياسمين

- نعم

- اريد زيارة ساروجة

- حقا؟ لكنه بعيد

- لا اقصد زيارته الان

- اذن؟

- اريد ان نذهب اليه غدا صباحا هل لنا ان نذهب سويا؟

- اجل

- مذ اتيت الشام لم اشم ريح المدينة العتيقة ...اذكر ايام رمضان التي كنت اذهب فيها واياك والصبايا الى الاسواق ونمضي اليوم نقتني الثياب والعطور.

- رحم الله تلك الايام الجميلة لم تعد الاسواق كما كانت

- لم يعد شيء كما كان يكفيني سعادة ان لي قلب صديقة ابيض لم يتغير.

- تسلميلي وانا يكفيني سعادة ان الزمن قد جمعنا بعد كل هذا

- الحمدلله اتسهرين عندي الليلة

- اجل سأفعل لن اعود لعلمي مع بابا الا بعد يومين

- جيد هيا فلنذهب الى بيتي

ذهبت اماني وصديقتها الى ساروجة صباح الغد وقد عبق السوق بريح الشام وروائح البخور والتوابل والحناء والعطور وتزين بجميع الوان الثياب نسيت اماني نفسها بين الدكاكين وتذكرت جميل ايامها وايام الشام ولياليها الرمضانية باضوائها ومقاهيها وروائح الشاي والاركيلة واصوات الصلوات الخارجة من الماذن ليلا وصرخات الاطفال وركضهم ضاحكين يوم العيد وصلاة العيد من الجامع الاموي...يوم كان السلام...

عادت الى البيت بمقتنياتها وجلست على الاريكة لترتاح بعد تعب السير الطويل ...قالت:

- منذ سنوات لم اقم بفسحة جميلة كخهذه

- كم اشتقت ايامنا وتذكرتها

- وانا ايضا اتعلمين؟ اشعر بالجوع

- وانا ايضا

- الم يكن جديرا بنا الذهاب الى احد المطاعم

- كيف لنا ان نذعهب ولم نترك ريالا واحدا في جيبنا لننفقه؟

- محقة فلتبقي عندي لنطبخ الفطور وناكل

- ابدئي بتحضير المقادير اساعود لبيتي لوضع مقتتنياتي ثم اتي اليك

- حسنا لا تتأخري

(اغلقت الباب) - لن افعل.

حضرت اماني وياسمين الفطور سويا ثم شربتا الشاي حتى حل المساء واقترب موعد لقائه في حال جاء الى الشام كما قال انه سيفعل...بقيت تفكر به...بعد ان وعدها سابقا واخلف اتراه يفي بما وعد به الان؟ تذكرت كيف تمنت فسحة معه في الشام وتمنت سهرات طويلة معه تقضيها ناظرة الى عينيه ...كم تمنت محادثات طويلة تتحدثها اليه وما حدث شيء من ذلك.

"كم كنت تهمني وكم كنت لا أعنيك...كم آلمتني في مرات كثيرة حدثتني فيها ولم اشعرك بذلك وما عبرت عن حزني مما فعلته...كم كنت غريبة في نظرك لانه ليس لي ثوابت تؤمن بها انت كأفكار مقدسة لا تناقش...كم اردت ان اشرح لك فكرة الوطن في نظري ولم اقدر وكنت اعلم ان استفزازك لي في احدى المرات كان استغرابا منك من عدم تفكيري كما تفكر انت...ربما لانك لم تعش ما عشته انا ولم ترى ما رايته ولم تسمع ما سمعته...كنت يومها تكبرني بعشر سنوات لكنك لم تكن تفهم اشياء كثيرة ربما غابت عنك لانك لم تعشها ولا يمكن لشخص ان يشعر بوجع الم يتكبد نزيف جرحه...لا ادري حتى الان اتراك تفهمني اذا ما حدثتك بما لم احدثك به يوما ام لا كم اصابني القهر لانني لم اقل لك ما اردت قوله....لدي الكثير لاقول والكثير لاحكي وما تمكن من ذلك يوم كنت معك بسبب عدم قربي منك وربما لانك لم تعش ما عشت وانت لم تعلم ذلك...كنت تراني وقتها فتاة وطفلة صغيرة يفترض الا يكون هنالك شيء يؤلمها او يؤذيها ذلك لانني التقيتك في العمر الخطأ وفي الوقت الخطأ والمكان الخطأ وليتني ما عرفتك في عمر كذاك...

كم كان بسيطا الوطن في نظرك وكم كان معقدا في نظري...الوطن في نظرك ليس الا ضيعة وعائلة وحبيبة واعزاء واناس غاليين ومدرسة وبيت ورائحة قهوة من امك تشتمها كل صباح...وجدران ترى فيها ذكرياتك مع كل نظرة...الوطن لديك امكنة واناس تحبهم تحزن لمفارقتهم وتسعد بوصالهم ...وليتك تعلم

ان ليس الجميع مثلك يعيشون سعادتك...اعلم جيدا ان فيك نزعة من اللامبالاة وعدم الاكتراث بالاخرين ومشاعرهم وتلك اكثر صفة كنت اكرهها فيك...لكن ليتك علمت وليتك تفهم ان هنالك اناس الوطن لديهم شيء مغاير تماما ...اذكر انني يوما حاولت مقاومة استفزازك بجميلة قلتها ادري جيدا انك فهتمها وتوقفت امامها واوقفتك بها وادري انها تمثلك وتشبهك يوم قلت لك"كيف لنا ان نحب امكنة كتب على جدرانها سطور وجعنا؟ كيف لنا ان نحب امكنة كلما نظرنا في شعابها غرقنا في انهار الامنا؟"

...كانت قد نامت بعين دامعة وهي تذكر ماكان يفعله بها من استهتار وتحقير لنظرتها للاشياء المخالفة لنظرته...حتى استيقظت في صباح غدها لتجد رسالة ومكالمتين لم تجب عليهما قال فيها "مساء الساعة الخامسة موعدنا في المطعم المعتاد" ...اغتبط قلبها فرحا برسالته لا لانها ستلتقيه بل لانه وعدها ووفى وليته فعل ذلك يوما ارادت له ان يفعل ...هي لا تدري ما الصدفة التي جمعتها به في مطعم ست الشام وكأنها اتت له ليجعل منها "ست الشام" في مدينة كم تحبها وكم تمنت لو كانت ابنة ترابها...كانت جالسة اليه مبتسمة قال:

- انشالله عيدك مبارك وهلا فيكي بالشام

- تسلم علينا وعليك وعلى كل سورية

- الله يسلمك

- يوم تحدثت اليك عن العيد قلت لي لن تأتين الا في الصائفة وها انا اكتشف انك هنا

- لم اشأ ان اخبرك بمجيئي هنا في العيد فلم اكن متأكدة من ذلك

- لم تقولي لي هل قمت بزيارة اسواق الشام وحاراتها ادري انك تحبين الشام العتيقة

اجل طبعا فعلت ولم اكن لوحدي

من كان معك؟

- احدى جاراتي تدعى ياسمين تسكن في البيت المحاذي لبيتي تعرفت اليها واصبحنا صديقتين بسرعة.

- جيد...مو ناقص غير تتجوزي شامي

(ضاحكة) من تمك لباب السما.

- كيف رايت الشام؟

- بصراحة اكتشفت شيئا احزنني

- ما هو؟

- قلة الثقة التي انتشرت بين الناس هنا لا تريحني ...لقد اضحى الكل ينظر لبعضه بعيون شكاكة والكل ينتظر من الاخر ان يؤذيه او يجرم بحقه...اصبح كل واحد يسك في جاره بجواره ويشك في اولاده وزملائه في العمل ...حتى في قطة مارة امامه في الطريق ...الكل خائف العينين يقف في كل مكان آخذا حذره ممن يقف بجانبه اذا كا يشكل عليه خطرا ام لا...لا يعقل ان ارى هذا واشعر به في الشام ارض السلام...ان الحزن يخيم على سماء البلاد بطريقة لا يمكنني تحملها او تصديقها ...هنا تشعر وكأن الجدران والشوارع تبكي جرحها وكأنها تريد ان تنطق بعذاباتها ...كل شيء غمره الغم والظلام ..حتى ملامح وجوه الناس متغيرة وكأنها قد يئست...ما عهدت سورية هكذا قط انه كان البلد الوحيد الذي تجوب جميع محافظاته دون حاجة الى الادلاء بهوية ودون ان ترى دورية امنية او حاجزا واحدا على اية طريق كان...كنت حين تنام هنا تشعر وكأن الامان طائر يبسط جناحيه على سماء الشام وكل البلاد ...كم يموت قلبي قهرا للشعور الذي انتابني اثناء اقامتي هنا ...كيف لسورية ان تصبح هكذا؟

- لا احدا فينا غير مقهور يا اماني لكن ماذا بوسعنا ان نفعل اذا لم نصبر ونقاوم؟

لكن الى متى؟

- دوام الحال من المحال ...ربما هذا ما يواسينا ويعطينا الامل بالغد لكن هل زرت الشام سابقا حتى تقولي "ما عهدت الشام هكذا من قبل" ؟

- نعم ؟ لا انا لم ازرها لكن قلت لك سابقا ان ابي كان تاجرا وهو يعرف الشام جيدا وكلنا نعرف انها مدينة الامان والسلام

- اجل فهمت

- لكن وسط كل ما يحدث اكثر ما يؤلمني هو وضع الجنود كيف تمرون بحال لم يعرفها جيش في التاريخ قبلكم؟ كيف تتحملون هذه الحرب الكونية الضارية اللمدمرة؟

- من الله....مطرح ما تخلص قوتنا بتبلش قوة الله فينا

- لكنكم تقولون دوما نحن دولة من فقر ويأس

- اجل لا تستغربي .

- لم تقولون ذلك اذا كان كل جندي منكم يعيش بطلا ويموت شهيدا والكل يتمنى لو يحظى بما ستنالونه في اخرتكم عند الله

- ما سنحظى به هو فقط في اخرتنا وعند الله لكن لا نصيب لنا من الدنيا لا كجرحى حرب ولا كجنود ملا يزالون قيد العذاب...الناس لا ينظرون الى تفاصيل حياتنا المتعبة التي لا تمت لحياة بقية الناس بصلة ...انت رأيت القليل مما نعيشه اثناء تصويرك للبرنامج الذي عرض على قناة المقاومة

- اجل رأيت وتألمت لشدة ما تقاسونه

- ما رأيته ليس الا قطرة من بحر عذابات ...نحن نركض ونحمل الاسلحة اربعة وعشرون ساعة وننام سويعات قليلة جدا في اليوم بلا نزع ملابسنا او احذيتنا او تغييرهم واحيانا نبقى لاكثر من يوم بلا نوم...ليس فقط الارهابيون اعداءنا انما الفصول والجو والطبيعة كذلك...ففي الشتاء تجدينا نصارع القر وفي الصيف نجابه الحر...اما بثياب ملطخة بالوحل ومبللة بالمطر او تحت الشمس الحارقة نتصبب عرقا ننام في العراء واذا تحسن حالنا تجدينا في الخيام اوفي نقاط تحصن عادة منا تكون بيوتا مدمرة...نبقى بلا اغتسال لاكثر من عشرة ايام وقد اعمى عيوننا غبار القنابل وتصدعت اذاننا بأصوات القذائف والصواريخ والرصاص ولم يرى كل منا عائلته منذ اشهر او سنوات حتى ...والبعض ولدت ازواجهن ولم يروا ابناءهم المواليد الجدد...هذا بغض المنظر عن شبابنا الذي راح ضحية حالنا هذه...لم يعدد احد يرغب في تزويج ابنته من عسكري خوفا من ان تجد نفسها فجأة ارملة ...اشباه الرجال في بلادنا ينامون بأحضان زوجاتهم ويسألوننا "ايمت رح تخلصونا" وما ان تصعد على احدى القنوات فنانة لتغني اغنية وطنية تصبح بطلة ويجعلون منها نجمة...ولا احد يبدي اهتماما لماسينا او يظهر احتراما لتضحياتنا ...اننا لسنا آلات حرب ومقاومة فرغم رائحة ثيابنا البشعة بالرصاص والدم والتراب ورغم جراحتنا وخدوشنا التي تملا اجسادنا في النهاية نبقى بشرا نضحك ونبكي نغني ونرقص ونرسم ونعشق بشغف ...حتى اننا نتصرف كالاطفال احيانا ولسنا بحاجة لأحد بأن يقول "مساكين" فاننا لسنا كذلك لاننا اذا سقطنا نسقط شهداء واذا عشنا نعيش ابطالا دوننا تاريخ وطننا بخطواتنا وبواريدنا واحذيتنا العسكرية اشرف من لحي الكثيرين اللذين ينتقدوننا ويطعنون بطولاتنا بمبتذل الصفات التي تنطقها افواههم القذرة ...صحيح قد تغدرنا اللحظة ونسقط لكننا لم نخلق كي ننحني لغير خالقنا مهما كانت الظروف ومادام هنالك في السماء من يحمينا فلا احد في الارض يبكينا لقد بيعت حياتنا بلا ثمن لقدر لا يمكننا تغييره ولكن برصاصاتنا سيبقى صوت الحق مرتفعا.

- ربما انت على حق .

بقيت جالسة اليه تتأمل ملامحه كعادتها تحاول الارتواء من لقائه تستمتع بكلماته التي تبث في روحها حماسة وحبا له يكبر مع كل كلمة ينطقها ...لطالما اعجبت بوطنيته وحماسه !

الجزء الثالث

"نحبهم ولكن لا نقترب منهم

فهم في البعد احلى

وهم في البعد اغلى

وهم في البعد ارقى"

- جبران خليل جبران-

كثيرون اولئك اللذين نحبهم ونذوب شوقا للاقتراب منهم ومرافقتهم ومشاركتهم حياتهم وما ان فعلنا الا ووجدنا انفسنا نعيش رتابة الحب معهم...الا وكرهناهم واكتشفنا فيهم كل سيئاتهم التي كانت محجوبة عنا يوم كنا نتأملهم عن بعد...

ليس الاقتراب كل السعادة...فكلما اقتربنا قتلتنا اللهفة والشوق..هنالك اناس الافضل الا نكسبهم ...لصالحنا الا نقترب منهم والا نعرفهم...فيمكن لذلك ان يقتل فينا حبهم...فرغم اننا نشكو دائما عدم حصولنا على ما نريد لكن الم الحرمان افضل من ملل الكسب بعد الحصول...هنالك اناس لا نفارقهم...لطالما كانوا يعيشون فينا مكان اقاتهم ذواتنا في اعماقنا يسكنون لا يغيبون عن ارواحنا قط...كيف لنا ان نتحمل خسارة شيء لم نمتلكه يوما وكان حلمنا الوصول اليه؟...اولئك اللذين وضعناهم بمرتبة الحلم وجعلنا هدفنا الوصول اليهم وجعلنهم احد ممتلكاتنا ولا امتلكناهم ولا وصلنا اليهم...

كل لحظة تمر من حياتنا دونهم هي بمثابة الموت وجعا والاشد الما انهم يحيون دوننا في ضفة اخرى من الزمن دون ان يكلفوا انفسهم عناء تذكرنا واسترجاع ايام كانت لهم معنا...ليتنا نقول لهم:"ايها الغائبون...اظننتم اننا لا نراكم لانكم لستم بجانبنا ...انتم اللذين تسكنون بين اعيننا وتحتلون فكرنا وتقتحمون مخيلتنا وتعيشون في ذاكرتنا كل لحظة ...غيابكم لا يزيدنا الا وفاء اليكم وتشبثا بكم" لكن ايسمعوننا؟

"لايمكن لي ان انسى الكلمات التي قلتها في اول ايام عيد فطر قضيته معك يوم نشرت تلك الكلمات على حسابك الشخصي "فيسبوك"

"صباح الخير...اول شي لاحدا يزعل مني مارح عايد حدا لانو والله ماعندي عيد...والله يحم ارواح شهداءنا جميعها يلي ضحوا بارواحهن لحنا نشوف العيد هلق ونحنا مو هاد عيدنا عيدنا هوي عيد الثأر لارواحن الطاهرة يلي عطتنا الحياة صح شو ماعملنا ما فينا نعوض غيبة شهيد عن اهلو عن عيلتو عن ولادو بس فينا نشفي قلبوبنا وقلوب اهالي الشهداء بالنصر ...بالله...انا هلق خلصت حسي بدعي ربي

بهالصباح الفضيل يرحم ارواح شهداءنا شهداء سورية شهداء الحق شهداء النصر المكتوب باذن الله..بدعي ربي عيطي اهاليون الصبر ونحنا منوعدكن يا اهالينا يا اهالي شهداءنا تكون ارواحنا وايامنا وكل نقطة دم بعروقنا فدا ارواح ابناءكن الطاهرة ياربي استجيب دعائنا"

...

كم كان عيدا جميلا ذلك اليوم الذي قلت ان ليس بالعيد لديك كنت يومها اقرأ ذلك المنشور مبتسمة معجبة بكل ما تنطقه شفتاك وتكتبه انامك عن بلدك وشهدائها وكل من رآني ظن بانني مجنونة اضحك لوحدي كنت كلما قرأت لك ضحكت وابتسمت وامتالات عيناي بريقا ...كنت اشعر ان كلماتك تلك هي نوتات موسيقية تنبع من صولفاج روحك تنثرها على مسمعي بشفتيك كي تراقص قلبي فرحا وما جعلتك تكتشف ذلك يوما ...اذكر يومها في ذلك العيد والعيد الذي تلاه اذكر انني ما عايدت لبنان ولا عايدت اهلي ولا كنت اعيش هناك الا جسدا ...كانت مخيلتي وروحي معك في الشام ...كنت وقتها في الضاحية انتظر عودتي لدمشق علني احظى برؤيتك واعايدك عن قرب...

كانا عيدين فقط يا "مجتبى" فقط سنة بين عيدين قلبت فيها جميع قواعد العشق في قلبي وخرقت فيها جل ما عاهدت عليه نفسي...لطالما امنت ان محاولتي الاقتراب منك كانت السبسب في خسارتي اياك ...لطالما امنت ان من نحبهم يجب الا نقتر بمنهم وان قربنا سيجعلنا نكرههم ونكتشف عيوبا فيهم كان يغطيها البون وتحجبها المسافات عن انظارنا...لطالما امنت ان اللذين رحلوا حتى ولو عادوا فانهم لن يعودوا مثيوما كما كانوا قلب الغياب فكل ما تشوه او تهشم او تهشم لا يمكن ان يقول مثلما كان عليه...ولا يمكن له الععودة لنفس المرتبة التي كان يحتلها بقلوبنا وبنفس الشكل الذي كان له في اعيننا ...لذا الافضل له ان يبقى على غيابه...لم اكن لاصدق ان بك سيئات يوما فليسوا من احببنا بمثاليين لكننا نخلق فيهم المثالية ونرفض فيهم كل سيئة مع ذلك تبقى لدينا الرغبة بحبهم لذلك فالبعد افضل لهم ولنا كي لا نخيب ولا تخيب الصورة التي رسمناها لهم بمخيلتنا ..وعندما اقتربت منك او حاولت ولم انجح تمزقت تلك الصورة في مخيلتي ومزقت قلبي...حاولت اعادتها ولم اقدر وادري انها لن تعود...خطأ الاحبة انهم حين لا يبادلوننا مشاعر حبنا تجاههم يطاردوننا من حياتهم لاقناعنا انهم ليسوا لنا مع اننا نعلم ذلك جيدا ولم نرد يوما ان يكونوا لنا انما فقط نريد ان نبقى على حبهم وما فعلوه اغبى الحلول التي انتهجوها لانهم لا يدرون ان بامكانهم ابعادنا بامكانهم صدنا عنهم بامكانهم منعنا من رؤيتهم لعقود وسنوات لكنهم لن يقدروا على منعنا من حبنا لهم او الكتابة عنهم او الدعاء لهم ولازالوا يعيشون بدواخلنا فالمسافات لم التي تبعدهم عنا لن تغير بنا شيئا غير ان الزمن يقهرنا ويميت بداخلنا شيئا لا ندريه بدقة باعاده لاحلى اللحظات التي عشناها وعشقناها بعيدا عنهم...فكيف لنا ان نقاوم فاجعة فقداننا لشيء احتجناه طيلة حياتنا ولم نحصل عليه الا برهة من الزمن؟

صوته....صوته الذي لم تتجرعه الا لبضعة من الزمن وعاش على احتياجه بقية حياته كيف لها ان تنسى انه منحها منه حتى ادمنته ثم سلبها اياه غير عابئ بما يمكن ان يحصل لمدمن فقد مخدره...اي علم هذا الذي لم يجد بعد كيف يرجعنا الى احلايام حياتنا كيف يجعلنا نرى اجمل ذكرياتنا امام اعيننا...

أي علم هذا الذي يدعي التطور وهو غير قادر على تحريرنا من ذكرياتنا؟ على قتل خوفنا من مستقبلنا؟ على مداواة قلوبنا من جراحها على اخراج المخذولين من خيبتهم...على ايقاظ الخارجين لتوهم من لحظة حب فاشل من صدمتهم العاطفية..

أي علم لا يقدر على منحنا وقتا اطول مع من نحب...

أي علم غير قادر على تمكيننا من تخبئتهم عن الناس وجعلهم من املاكنا الشخصية..اي علم لم يقدر على منحنا ملكة الاختيار ...لاي علم يدعي التطور ونحن لانزال اضعف مايكون امام خيبات الحياة اضعف مانكون ونحن واقفين امام اقدارنا وكأن لا حواس لدينا تمكننا من التغلب على عجزنا امامها...حيث لا ينفعنا ذكاء ولا ثقافة ولا دهاء ولا جمال ولا طيبة تقنعها ان تكون خيرة معنا...

الخيبة هي ان نفقد ما افتقدناه لعمر ومنحتنا اياه الحياة الوهلة...

"جامحة هي الكتابة التي تستمد مدادها من الذاكرة التي تغمس يراعها في الوجع...التي تشرب من ماء الروح الشحيح بنهم...التي تخرج الى الحياة قبل ان احجز لها مكانا فيها."

محمد حسن علوان

...كانت الى طاولتها جالسة تكتب في ساعة متأخرة من الليل تكاد تكمل الورقات الاخيرة من قصة وجعها وليت آلامنا اوراق تنتهي بتمزيقها ...هي على عجل كي تكمل تلك الرواية كي تراها بين يديه يقرأها عله يعرف من هي ويسترجع قصة ظن انه انهااها وما انتهت ولن يكون لها نهاية ..."كم اعشق روايتي هذه التي كتبت لا لانني من كتبتها بل لانني فيها ولانها لك صدقني خفت كثيرا وانا اكتبها وافكر بنشرها خفتك وخفت ردة فعلك اذا علمت بها...لكن لا حل لي لاخراج قصتك من عميق ذاتي غير نشر رماد ذاك الحريق الذي اشعلته في قلبي على رفوف المكتبات عله يخمد بداخلي...كنت اخاف وانا اكتبها واكتب عنك فغيرت اسمك واسمي مع الحفاظ على اول حرف منهما ...لكم خفتك يا"مجتبى" لطالما خفتك بقدر حبي لك...تخيلتك كثيرا تمزق اوراق روايتي هذه امامي وتدعسها بقدميك تخيلتك كثيرا تلعن اليوم الذي اتيت لي فيه وحدثتني ...لطالما تملكتني هواجس كرهك لي حتى انني تمنيت لو لم اخلق لاتعرض للكره من قبل قلب احببته...لطالما تخيلتك تشتمني تضربني تصرخ بوجهي وتدعس كل حرف كتبته لك والا ادري ما الذي خلق بمخيلتي هذه الصورة الوحشية لك وما ادري اذا ماكنت بكل تلك الوحشية حقا ام لا...لكنني ادري شيئا واحدا ان ليس بالرجال من رقة...اتراك تقدر على فعل ذلك بي ؟ ولماذا تراك تفعله؟ ليتني لم اخلق لاعرفك ثم افارقك...ما الذي تراه جعلني اعرفك كي ااعيش بقية حياتي على ذرف فارقك حتتعبت عيناي ...كم كرهتك وكرهت نفسي لانني احببتك طلبت الله قربك...ودعوت لك وسعيت جهدي ان اكون امرأة في عينيك ...لماذا تراني فعلت هذا؟ التفعل بي ما فعلت؟ لماذا تراني احسست ما احسسته تجاهك كي اكتشف بلحظة خطأ مشاعري الذي اودى بقلبي..لطالما تساءلت لماذا ترانا نعرف اناسا يلطخون ماضينا بالسواد ويدمرون حاضرنا وشوهون كل جميل فينا ليرحلوا منشرحين ونعيش على مخلفات ما الحقوه بنا نحاول ترتيب فوضانا بعدهم وتجميع ما تبقى لنا اثرهم واعادة اعمار دمارهم ....لطالما امنت ان ادنى انواع الناس اولئك اللذين يعلقوننا بهم وما ان اعطيناهم ابيدينا رحلوا وتركوها تصافح الرياح...

كم كنت اراك في مناماتي وكم تمنيت لو حكيتها لك لا ادري لماذا كنت اراك في منامي طفلا رايتك في احدى مناماتي رضيعا في عربة اطفال تناديني وتضحك مصفقا بيديك سعادة برؤيتي فأخذتك بين يدي وانا اصغر اسمك وقد قلت "حبيبي ميمو" ومرة اخرى رايتك طفلا الاعبك واسالك عن اسمك وانت تنظر الي مبهوتا دون ان تجيبني ...وغيرها من الاحلام التي كنت في كل مرة استيقظ منها مذعورة مستعيذة بالله

كنت اتمنى ول حكيت لك كل مارايته ولو فسرت لي لماذا كنت تزورني في مناماتي وتفعل بيم اتفعله...لقد كنت تخيفني في يقظتي وتفزعني في احلامي حتى كرهت النوم واليقظة...

***

اخذ هاتفه واتصل بها دون تردد هو الذي دائما ما يفعل ما يريد دون ان يسأل ما ستكون نتيجته وما اذا سيندم على ما اقدم عليه ام لا هو منن لا يخاف العواقب ولا يخشى النتائج وضع الهاتف على اذنه وبقي منتظرا اجابتها بينما كان يسمع رنات هاتفها المتقاطعة ....خرجت من الحمام في منشفة بيضاء لتسمع رنين هاتفها ...كانت الثامنة مشاء ظهر اسمه على الشاشة استغربت ما الذي دفعه للاتصال بها في وقت كهذا وضعت اصبعها على زر الاجابة ثم تراجعت...ورمت بالهاتف على الفراش وتركته لرنينه...سالها فضولها ماذا تراه يريد منها لساعته؟ ايكلمها اطمئنانا عليها؟ ام ليخبرها بشيء يخامره تجاهها؟ ايريد سماع صوتها ام معرفة اخبارها؟ ام مشاركتها سهرتها؟ هي على لهفة لسماع صوته دائما لكنها لا تريد ان تشعره بانها اداة طيعة بديه عليه ان يشتاقها كما جعلها تشتاقه عليه ان يخسرها لبعض الوقت كما جعلها تخسره لعقد عليها ان تبعده قليلا كما ابعدها لكن قلبها لايطيعها اعاد الاتصال ثلاثث مرات وهي تنظر الى الهاتف جالسة على فرشها وغبيان داخلها يتصارعان ...قلبها يقول : لا تترددي اجيبيه وانتشي بسماع صوته.

وعقلها يجيب :لا لا تبيعي له كبرياءك وتتنازلي له عن عنفوانك

لاجل بضع دقائق من الظفر بصوته...

هي تدري جيدا ان غروره يجعله دائم الظن انه قادر على امتلاك كل ما يرد امتلاكه وانها اذا احبته ستكون غرضا بيده...

هي تدري ناه يحب صعبة المنال من تتقن المسافة فن الكلام فن الحب تتقن ممارسة الحياة...وكانت هي بارعة في كل ذلك...فجأة توقفت اتصالاته لم تحرك بصرها من على الهاتف اتراه ادرك تعمدها لعدم اجابته...هي تتعمد اشعال فتيل اللهفة تحاول اشعالقلبه بنار الشوق دون احتراقه عله يشعر بصعوبة وصوله اليها...

التقت به باللاذقية بعد ان طلب ذلك واتى واخذها من بيتها...

كانت تحت وابل من الكلمات المنمقة واقفة اليه تشاهده يمارس اغراءها به وشدها اليه وهي على اهتمام كبير بما يتفوه به فهي لطالما سحرتها كلماته التي تولد من بين شفتيه وتموت امام انفاسها...لطالما سحرتها رنة صوته والتي تعبر تخاليجها بهزة وجد فتحرك بحواسها شيئا لا تفهمه في كل مرة...

في لحظة هروب من الحياة رتب لهما الحب لقاء خارج ساعات عملهما بعيدا عن الضجيج والخوف واقفان بين اشجار السرول على هضبة مطلة على البحر يغطي لحظات لقائهما ستار من مطر هاطل من سماء رمادية وقد غشى الجو نسمات شتائية باردة جعلت جسمها النحيف يرتعش بردا لكن وقوفها امامه واحتضان عينيه لها يدفيها وينسيها برودة الطقس ...كان قلبها يرقص عاريا على وقع ايقاع صوته وهو يدرك جيدا مدى تأثيره فيها...ابتسم تقدم نحوها امسك بيديها قال :

- اتحبين اللحظات التي تقضينها معي؟

- احبها واخافها

- تخافينها؟

- اخاف رحيلها وعذابي في تعلقي بها

- لا داعي للخوف من نهاية الاشياء فالنهاية اتية لا محالة لكن ياحبذا لو تكن نهايات جميلة

- ياحبذا

- الا تشعرين بالبرد بهذه العباءة التي تلبسينها؟

- ليس كثيرا

قام بنزع معطفه الاسود واقترب منها

- ماذا تفعل ؟ سوف تمرض

- لاتقلقي

وضع المعطف على كتفيها وداعب اذنها اليمنى بانفاسه من الخلف كانت ترتعش بين يديه وهي لاتدري اترتعش بردا ام من اثر لمسته.

التفتت اليه: هيا لنذهب

انطلق بها في السيارة واخذها للنزل المقيمة فيه باللاذقية بقي جالسا اليها في السيارة وقد شغل ماسحات الزجاج بعد ان انسكبت قطرات المطر علهيا استغربت وقوفه ولكنها التزمت صمتها ارادت ان تقول له"لماذا لا ننطلق؟" لكنها ابت فالافضل لها ان تستمتتع بلحظة تعيشها لتوها لربما لا تتكرر ابدا ولا تفسدها بحماقاتها...

قال:- اننطلق؟ ام اخذك الى مكان اخر؟

قالت:- اشت ...استمع الى قطرات المطر تتحطم اثر اصطدامها بالارض كتحطم احلامنا اثر اصطدامها بقاطرة القدر...

- انت رومانسية جدا عزيزتي

- انها ليست رومانسية ...انها محاولة للهروب من الحياة ...الليل والقمر والنجوم والمطر وحفيف الرياح الخريفية علينا ان نعيش الحياة في الخفاء بعيدا عن الكل.

- لماذا؟

- حتى ننعم بالراحة... علينا سرقة اللحظات الجميلة من بين عقارب الساعة عنوة فالحياة لن تعطينا اياها وهي لن تأتي الينا على طبق من سهولة.

- معك حق...عالمك جميل جدا.

- انصحك الا تدخل عالمي وعالم الروائيين عامة ... فنحن الادباء نعيش حياة درامية في ذواتنا لا يفهممها العاديون لطالما كانت علاقتنا العاطفية فاشلة...نهاياتها مأساوية او ربما لا نهايات لها ...اننا لا نتقن الحب او ربما الحياة.

- لم تقولي لي انك كاتبة من قبل.

- اجل ولن افعل ذلك؟

- ولم لن تفعلي؟

- انني امتهن الادب منذ سنوات...انه وهم...يستهوي بقصص حب لا وجود لها حقيقة ويجعلهم يحلمون بعيشها ويبحثون عنها يتسبب في ضياع وقت طويل من حياة الكثيرين في البحث عن كسب ما يظنونه يوجد حقيقة وهو ليس الا وهما.

- ماهو؟

- الحب...ان الحب والادب اذا اجتمعا لا يمكن ان يلدا الا مأساة لذا لا يمكنك ان تجد رواية عاطفية لا مأساة فيها...ولذا اذا اردت الحب عليك ان تعيشه كواقع لا كرواية ...لا شيء يفسد الحب قدر الادب..ربما تستغرب كلامي لكنني رغم ممارستي الادب مهنيا الا انني اخاف ان يصبح حياة لي...اخاف ان اعيش رواية كتبتها.

- افهم من كلامك انك تمتهنين شيئا تخافين ممارسته وتكرهين عيشه؟

- حاولت ممارسة الحب ادبا سابقا وانتهى ذلك بكارثة لقد تبت من الادب ولا اريد له ان يغزو حياتي مجددا لذا ساجعل حدوده الورق...انني اكره الادب لانه يجعلنا حالمين في زمن نحن في حاجة لان نكون فيه واقعيين.

- ولماذا يجب ان نكون؟...للمرء حرية الاختيار اما ان يعيش واقعه او ان يلجأ لاحلامه.

- لا ...ان الحلم يجردنا التفكير ويجعلنا نسير بعاطفتنا العمياء فنتسبب بارتكاب جرائم بحق انفسنا .

- اعجب لكاتبة تنبض عاطفة في رواياتها وتتجرد منها تماما في حياتها ...كيف امكن لك كتابة كل ما كتبته وانت في الواقع هكذا؟

- لست الا ابيع الاوهام العاطفية كما بقية الكتاب ....وقد قلت لك ما في الكتب لا وجود له في الواقع انما انا اعوض عن خساراتي في رواياتي فإن كل ما نحبه ونفقده في الحياة نعوضة في رواية.

....

اضطرب من كلامها ..اكانت تعطيه اشارة عن ان علاقتهما لن يكون لها نهاية ام ستكون فاشلة؟استعزف له الوجع وتنيمه على انغامه كما تفعل برواياتها لقرائها؟ كاننت تتفوه له بجمل اشبه بشيفرات تعطيه اياها وتترك له حلها وهو يزداد عجزا وابهاما في كل مرة ولا يفهم شيئا مما تقول...في كل مرة تتحدث فيها عن الرواية يزداد هو تعطشا لاعادة قراءة رواياتها عله يفهم ماكانت تخرجه من اعماقها على الورق ...هل تراها فقدت شيئا في حياتها صنع منها كاتبة تريد تعويضه في رواياتها ؟ ماذا تراها فقدت؟

نظر اليها وقال: هيا فلننطلق.

قضت معه لحظات ما كانت تظن ان تعيشها يوما ثم عادت للنزل في اللاذقية ولي لا تكاد تصدق للمرة الثانية يحدث ما كتبته في روايتها ...استغربت ذلك...ايمكن لما نكتبه في رواية ان صبح واقعا امام اعيننا نعيشه؟ اذا كان الامر يتطلب الجلوس الى الورق وكتابة ما نتمناه ثم انتظار وقوعه فبإمكاننا قتل اوجاعنا اذا...تساءلت ايمكن لنا استرجاع حبيب غائب اذا كتبنا عودته على ورق..؟ لماذا لم تفعل ذلك منذ زمن اذا؟ ايمكن لنا اصلاح اخطاء لم تعطنا الحياة فرصة اصلاحهااذا تخيلنا ذلك على ورق؟ايمكن مصالحة اولئك الغائبين اللذين لم نفهم بعد كيف ولم سرفقتهم منا الحياة؟ما سر هذه الطاقة التي يعطينا اياها الورق والخيال ...نكتب احيانا عن شخصيات ظننا اننا خلقناها باقلامنا من صميم خيالاتنا واذا بنا نقابل اشباههم تماما في الحياة ...نرسم احداثا نقول ان لا حدوث لها في حياتنا الا في منطقة اللاشعور في اعماقنا واذا بنا نعيشها في لحظات لا نصدق اننا نمر بها ونحن واقفين امامها...لطالما حدث ذلك مع الكتاب كالنات قد كتبت انها ستلتقيه بعد عشر سنوات وقد حدث ذلك ثم كتبت لقاء في لحظة ماطرة معه خلف زجاج السيارة فخرجت لتعيش ذلك معه...ربما يحدث ذلك لاننا نحاول الهروب من الحياة في كل مرة نكتب فيها والحياة تأبى لنا ذلك...وتطاردنا بملاحقتها ايانا...فلا نجد فرصة غير ان ننثر ما تمنيناه على ورق...وجسدناه في شخصيات خيالية رسمتها اقلامنا ...وقفت الى مكتبها مستغربة لقاءها هذا الذي كانت قد كتبته بين حبيبين على ورق قبل ان تخرج لتعيشه وكأنه كائن حبري هرب من الورق الى حضنها..

هو الذي بنظرة منه يلبسها فستان الذكرى الملطخ بغدره...بنظرة يشعل قلبها حنينا ووجعا الما وقهر احبا ورقة ...بنظرة واحدة تنسكلما حولها تتجرد ممن افكارها ...يصعد الدم الى خديها فيصبغهما حمرة ...تقف امامه ممزقة بين زمنين لايمكنها ان تخون ماضيها دموعها وجعها حرمانها الذي كان هو سببهم ولا يمكنها مقاومة نظراته حركاته صوته حبها له...التي بقيت على وفائه طيلة عشر سنوات من حياتها...واقفة هي امام خيارين لا سبيل الى انتهاج غيرهما...تقف امامه تتمنى حينا خنقه او قتله على مهل كمافعل بها ...وترى نفسها حينا آخر تضم رأسها الى صدره وتخلع عنه ثوب همومه وتعبه..هي التي احبته طوالا كصغير لها بين يديها انجبته من القدر امتحنتها الارادة الاهية به فجعلتها خسره كل هذع الفترة ...هي الت يلم تره يوما الا كطفلها...تهدهده بكلماتها تشبعه بنظراتها وتنيمه على نغمات حنانها في اعماقها حتى ولو لم يكن بحاجتها تدري جيدا كيف تجعله في قمة الظمأ اليها

هو ذاك رجل الغياب وسيد الرحيل هو رجل الوقت الذي يعرف متى يظهر ويغيب يلعب بعقارب الساعة في حياتهاحتى يشتت تفكيرها هو الذي غاب حتى يجعلها تخرجه من حياتها فسكن وقتهاهي سيدة الكلمات وامرأة الغموض هي التي بكلمة واحدة منها يظل اياما يعيد ترتيب افكاره كل جملة كانت تقولها كانت تدفعه لكتابة رواية بأكملهااتريد ان تجعله كاتبا كإياها؟ هو الذي يعلم جيدا انها تستعمل موهبة كتابتها في محاولة منها لاسر قلهب ولسب عقله منهلم يرفض مغامرتهاتلك فأصبح يبادلها اللعب بالكلماتمحاولا اغراقها وهي تزيده غرقاهو لا يمكنه هزمها في منافسته لموهبتهاهي سيدة الحب وهو ملك الرومانسية كانا يكتبان سويا رواية من عشق....

هو الذي كان قصيدة حياتها...ثم اصبح قصر اسرارها ثم مدينة احلامها ....وكلما كتبت عنه اكثر كبر مكانه في قلبها...لاجله جعلت قلبها ملئ الكون كي يتسع له....كانت كلما اخرجت جملة تبيح حبها له يزداد تعلقا بكلماتها وتفرسا فيها ...هي التي كانت جميع جملها تدور حول الحب دون ان تنطق كلمة حب مرة واحدة...وهو يظن ان ذلكنوع من ذكائها في اختيار الكلمات بينما كانت تلك التي تحبه خوفا وتعشقه احتراما....وليست على قدر من الجرأة التي تسمح لها بنطق كلمة حب امامه....هي الكاتبة التي تقدس الحب ليس كما الاخرين والعاشقة التي تخاف ممارسته....

كان ائما ما يفاجئبسهولة قراءتها لخباياه مهما بقي على صمت وبقدر ما احاط نفسه بالغموض ...كان يعجب من اين لها كل ذلك؟

لم يدر انها الاقرب اليه مهما ابتعد عنها او فضل عليها اخريات...وان الله قد خلقها جزءا من روحه في جسد انثى....

"هنالك دائما من يقدر على فهمنا اكثر من الجميع دون درايتنا ونحنلا نعلم بأمرهم نقتلهم تجاهلا بينما يعشقون قربنا ويسعون لمعرفتنا"....هو ذاك الذي ظن سابقا ان بصمته يقتل تفكير الاناث لم يعلم ان

بالنسبة لها الصمت لغة تفهم...وحده قلمه يشي بصمته ويكشف ثناياه على الورق حبرا...هناك دائما من يظل على وفائنا له بغير علمه ونكتب عنه دون درايته ونعشقه حتى اخر نفس لنا ولا نخبره...

هو رجل الارباك دوما هوالذي يربكها بغموضه ذاك ....بصمته....بأسلوبه في معاملتها...هي التي تخافه وتخاف ذاك الاسلوب هي معه لا تدري ماذا يمكن ان يحصل لها لماذا يمكن ان يأخذها؟ ماذا له ان ان يفعل بها؟ ماذا لها ان تفعل معه في غير وعي منها؟

...

هو لا يزال يسحبها الى اعماقه بكل تفاصيله وهي غائبة عن وعيها فاقدة رشسدها امام كهرباء عينيه الذي يسري في جسدها كلما حدقت به ليتكرها في رعشة كما بين صعقة وموت...

"كم بقيت اخبئك في داخلي بعمق....كم احتفظت بك في اعماقي وكم خفت هروبك كم خفت معرفتهم لاسمك وما باسمك وشت شفاهي ولكنهم قرؤوك على ورقي ولا يعس ورقي الحديث عنك فالحديث عمن نحب لا ينتهي ...كانت الكتابة سبيلي الوحيد اليك ...حيث بها اشعر انني ارتوي منك ولكنني ابقى على يقين انني رغم كل ما كتبته يبقى لي ما اقوله عنك دائما...ما احلى ان اتحدث عنك"

" للذكريات قابلية على منح الواقع صفة لا علاقة لها بالحقيقة"

آذار نفيسي

"في نيسان...في احدى ليالي شهر كهذا منذ سنوات...استشهد ابن خالتك علي في نفس السنة التي خسرتك فيها ...فقدت انا اخي وفقدت انت ابن خالتك ...هل كانت صدفة؟ ام ان الزمن والموت وقع بيننا هدنة نسيان تديم بقاء شؤم تلك السنة ولوعة الفراق بذاكرتي واياك الى الابد؟

كم عيد كم مناسبة كم راس سنة هجرية وميلادية كم فرح وكم حزن؟

كم دمعة وكم ضحكة كم عزاء وكم عرس وكم يوم وكم ساعة وكم نبضة وكم نفسا؟ كانوا لنا دون ان نكون معا...

اتراك تدري انك كنت حاضرا في جميعهم معي؟ اخبئك في قلبي عن العيون المتربصة بي...اكثر ما كنت اخاف عليك منه ان يروك داخلي ..كنت اغلق جميع نوافذ قلبي واغلق فمي وعيناي وابواب مشاعري كي لا تضيع مني يا ابن قلبي ...كنت اربط على لساني...كي تبقى اسما يسكنني وهم لا يشعرون...كنت اعدل نبضات فؤادي كي لا يؤلمك تسارعها واخفت صوت انفاسي كي لا اوقظك...كنت ادري ان قلبي ضيق عليك لكنني جعلته ملئ الكون ليتسع لك وستبقى فيه دوما مادام ينبض..اتعلم؟ مشكلتنا اننا التقينا في المكان الخطأ وفي الزمان الخطأ...ولم يخطأ احد من كلينا ...يومها اشتعل قلبي حرقة ما ان علمت الخبر وما ان قلت في رثائك له"قهرت قلبي ياقلب قلبي" حتى انفجرت عيناي بكاء لبكائك واعتصر قلبي قهرا لقهرك...اتذكر ليلتها انني سهرت ليلي ادعو الله ان يجعله من القوافل المهاجرة نحو الحسين...تذكر في تلك الليلة النيسانية انني اردت ان اتحدث اليك طويلا واوسيك كثيرا علني اخفف عنك وانسيك الامك ...لكنني تراجعت عن ذلك فقد كنت في حالة حزن واعلم انك لا تقبل ان تكون موضع شفقة من احد...وكم من شيء غير ذلك تمنيته ولم افعله معك...لم اتحمل ليلتها ان اتخيل صورتك بين عيناي تشيع نعشه وتبكيه لذا بكيت...كنت اعلم ان اعماقك مليئة حزنا وقهرا لكنني لم اتحمل يوما ان اراك حزينا كم كنت اشعر بالرغم من حزن عينيك ان الحزن لا يليق بك ولا يصلح ان يكون ثوبك...لكن ليت بإمكاني ان اغسل روحك مما لحق بها جراء الزمن ...اذكر انني لنم اجرؤ حتى على الحديث عنه عند حديثي اليك لاحقافي تموز في رمضان...يوم بادرتني بالكلام على تطبيق "فيسبوك"...لانني لم اكن ارغب في النبش في احزانك رغم فضولي لمعرفتها ...طيلة بقائي معك لم احك طرفة يوما الال اضحاكك ..كم كانت تجعلني

انتشي فرحا ضحكتك وابتسسامتك الساحرة تلك ...اذكر انك في شهر اب قمت بتنزيل منشور كتبت فيه"اصوات الرصاص تدوي هنا من داريا ...ياويلي ما احلاها" تذكرت وقتها قولك بعجد استشهاد ابن خالتك "وحياة ارواحكن يا اطهار مارح نبرد ال الناخد بالتار" احسست وقتها انك كنت تأخد ثأره وفرحت لذلك ...كم كنت انتظر اخبارك على شوق ولهفة حتى اتاني يوما خبر عدم رغبتك بي وطلبك رحيلي ...دون ان تعلم انني بقيت اقتفي اثر اخبارك خفاء بعد ذلك وبقيت طويلا على ذلك الحال...في تلك الليلة النيسانية حزنت ولم ازل في حزني لحزنك حتى اتى بعد يومين خبر ستشهاد اخي على يد العدو وبعد فترة طويلة قضاها رهين سجون الاعتقال واهتزت الضاحية لاستشهاده واهتز قلبي ولم اعد اعرف لمن احزن ومن ارثي...وكأن الحزن احبنا فجمعنا بنفس المصاب وفي نفس الوقت...ولا انسى وقفتك معي يومها وكم كنت سعيدة في حزني لاجتماعي بك...كان كل مصاب يبلوني هو هين علي ما دمت معي..وما ادراك بحالي في كل سنة من احياء ذكرى استشهاد ابن خالتك ثم اخي بسعالدتي بوقفتك معي ثم ما لبثت ان وجدتك تغادرني ماذا تراه كا خطئي يا ترى حتى تستحل فعل هذا بي؟"

خطأها كان انها عشقت رجلا الحب معه كالمشي على حبل من حذر ...الحب معه يتحول الى معركة عاطفية بنفس طويل عليها ان تكون فيها خبيرة استراتيجياته العشقية لتتمكن من خوض معاركتها...

عشقت رجلا يخدع مظهره كل انثى تقف بحضرته ...تنخدع ببريق عينيه...دون ان تدري ما خلف ثيابه من خصال..رجل يبدي االرصانة والشهامة والانفتاح ويضمر جميع عقد الدنيا وافاتها ...يحب الاخلاص والوفاء والصدق ويمارس الشك والغدر والخداع والانانية...

رجل لم يرأف بانثى بقيت تنتظره على بعد الف قلم الاف الساعات...رجل يتخذ في حياته شعار "درهم وقاية خير من قنطار علاج"...هو ذاك الذي يدخل ببرودة لاذعة وهدوء تام لقلب انثى ويخرج بدمار شامل ...رجل يظمر كل ما يمكن لا نثى ان تكرهه في الرجال...رجل جمع بين طياته كل اسرار الدنيا وتناقضاتها...

هو الذي يلبس شجاعة الفرسان الاساطير الخالدين ببطولاتهم في التاريخ وهو اول من يهرب اذا ما احس ان الامور ليست بيده ولا تخضع لسيطرته...هو الذي اذا عشق انثى يعطيها من احاسيسه بلا مقابل ويدافع عنها حتى الموت ولا يتحمل اذاها ويفني حياته لاجل اسعادها...وهو اول من يهرب اذا اكتشف احدا يسعى لقراءة خباياه او معرفة ما بين سطوره...

هو الذي لا عناون له كرامته وكبرياءه والاعتزاز بنفسه ...هو ذاك الذي يتلذذ بطعم الفوز ...ولا يعرف للخسارة طريقا ويعتبرها مهانة لرجولته...يعيش حياته على انها معركة عليه ان يكسبها...لتأتي مراهقة صغيرة مقتحمة حياتهوتسقط امامه جميع احصنته بحجر واحد وتتركه مذهولا في ساحتهامبهوتا امام سهولة خروجها فائزة ..لا يمكنه نسيان احد اخرجه من معركته خاسرا مجردا من عتاده وهو القادر على

تحويل حياة شخص الى جحيم اذا كرهه...لم تقدر على نسيان نهايتها المأساوية معه منذ عشر سنوات ...فقد خرجت من حياته بخطيئة ارتكبتها مكرهة خطيئة يقد يغفرهلا لها الجميع الا هو كانت خطيئتها تلك انها كذبت وهو الذي يحتقر الكذب ويلقن درسا لكل من يمارسه عليه ...رغم انها لم تفعل حاول ان يلقنها ذلك الدرس ففرت....فكانت كل محاولاتها في ان تكون امراة في حياته قد سقطت امام عينيها بلحظة وهو الذي لم يكن يعلم انها طيلة سنة لم تترك طرياق لالا وسلكته نحو قلبه فلم تجد امامها غير الابواب الموصدة بمتاريس من قسوة حديدية يتسم بها قلبه الذي يتحول من الحبي الشديد للكره الاشد ويا ويل من كرهه...فقد سجل في لائحة اعدائه...وهي تخاف اليوم لو انه عرفها...لو ان ساعة ذاكرته تعود بالزمن عقدلا الى الوراء ..ماذا تراه يفعل بها؟ وهي التي كلما وقفت امامه انقطعت انفاسها خوفا ...وكلما جلست اليه تفرست في عينيه عساها ترى ذكراها فيهما ...عساها تشعر انها كانت يوما على قدر من الاهمية في قلبه او انها حظيت ببضعة وقت من الوجود في حياته بعد ان اخذ من حياتها سنة وظن ان بغيابه كان قد اخذ فقط تلك السنة من عمرها...في الوقت الذي كان قد نال فيه قلبا وروحا وعقلا وكيانا وكل شيء كان لانثى ما...يوما اضحى له في وهلة خروجه...وبقي حتى بعد ذلك يمتصهم على مهل لعشر سنوات حتى كادت تجن او فعلت ولم يعلم احد بحالها التي كانت تصارعها بينها وبين نفسهلا حتى دون علمه ...وهو اليوم يقف امامها لايدري شيئا من ذلك...هي التي لم تقدر على مسك شيء مما بداخلها معه...وكأنه حولها لجهاوز كان هو الة التحكم فيه عن بعد...لم تستطهع عد الساعات التي كتبت فيها عنه والتي تحدثت في نفسها الى نفسها عنه والتي سهرت تدعو فيها له...والارضض تششهد على سجداتها ....هكذا يكون العديدون في حياتنا ...اولئك اللذين بهم ولاجلهم تحيا قلوبنا لو علموا مكانتهم في افئدتنا لما فعلوا بنا ما فعلوه....اولئك اللذين غادرونا وما رحلوا...ورحلوا وما غادروا..انهم من يسكنوننا ولم يفارقونا ..اولئك الجاهلين بمكانتهم في دواخلانا...ليتهم يعلمون ان لحظة واحدة من سماع اصواتهمك التي حرمونا اياها تهز ارواحنا بهجة وكطربا وان لحظات معدودة من رؤيتهم كفيلة بجعلنا ننسى كل ما حولنا...نحن معهم لسنا بحاجة لاستفراغ ما بداخلنا حتى نرتاح...معهم نحتاج فقط لجرعة من اصواتهم لنشفى ...بحاجة فقط ان نضع رؤوسنا على صدورهم ونبكي حتى نغفو على هزات انفاسهم...ان لكل شخص فينا اناس يعيشون معه لا يراهم احد غيره...ستبقى اسماءهم واصواتهم وذكراهم ورؤياهم كحقنة تشفينا من الحياة...الوجع ان تصبح ارواحهم غريبة عنا وكم اضحى غريبا لحظة غادرها ...بعد ان كانت الاقرب اليه والاعلم به...

قالت له يوما"مهما طال عمر الرجل تبقى اسيرة قلبه الوحيدة امه والبقيات مجرد عابرات حب اليس كذلك؟" قال "اجل" ...كان يتعجب من سهولة تحليلها لنفسيات وبواطن الرجال او ربما نفسيته هو بكل هذا العمق وهذه الدقة...هو الذي كلما جلس ابجانبها يسشعر وكأنه كتاب بين يديها تتصفح ثناياه وتقرأ خباياه بكل ما فيها من شراهة للادب والمطالعة ولم يكن شعوره خاطئا كانت على نهم كبير لقراءته تماما كما تفقرا رواية هي التيس كتبته على جميع رواياتها ولم تكتف....فجعله سطورا حبرية على الورق ليس ناجعا

...هو الذي يراها تصلح ان تكون خبيرة نفسية اكثر من ان تكون كاتبة ...او صحفية...كان يستغرب من ذلك ولو انه عرف ماذا يمثل لها...

هي التي تراه بحرا يسلمها نفسه كي تغرق به...اتت بعد عشر سنوات حرمت فيها من رؤيته ظلا...لتشعل برودته الخريفية دفئا لتجعل رياحه العاتية امطارا لتطفئ ذلك الغضب البارد بلمسة من نار...لتحرق حطبه حنان...لتعلمه سكون الشتاء...لتجعل غيومه ثلوجا هما اللذان كانا يعزفان معا سمفونية من فصول ...هو ذلك الخريفي المتقلب وهي تلك الشتائية التي توقد حطب نيرانها تحت ركام من ثلوج ثم تكشفه فتغسله بامطارها ثم تعيد ذلك مرتين في كل فصل من حب...

"كم كنت اذكرك حين ارى القمر ... وكم كنت اتذكر القمر برؤيتي ايك....يومها كنت جالسة اليك في ساعة متاخرة من الليل تحت ضوء القمر وقد اكتمل وقلت لي "شايفة القمر ما احلاه" لكم تمنيت ان اقول لك وقتها "انني لست بحاجة للنظر الى القمر والقمر الاجمل يجلس بجانبي" لكن لم اقدر لقد كنت ولا زلت فعلا اجمل قمر رايته في حياتي...كم كنت اسعد بحلول القمر لان عينانا تتقابلان امامه وتريانه في الوقت نفسه...كنت اشعر انني ثرية بامتلاكي لقمر جميل مثلك...واسعد لوجودي واياه في نفس المكان ونفس اللحظة...لقد كنت اوفر حظا من رجال الفضاء اللذين يتعبونني في صنع مراكب وصواريخ للوصول الى قمرهم المرجو ....وانا لم احتج لاكثر من قلم وورق كي استحضرك...كي اصل اليك وتاتي الي...اوصلتني اليك رواية بسببها فارقتك منذ زمن وعدت اليك والتقيتك اليوم...ولا زلت لا اصدق...

***

ليس كبقية اللقاءات ...كنا في ضيافة القمر في لقاء استثنائي على ضفاف احد شواطئ عروس الساحل"اللاذقية"...قطع الصمت السائد بينهما قائلا

- اتعلمين ان في الصيف القادم سيكون زواجي ؟

- حقا؟ انشاالله الف مبروك.

(ضاحكا) .... ألهذه الدرجة تصدقينني بسهولة ؟ انني امزح.

-حقا؟

-كيف لي ان اتزوج وانا لم اخطب فتاة بعد؟

- محق كمن انا ساذجة.

- لا حاشاكي ...انها ليست سذاجة ...انما هو دليل على ثقتك العمياء بي....نيالي

اربكتها رقّة كلماته الممزوجة بصوته المخملي...فحاولت تغيير الموضوع...

- الا يمكن ان نلتقي باحد ممن تعرفهم في هذا المكان ؟ على ما اعلم ابناء عمومتك دائما يأتون الى هنا...

- ابناء عمومتي؟ كيف عرفت ذلك؟

- ماذا؟ (ارتعدت) قلت لي ذلك انت يوما ما؟

- متى كان ذلك لا اذكر

- عندما سالتني اين تريدين ان نلتقي فطلبت منك ان نفعل على الشاطئ..قلت ان بامكانك رؤية احد اقربائك وانت لا ترغب في ذلك وانا اصريت...انسيت؟

- انا قلت هذا؟ لا اذكر هذا ابدا

- المهم الان انني لا اريد ان يرانا احد سويا والا فلنذهب

- لا , لا تقلقي لن نلتقي بأحد , ان افراد عائلتي لا يأتون الى هذا المكان في وقت كهذا , مؤكد ان كل منهم مشغول بعمله

- حسنا جيد قالت ذلك ثم عزفت عن الكلام بعد ان كادت تقع في ورطة بحديثها عن ابناء عمومته وهي لا تنسى تلك الايام,ايام كانوا في غاية يفاعتهم وشبابهم يلتقون هناك.

- انك اذا اردت الحياة مرتاحة البال يا اماني عليك الا تهتمي بمن ستلتقين ومن سيراك فان ذلك سيتعبك جدا علينا ان نعيش في هذاه الدنيا بقليل من اللامبالاة وكثير من الجراة

- نظرت له واومات براسها , قال لها

- فلنتوقف قليلا انظري الى البحر ما اجمله

- ادري جيدا

- ارادت ان تقول له انه ليس اكثر جمالا من تفاصيلك لكن لا يمكن لها ذلك....وكم هو موججع الا نقدر على قول ما نتمنى قوله لهم وهم امامنا...

- قالت – ان موجاته اشبه بالايام ...واحدة تلي الاخرى وكلهن يرتطمن بالشاطئ ويمتن ولا يبقى من مائهن غير الزبد

- اجل كم هو سبيه بالحياة

- انه شبيه بك كثيرا ايضا (قالت ذلك وهي تنظر لقدميه اللتان تغمرهما المياه(

- نظر اليها مبتسما بي انا؟

- اشعر ان بداخلك شيء ما عصي على ان يفهم الا تلاحظ انك غامض جدا؟

- ربما انما انا لا احب كشف ما بدواخليس لاحد لانني لست كتابا مفتوحا ليقراني كل مار بحياتي انما انا لا اتحدث الا لمن ارتاح اليهم

- ومن هم اللذين ترتاح اليهم؟

- هم المخلصين والصادقين والكتومين اللذين يقرأوون ما ف عيوننت ولا نحتاج معهم للكلام كي نفهم

- اظن انه من الافضل لو عدنا للحديث عن الموج.

(ضاحكا) لماذا؟

- لان في زماننا هذا لا احد كما تريد.

- محقة...لكن اظنك نوعا ماكذلك

- لا تظن شيئا دع الايام تكشف لك حقيقة اللاشياء

- صحيح !اماني هل لي ان اقرأ لك يوما؟

- ربما !

جلسا على صخرة ترتطم بها الامواج امامهما...فقال :اتعلمين ؟ ان اصعب موقف على الاطلاق أن نواجه الذاكرة بذاكرة مضادة لها.

- علينا ان نجعل من واقعنا شبيها بنا كي يكون مناسبا لذاكرتنا.

- وهل لنا ان نغير من واقعنا شيئا ونحن تحت وقع سيطرته؟

- لا انه تحت سيطرتنا ان ماضينا ليس بايدينا ومستقبلنا كذلك انما بامكاننا رسم حاضرنا كما نريد له ان يكون

- اذا كنت قد خسرت شخصا وبقيت تعيشين حاضرك بدونه ايمكن لك استرجاعه اليوم والعيش معه؟

- لا طبعا

- فكيف تقولين لان لنا ان نرسم حاضرنا كما نريد؟

- علينا ان نرسمه بمعطياته أي بما لنا فيه انما ما ذهب فلا داعي ان نتعب انفسنا بالبحث عنه فقط علينا ان ننظر لما نمتلكه لحظتنا ونعيش به ونتعايش معه والا فلن نكسب مستقبلنا ولن نحتفي بماضينا ولن نحيا حاضرنا

- امممم , ربما

- ولماذا تقول ذلك؟ هل لديك من خسرته في ماضيك وبقيت تبحث عنه في حاضرك هذا؟

- الكثيرون ذهبوا وقلبوا بذهابهم حاضرنا لكنهم رغم رحيلهم بقوا ذكرى لا تفارقنا وتزعجنا وتباغتنا بنقضها لواقعنا

- اجل صحيح ومن يكون من تتذكره لتوك وقلت بسب ذكراه ما قلته الان؟

- لا احد فقط تذكرت فتاة عرفتها منذ زمن بعيد لا ادري ماللذي جاء بها لذاكرتي اللحظة

- ومن تكون؟

- كانت وقتها مراهقة ابنة ستة او سبعة عشر عاما لا اذكر اسمها ربما كان امل او شيء شبيه بهذا

- وماذا كانت قصتها؟

- في الحقيقة لاا ادرياكانت تحبني ام لا لكنها كانت تهتم لامري ولا تريد اظهار ذلك وكانت تحاول التقرب مني وتنكر ذلك طلبت رحيلها ثم ندمت وعندما جحاولت استرجاعها كنت هي من ابت ذلك بعد ان ابيت انا في المرة الاولى البقاء وقد ترجتني

- ولماذا حدث ذلك بينكما؟

- كنت اظنها تكذب قتلت عشقها بشكي ثم عرفت انها كانت صادقة وقد احبتني بكل ما فيها وان ظنوني قد اخطأت

- وكيف عرفت ذلك

- انني اشعر بذلك لقد كانت تقول لي " لا اريد خسارتك"

- ولم لم تذهب وتعتذر اليها اثر تاكدك من صدقها

- سافرت ولم التقيها حتى اللحظة ...كانت صاحبة كبرياء عال تموت عشقا بصمتوتحب عن بعدكانت صاحبة مشاعر دفينة وانثى تكره البوح لكن للاسف لم اعرف كل هذا الا بعد ان لم اعد اقدر على اصلاح شيء مما حصل بيننا انا اهنتها ولم تعد بعد ذلك

- وماذا كان سبب شكك؟

- ظننت سوء نواياها مع انها كانت انقى من ان تفعل السوء

- مسكينة هذه الفتاة اتدري عمق الالم الذي سببته لها لم يكن جديرا بك فعل شيء كهذذا

- ادرك انني على خطأ صدقيني تركت فراغا كبيرا في قلبي

- على خطأ؟ بل على خطيئة ليس انسانيا مطلقا ما فعلته معها لم تترك لها الفرصة حتى للدفاع عن نفسها

- اراك قد تعاطفت معها؟

- اجل لانك لا تعرف الانثى جيدا عليك ان تحذر غضبها فاذا تعلق الامر بقلبها فامنها لا تعرف شفقة ولا رحمة لا تدري ربما تكون تلك الفتاة من المحيطين بك اليوم وتفكر للانتقام لفؤادها مما فعلته بها

- ايمكن ذلك؟ وهل تراها تذكرني؟ اذا كانت قد كرهتني فيستحيل ان تتذكرنب حتى هذه اللحظة

يحتمل لا ادري اذا كانت تلك الفتاة طيبة او لا زالت تحبك فلن تنتقم منك او ربما قد نسيت امرك تماما ولم تعد تعنيها.....ان تقول انها بخسرانك قد خسرت اغلى ما لديها ثم ترفض الحديث اليك مجددا او العودة فمؤكد انها كانت تدوس كل يوم حتى تتمكن من مقاومة الفراق ...اتدري مدى الالم الذي سببته لقلب هذه الفتاة؟

لم يكن يدر انه يتحدث اليها عن نفسها...

صديقيني حتى اللحظة كلما تذكرتها تمنيت لو رايتها او اعتذرت لها

لا اظن اعتذارك سيشفي تعبها الذي جرعته اياها لوقت طويل...ما يدريك علها تكون حتى اللحظة تذرف الدموع لاجلك...منذ متى حصلت هذه القصة؟

قرابة العشر سنوات

حقا؟ لا تهتم اذا لم تكن هذه الفتاة وفية فمؤكد انها قد نسيتك وردمت جراحها في قبر النساين ارايت اننا بتصرفات طائشة منا نقتل الاخرين وجعا ...فاحيانا نقوتل ان الاخرين قد ظلمونا وفهمونا خطأ ولم يسمعونا ولم يعطونا فرصة الحديث واخظئوا بحقنا ....واتعبونا والمونا وايكنوا الوجع في قلبونا لكننا اذا تاملنا صحيفة اعمالنا قبل الحديث عما فعله الناس بنا لعلمنا اننا لو لم نرتكب ما ارتكبناه بحقهم لما كان قد حصل لنا ما حصل....فربما هو الله ياخذ حقهم منا فكما يقال "لا احد بريء في لعبة الحياة"

***

"كم تشبه البحر وكم يشبهك...وكم اغار وقوفك امامه والموج يتسابق لهفة لتقبيل قدميك...كم تمنيت لحظتها لو كنت مكان احدى تلك الموجات لاحظى بتلك القبلة...لقد كنت معي =شبيهعا به تماما ..فكلما اقتربت منك وتطلعت الى دواخلك اجد نفسي انسحب الى اعماقك لا ارادیا....لقد دخلتك بحذر وحاولت عدم ايقاظ جروحك...لكنني وجدت نفسي دون انتباه مني اجوب اعماقك واتوغل بدواخلك دون مقاومة

فغرقت فجاة وبدل احتوائك لي لفظتني ومنعتني من الاقتراب لشطأنط ثانية...لطالما استتغفرت وانا اقف امامك مع ذلك لم يتب قلبي عن خطيئة حبك...وماذا لي ان افعل بشيء امره ليس بيدي...ان الله يحول بين المرء وقلبه .

كانت منى في المصحة تكمل ساعاتا عملها الليلية...جلست رنيم بجانبها ووضعت امامها كوب قهوة وبيدها كوب اخر تحتسي

- هاقد اتيت اليك بالقهوة كي نقدر على استكمال سهرتنا هنا الليلة

- شكرا عزيزتي رنيم

- نظرت اليها بتردد: من

- نعمم ؟

- اريد اخبارك بشيء لكن عليك ان تتمالكي نفسك اولا وتعديننني انك لن تخبري احدا بما سمعته حتى صاحب الامر نفسه

- ماذا تريدين ان تقولي تفضلي

- عديني اولا الا تخبري احدا وان تتمالكي نفسك

- اعدك الا اخبر احدا واتمالك نفسي اخبريني

- الموضوع يتعلق ب"مجتبى"

- مجتبى؟ مابه؟

- اخي اخبرني بشيء لا ازال غير قادرة على تصديقه حتى اللحظة واتمنى الا بيكون صحيحا

- ماهو اخبريني؟

- قال لي لاخيي انه ذهب الاسبوع الماضي مع رفاقه ناحية الغاب على الساحل

- وماذا بعد؟

- قال انه راى مجتبى في سيارته هناك وكان...

- وكان ماذا؟. تكلمي

- كانت الى جانبه فتاة على الارجح انها ليست من الضيعة كانت ترتدي عباءة.

- ماذا؟ فتاة ؟ عباءة؟

- اتمنى الا يكون ذلك صحيحا وان يكون اخي مخطئا فيما راه لعله راى احدا شبيها به عليك التأكد قبل ان تغضبي او تشكي بحبيبك يا منى اتفهميننني؟

- حسنا ساحاول معرفة حقيقة هذا الامر

شعرت منى بصدمة تسري في جسدها تنتاب اعصابها لكنها تجلدت محاولة التحلي بالرصانة كي لا تقبل على فعل ما تندم عليه لاحقا فهي تعلم انه ذاك الذي لا يقبل الغيرة عليه ويعتبرها اهانة في حقعه وهي تلك الباردة التي تخفي ما باعماقها وما يعتري فوادها لاجل الا تخسر عزيز قلبها ورفيق دربها الذي لم تكن قصتها معه بالسهلة او القفصيرة وهي التي ثصبرت معه وتحمالت لاجله ولاجل قلبها الذي ضمه لسنوات.

هي تلك الانثى الضعيفة التي ترى في احتوائه لها امانا لها مما تخافه وفي غموضه معها ملاذا تلجأ اليه وهي التي عاشت معه لعقد على ثقة بالغة تتجنب اشارة شكوكه ولا تتوقع منه خيانة للعهد....

***

ذهب اليها صباحا في مستشفى باسل الاسد للامراض القلبية بالقرداحة حتى يلتقيها ...دخل المشفى فوجده يعج بالمرضى والاطباء بميدعاتهم البيضاء اين لايمكن له ان يشتم عدا رائحة الادوية والعقاقير ولا غير غير الناس التي تصارع امراضها وتطلب من الله الشفاء واقربائهمن جالسون بانتظار مواعيد الزيارة على الكراسي وفي قاعات اللانتظار...دخل هناك وهو لايكاد يعرف احدا حتى رأى رنيم مارة تنادي احد اسماء المرضى فناداها

- عفوا رنيم

- مجتبى؟ هلا خيي كيفك؟

- الحمدلله كيفك انتي؟

- تمام

- وينها منى؟

- هي جوا في المصحة بتحب ناديلك ياها؟

- أي لو سمحتي

- ع راسي تكة بس

ذهبت تناديها بينما هو واقف المام باب المشفى بانتظارها بجفاء ...التفت اليها فراها تسير نحوه بخطى متثاقلة واضعة يديها في اكمام ميدعتها تترنح وكانها تتحاشى الاقتراب اليه اكثر وهي ترمقه ببرود لم

يتعوده ... استغرب ما راه وهو الذي بعادته ان يراها تقفز فرحا بلقياه اثر رؤيتها له مباشرة...ابتسم لها...اقتربت فضمها اليه قالت:

- اهلا

- اهلا عزيزتي كيف انت؟

تحمّلت ضمته ببرود وهي تكاد تبعده لكنها لم ترد ان تظهر له سشيئا مما في مكنونها واكتفت بابتسامة مصطنعة قائلة:

- بخير حبيبي اين كنت كل هذه الفترة؟

- تعلمين مشاغل عمل متواصلة....لقد اتيت الى القرداحة فقط منذ يومين ولم اصبر على رؤيتك كيف عملك حياتي؟

- الحمدلله بخير ... الحمدلله ع سلامتك

- الله يسلمك حياتي متى تكملين عملك حبيبتي ؟

- لا اعلم ربما ساسهر هنا الليلة ولا اعود الى البيت الا غدا صابحا منذ ابداية الاسبوع وانا اعمل بهذا النسق

- حقا؟ لقد اتي هنا طلبا للقائك علي ان اراك

- امسشتاق الي؟

- طبعا هل تعودتي ان تجديننني على غير ذلك بعد غياب طويل

- معليش اصبر قليلا وسوف نلتقي علي الذهاب الان عن اذنك...

ذهبت وتركته ذاهلا امام تصرف لم يعتده منها وهي تدري جيدا انه قد اخذ الاجازة منذ وفقت طويل ولم يلتق بها ولم يسال عنها او يخبرها انه اتى "القرداحة"

***

قرر ان يلتقي بأمالني في الغد صباحا فبعث لها برسالة في ساعة متاخرة من الليل وقال لها "هل اراك صباحا في النزل الذي تقيمين فيه؟ اجابته بعد نصف ساعة "النا في الضاحية" صدم واتصل بها غاضبا قالت : - الو

- الو ؟ لماذا لم تقولي لي انك عائدة عندما رايتك المرة الاخيرة؟

- هذا ليس من شانك

- تعلمين انني لا احب الغدر ولا تروقني حركات كهذه

- معليش بتنسى منع الوقت

- وما الذي جعلك تعوجدين واجازتك لم تنته بعد؟

- مللت وجودي هناك ... انا لا احب الوحدة واخاف النوم لوحدي

- لماذا لم تقولي لكنت اتيت وانمتك على كتفي كي يذهب خوفك

- بلا غلاظة

- الن تعودي؟

- نحن الان في شهر ايار لا يمكن لي العودة قبل شهر اب

- وهل تظنين انه بامكاني الانتظار كل عهذا الوقت؟

- اذا كنت ترغب في رؤيتي فانك فستفعل

- حسنا ساثبت لك

- كلن تلاثة شهور مش طوال

- رح استنى

- باي عيني

- الله يحميكي

"الخوف من الحب هو الحب نفسه"

المنفلوطي

كم كنت اعشق حروف اسمك الخمسة وكم اسعد بتهجئتها في كل مرة...

لا ازال اذكر يوم قلت لك :"اسمي من خمس حروف واسمك من خمس حروف وجمع الخمستين عشرة وفارق العمر بيننا عشر سنوات"

وسخرت مني يومها بقولك " اكتشاف عظيم قديش ضليتي عم تفكري فيا دخلك؟" اجبتك ببراءة " فكرتا رح تعجبك" ... كنا كما اسمينا بالضبط ... فقد بقي حبك اماني عندي وبقيت انت مجتبى قلبي...الذي يابى ان ينتجب غيرك...كنت تضع اسمها على زندك بينما كنت اعلق طوقا على جيدي باول حرف من اسمك ..."m"لطالما عشقت ذلك الحرف وقدسته ولطالما اعتقدت بانه اول حرف من اسماء جميع العظماء في الدنيا يكفي انه اول حرف من اسم نبينا (ص)...كم احب ذلك الوشام على زندك ذاك الذي وحدك تعرف معناه ... كم كنت اعشق تفاصيلك...متاكدة انا انني بعد رحيلي لم اعد اعنيك لكنني ما نسيتك وما تخليت عنك ولا عن ادعيتي الك...اذكر انني بقيت اتبع ما يتغير بتفاصيلك واحسبه ... افرح اذا اعجبني واحزن اذا لم يفعل...

صدقني لم اردك يوما كما كنت تظن...ما حلمت يوما ان تكون لي...كنت اؤمن انك لست لي كما انك لست لاحد وانك ملك نفسك فقط....لكن سشعوري بانك ابن قلب يوجنين احشائي ونصف روحي الغائب عني لم يشأ مفارقتي حتى ظننت انم هاجسا سطكنني او ان مرضا راودني لن يكون لي شفاء منه اسمه انت صدقني يوم كنت معك ما فكرت يوما سوى ان اكون امرأة في عينيك...

كطيلة تلك الفترة لم اراك الا كصغيري كروح خلقت من اعماقي ككم شعرت طيلة بقائي معك لم ارك الا كصغيري كروح خلقت من اعماقي كم شعرت طوال بقائي معك انك تشبهني واذا بي استفيق على انني كنت واهمة...

لقد كنت كلما سمعت عن علاقتك بها دعوت لكما كما تدعو ام لابنها واذا بي اغار عليك منها واحسدها عليك...كنت احبك عندما كنت معك لا انكر ذلك مطلقا لكن ليس كما ظننت ...لقد كنت وقتها كما ابي اخي ابني ...كنت ساميا في نظري اسهر ليلي اسأل اللهخ فرحك وسعادتك واجتماعك بمن تحب وبعد ان رحلت عني ظننت ان برحيلك ستموت في قلبي لكنني اصبحت احبك حب ارمراة لرجل وبدل ان اكرهك او امقتك وانساك وجدت نفسي احبك حب امراة لرجلها...

اصبحت اخاف نفسي وقتها اصبحت اجد نفسي ادعو ان يزوجني خالقي بك في الجنة او ان يجعلني احدى حورياتك...انت من افسدت قلبي وقتلت براءتي بعد ان ظننت انني لست على براءة معك...ومنذ تلك

اللحظة امتنعت عن الحديث اليك او لاحد ممن يعرفونك وحاولت جعلك تنسى انك عرفتني بينما مرت احدى عشر سنة عن بدايتك وانقضت عشر سنوات عن نهايتك ومانسيتك...لم اكن من اقحمت نفسي في حياتك...بل كنت من دخل وقتي وما كنت من رميت على قلبك طلاسم عشقية...بل كنت من فعل ربما ليس الذنب بذنبك...ولم تكن تعلم ان ذلك سيقع عندما اتيت لكن ذلك ما حصل دون رغبة مني..واؤكد انني لست من فعلت بنفسي ما حصل لي...كنت في خيبة وفي هدنة مع عواطفي ومع ما يسمى ب"الحب" فاخترقت وقتي كي تقلب حساباتي وتخرق هدنتي وتكسر قسمي بعد سبعة اشهر وقتذاك من اعلاني تحريم الحب على ان يدخل قلبي اتيت كي تزعزع كل شيء بكلمة وكأنك على موعد لسحقي ايقظتني من خيبتي وداويتني من وجعي ...وضمدت جراحي وقتلت حزني وماهي الا بسبعة اشهر اخرى قضيتها معك مخترقة هدنتي ...نسيت خلالها حتى ان استغفر ذنبي فاذا بي ادفع ثمن كسري لقسمي على يد نفسه الذي كان سببا في فعلي ذلك كنت من الحق بي اكبر خيبات حياتي يا مجتبى...لا احد قدر بعدك على مداواتي منها...لذا قررت يومها ان اقتل كل من يحاول اقتحام حياتي بطريقتي...قررت جعل كل من يقترب مني يقهر ندما على محاولته...

**

يوم قررت قتل ثقتي بك وتملكتك الشكوك والظنون السيئة بي ..قلت لك" انت متميز بالشك المبالغ فيه" قلت باستنكار "اترين هذا شك؟" سالتك بتعجب "وماذا تراه يكون اذا لم يكن كذلك؟" قلت "هذا حرص" ..لا زلت اذكر كلماتك تلك باحرفها...ما زلت اذكر نبرة صوتك وانت تنطقها ...في ليلة الاحد تلك الليلة التي كدت اخسرك فيها وانقذت الموقف ...كنت اتحدث اليكك كشخص اكتشفه لتوي ...ماعرفته لسبعة اشهر وما احببته...انما كنت شخصا اخر لا اعرفه...شخص اخر غريب ومختلف لا يثق بي ويثير خوفي...شعرت يومها شعرت يومها انك كنت تخفي شيئا خلف كلماتك اردت قوله وما قلته ...كانت الليلة التي غيرتك في نظري...كانت الليلة التي قبلت صورتكم في عيناي حتى ما عدت اعرفك...ومادامت علاقتي بك بعدها غير اربعة ايام لتنتهي صباح الخميس من نفس الاسبوع وما علمت خلال خمسة ايام ماذا تراه اصابك حتى تغيرت كما فعلت...ماذا تراه دهاك حتى تغيرت في نظرك كما حصل...وكما لم اكن لاتوقع ان يحدث يوما كان كل ما قاسيته سببا لظنونك وشكوك التي صنعتها في مخيلتك وسحبت منها قصصا لا ادري ماهيتها بالضبط لكنني ادري فقط انها اوهام لا تمت للواقع بصلة ولم اكن كما رسمتني في مخيلتك طيلة تلك الايام الخمس اطلاقا.

ظلمتني يامجتبى وما ظننت يوما انك قادر على فعل ما فعلت وهل تراك قسيت الظلم جورا حتى تستطعم مدى مرارته في قلب من تعرض له؟

خلفت في قلبي قهرا ونقمة وجعا واسى سقيت عيناي دموعا ابت الاكتفاف وما اردت ان ترحمني كنت اخاف الله بما افعله في نفسي حين اذكر قوله جل وعلا:"ان لانفسكم عليكم حق" سلبت حق نفسي في راحتها وسعادتها بسببك وما كنا لما فعلته بي من سبب كيف لي ان اصدق ان اوهاما لا صحة لها حرمتني من كنت احرم على جفناي ان تغفو لاسهر دعاء وتضرعا كي لا افقده ولا احرم اياه ولا اخسره استغرب نفسي كيف لا ازال على حب من الحق بي ككل هذا الاذى دون سبب يذكر غير اوهامه الواهية التي يصدقها ويؤذي بسبب تصديقه لها فتاة ما بكت على خسارة احد قبله في حياتها...لا اظن انك فعلت ذلك مع من قبلي او بعدي يا مجتبى...انا على يقين انني الوحيدة التي عاشت ذلك منك وقاسيته بسببك...كم كنت اخجل وانا ابكيك في حضرة امي ولطالما قلت لنفسي "لم تضعني امي في بطنها وتحملني بين احشائها تسعة اشهر خلقا من بعد خلق حتى اكون سيجارة بيد غبي غادر حياتي هاربا كأرنب"

كم قسوت على نفسي بعد رحيلي كي لا اكرر عيش ما الحقته بي ..اقتحامك حياتي جعلني امقت دخول الجميع اليها...جعلني اتوعد كل من حاول اقترابي بقيت لفترة طويلة لا اذكر مداها اقول لنفسي"صحيح ان الوحدة مرعبة لكنها افضل من الكذب والنفاق والوعود الوهمية التي يشبعوننا بها في علاقتهم المقرفة معنا"...اذا كان ما حصل بيننا سوء تفاهم يا "مجتبى" فانا لست على استعداد لتحمل مسؤولية سوء فهم اناس لا يستحقون منا ان نثبت لهم اننا على عكس ما يظنون دون اقتناعهم فنكون بذلك قد اضعنا ثمين وقتنا دون ان نكون قد حققنا شيئا غير المعاناة بسبب خيالاتهم واوهامهم وشكوكهم المريضة التي تستبد بعقولهم لتجعلهم اشبه بمريضين ...اناس لا يستحقون اكثر من ان يكونوا سطرا في كتاب حياتنا...نضع بعده نقطة نهاية فنوقف انحداراته الكارثية على حياتنا ونعود الى سطر جديد لنبتدأ بعيدا عما انتهينا اليه...كم استفزني مافعلته بي وما اثار غيضي اكثر سبب مافعلته...كم كنت اتقزز من ان اراك شخصا يشك بكل من حوله ويظن بهم الظنون معتبرا انه مهدد ومستهدف وان عليه الحرص والاحتياط منهم...كان ذلك في نظري اشبه بمرض نفسي كنت تعانيه لا ادري ما اذا كانت مهنتك كعسكري سببا فيه ام انك لا تعرفني جيدا كما ادعيت هو السبب ...كم صدمت يومها بشعورك نحوي...بعد ان ظننت ان سنة كاملة من معرفتي لك وملازمتي اياك قد جعلتك من الاقربين لي ....اكتشف فجأة ان ما ظننته ليس باكثر من وهم كنت اعيشه...كنت على يقيني الواهم يومها بانك تعرفني معرفة لن تجعلك تشك بي او تصدق كلام احدهم عني...واذا بي اكتشف بانك تراني كفتاة لا تعرفها جيدا ...صورتها ضبابية في نظرك عليك ان تحتاط وتحترص منها علها تكيد لك ما لا تريد ادري انه كان من حقكط ان تعرفني وتفهمني جيدا وانه من حقك ان اكون واضحة معك كي تتضح الامور في مخيلتك...لكن لا تنسى انك لم تمنحني الفرصة لفعل ذلك كي تشفى من شكوكك نحوي...بل على العكس وبدل اعطائك فرصة اثباتي انني عكس ما ظننت ... رايت ان الحل لحماية نفسك هو نبدذي وطردي من حياتك ... وضعتني في خانة السيئين وستعرف يوما انني كنت افضل منك ... فما وعدت واخلفت وما نسيت او اضعت عهدا...اتراك تذكر وعدا قطعته

واخلفته؟كم انتقص ذلك من رجولتك في نظري وما تمنيت يوما ان اراك كما راتيك لحظتها...وانا التي وضعتك بنظري سيد الرجال وافضلهم في الكون...كنت اراك شبيها بأسياد العرب ووجاهئهم...اولئك الرجل الاساطير النبلاء اللذين يذكرهم التاريخ دوما...كنت كبيرا في عيناي وانحدرت انحدارا شاهقا ووكنت في عيناك على درجة من العلو وقعت منها بلحظة وماعدت وما ظننت انني ساعود يوما...

يحطموننا اولئك اللذين كبروا اكثر من اللازم في قلوبنا واعيننا واخذوا اكثر من حجمهم في حياتنا واكثر مما يستحقون من وقتنا وكبروا حتى اخر نقطة في حياتنا...ثم انحدروا انحدارا شاهقا بوقعة واحدة ...من سيلملم حطام سقوطهم ذاك من قلوبنا؟ بعد ان تركت وقعتهم تلك ركاما من ذكريات وخيبات والام صلبت عروق قلوبنا وخثرت دمائها...قطعت انفاسنا وعمقت فوهة اوجاعنا وحطمتنا...

في ليلة الاربعاء تلك التاسع عشر من اب الساعة الحادية عشر بتوقيت الشام ليلة اخلفت وعدك باللقاء واتيتني كي تطلب الرحيل نهائيا فقلت لك "حبيت نضل اصدقاء" قلت "حبي لحالك وع راحتك" لم اكن ارى لم تقوله سببا فسالتك مرارا "ماالسيبب؟" قلت" مافي سبب...ماعاد بدي هالصداقة وبس" وكررت نفس الجملة اربع مرات ...ماكان ذلك الذي حطمني في كلامك في الحقيقة...انما قلت لي جملة لو انك تدري انها كانت السبب في كتابتي لروايتي هذه "لا عنوان" لاجلك وبسببك...حين ادركت انك تخاف على حياتك العاطفية مني قلت لك "اوعك تفكر اني بحبك او بدي اسلبك" فاجبتني"لا والله ماني مفكر هيك ومابدي هالكذب كلو" صرت كاذبة في نظرك بعد عام من صداقة او حب لا ادري بالضبط...تلك الجملة التي قلت هي من جعلتني اؤرخ بها في تاريخ العشاق ما اتهمتني بانه كذب امارسه ...لقد تلاعبت بمشاعرري كما اردت واستطعت...وانا على يقين انك قد شعرت بحبي لك واردت ان تخضعني وتستضعفني ولم تكن تعلم انني لست من اخضع لشخص فقط لانني احببته...لست كذلمك ولا يمكن لي ان اكون...

كانت اخر ليلة اتحدث فيها اليك لياتي صباح الخميس واذهب اليك معلنة لك بقبولي طلبك وانني مغادرة فاكتفيت بقول"الله معك" بعد ان قلت لك "مع السلامة الى لابد" اتدري كم اعتصر قلبي حرقة يومها؟اتراك فكرت بان تلك الانثى ستسهر ليلها باكية؟ ام انه لم يكن يهمك؟ لا ادري كم بقيت في ذاكرتك بعد ذلك وليتني اعرف...اتعلم يامجتبى بانني كما منى ولدت بيوم خميس؟ وكنفس اليوم الذي عرفتك فيه خسرتك ...في يوم خميس...وموقنة انا بانني اليوم كما عدت والتقيتك بيوم خميس سيكون اخر لقاءاتي معك في يوم خميس لا محالة ....لا ادري ما قصة هذا اليوم في حياتي...انه سيوم الب

دايات والنهاياتت...

بقيت في ما تبقى من ايام شهر اب ذاك انعى لا حبا عاشه قلبي انما قلبي بعينه الذي قتلته بيدك ودفنته برحيلك...

ربيما تكون قد فعلت ذلك لتطلب مني بطريقة غير مباشرة ان اقطع مع حبك...ولم تعلم ان بعدك لايمكن لي ان امارس حبا انما عهرا عاطفيا...لطالما امنت ان مصيبة العاشق هي ان يصبح محبوبه عاديا في نظره...فعندها فقط ينتهي الحب لكنك لم تسبح كذلك يوما لذلك ربما لم ينتهي حبك...فالغريب في قصتنا انها لم تشأ ان تبدا ولم ترد ان تنتهي...

لم اكن قادرة على تقبل فكرة خسارتك مهما حاولت ان افعل....كنت اصطبر واواسي نفسي بالكلمات المعتادة التي نحفرها في عقولنا كي نصبر على ما اصابنا ... كنت اقول "هذا ما شاءه الله لي عل في ذلك خير لي ...علك اذا بقيت كان ليحدث اسوأ مما حدث" وغيرها من الجمل المغرضة التي كنت احاول من خلالها التناسي وما نسيت وما وجدت راحتي الا في الدعاء لك...الا انسى الليالي التي كنت انام فيها باكية لاصحو مفزوعة من رؤيتك في مناماتي...بقيت على ذلك الحال حتى تحدثت الى ابن عمك (عمار) ليلة الاربعاء...كنفس الليلة التي طلبت فيها رحيلي...كان ذاك يوم الثاني والعشرين من ايلول...بعد قرابة شهر على انتهاء القصة...

كنت ادري جيدا ان فعلتي تلك لن تروقك...كم كان ابن عمك متفهما وهادئا فهمني دون تعب ...دون تلميح او كثرة كلام...ومنذ تلك الليلة اصبحت اعشق اهلك واكثر دعائي لهم...لا اذكر كثيرا مما قلته له يوما...بعد ان التجات اليه يومها على حسابي على "فيسبوك" وبادرته بالقول"مرحبا فأجابني "هلا مراحب" ثم تحدثنا حتى قال لي "عشقانة؟" فاجبته " أي عشقانة حالي"...في ناس لما منعلي مقامن منغلط بحق حالنا.

- احسن شي ننسى

- والله هاد الحل الانسب...ناس بتروح وناس بتجي والدنية مابتوقف على حخدا..

- تتهني يارب

- انا بحياتي ما بتهنى ولا يهمك الدنية دايما مابتعطينا لي منحب...بعتزور ايزا عم سهرك معي تصبح عخير

- وانتي بالف خير تشرفت بمعرفتك

- تسلم فداك وفدا القرداحة كلا

- تفداكي الدنية ياغالية

- الله يحميك ويحمي عغواليك

- ويحميكي يارب

...كانت ليلة عيد تمنيت لو سهرت فيها معك لا مع ابن عمك ...وقتها قلت له"انشالله عيدكن مبارك" وقال "علينا وعليكي"

كم كان لطيفا ولبقا ...كنت ادري جيدا ان جميع افراد عائلتك هكذا وليس غريبا عنكم...كان ابن عمك وقتها لا يدري انني اتحدث اليه عنك...لكنني عرفت انك علمت بحديثي معه ولا ادري كيف تراك فعلت...فبعثت لي برسالة نصية كتبت لي فيها"حلوة حركتك لي عملتيها" في يوم الثامن والعشرين من ايلول ولم ارى رسالتك تلك الا في الغد صباحا الساعة العاشرة...يوم انتهى كل شيء نهائيا وظننت انه قد انتهى الى الابد...قمت وقتها بحظرك واغلاق حسابي وتغيرر رقمي ثم غادرت الشام...وعدت واهلي للعيش في الضاحية ولم نعد للشام وبيتنا حتى لحظتي هذه حتى لحظة رؤيتك على التلفزيون في ذلك المقطع الذي نقلته زميلتي "فاطمة" من الجبهة...يومها اتيت لي وامتنعت عن اجابتك لم اكن اعلم ماذا كنت تريد ان تقول لي بالضبط لكنني كنت اعرف انني لا اريد سماعك وتكفى...

عدجت الى الضاحية ليبدا مسلسل عذاباتي وليصبح شهر ايلول شهر تابيني لذكراك وذكرى دفني لاسمك...عدت الى الضاحية كي ابعث لك قلبي وعقلي واسلمهاما اياك نهائيا كي بلا يقبقيا لي لانهما لو فعلا لماتا شوقا وعذابا ولهفة ....رميت بهما اليك في بريد العشاق وبقيت لا ادري اوصلك ام لا ...اعلم انك لا تدري انهما كانا طوال الوقت بين يديك ولم ترهما...ادري جيدا انك كرهتني لانني جبنت وهربت واحتقرتني لانني كذبت على ابنم عمك وادعيت انني ابنة الصالحية وانني من الشام وانت تكره الكذب....لكنني لم يكن بيدي حل اخر وانت تعلم لم فعلت ذلك وقتها...ربما تتساءل لماذا لم اجبك وقتها ولو اجبتك لكرهتك وانا لا اريد ان اكرهك...لقد خفتك ...خفتك...وخفت ردة فعلك بكل ما تحمله الكلمة من معنى وليتك رايت الرعشة التي اصابتني عند اتصالك بي.. اعلم جيدا انك احتقرتني لحظتها ونسيت كل لحظة جميلة كانت قد مرت بيننا ...لكن الذي لم تعرفه انني بكيت وخشيت ان اكون على خطأ فيما فعلته...فاستغفرت طويلا وظللت على ذلك حتى رايت نفسي في منامي اغتسل من ذنوبي فارتاح قلبي وخف وجعي الذي كاد يودي بحياتي...لكن دموعي ما جفت حتى لحظة لقائي بك منذ اشهر...لقد كنت اتمنى لو اجبتك يومها لان كلاما بحوزتي اردت قوله لك...لكنني كنت اعلم انه لن يقنعك ولن يجعلك تغفر لي ما فعلت لذا امتنعت عن اجابتك...التي كانت ستكون دون فائدة...لقد كان ابن عممك جوكر اللعبة واخر ورقة على طاولتي ومربع في رقعتي...ما استخدمتها انما استعنت بها فقط لاسترداد كرامتي ولم استطع ان اشكره...ليتني اعود على ما كنت عليه قبل شهر اب ذلك يا "مجتبى"فانت لا تدرك كم كرهت ذلك الشهر بسبب ما حصل لي فيه...صدقني ما قلت ذلك الكلام لابن عمك الا وكنت اردي قوله لك وعجزت...لقد كنت اتوق للحديث معك على انفراد لساعات ولم يتحقق لي ذلك يوم كنت اريده...اردت ان اقول لك الكثير وادري انني لن اقوله فكم من شيء اردنا قوله لمن نحب ولم نقله...وذلك الشيء نفسه ما يجعلنا كتابا

وروائيين...اولا يقولون ان الاستسلام احيانا هو النصر بعينه؟ انسحبت يومها ضعفا ووهنا امامك لشدة خوفي اياك...ولكن انسحابي يلم يكن خسارة في نظري...لا زلت الى اليوم متاكدة انني خسرتك وربحت كرامتي يوم قلت لكل"اخسرك انت احسن ما اخسر كرامتي" وطبعا لم تفهم قصدي من قولي ذاك فصرخت بوجهي"شو؟ مين رح يخسرك كرامتك؟" لم اصدق في تلك الايام التي عشتها تصرفك معي بتلك الطريقة...يومها انسحبت من معركة اتيت اليوم لاعلانها عليك لا لاخسرها واذا بك تشن الحرب على قلبي ثانية لخرجني خاسرة مرة ثانية بعد عقد والاشد الما في قصتي انني فزت فوزا ساحقا في اكبر خساراتي.

"ان الاستسلام احيانا هو النصر بعينه" ريما كركي

....هي تدري انه اضحى يراها جبانة ضعيفة القلب لانها هربت وهي تعرف انها كانت في لحظة جبن حين فعلت ذلك لكنه كان يجهل ان قلبا صبر على حمله كل هذا الوقت لا يمكن له ان يكون ضعيفا...وان ذلك كان اجتنابا منها للدخول في جدال معه وهي تعلم ان كل جدال يمارسه يكسبه لا محالة وانها ستخرج خاسرة اذا ما فعلت فابت الا ان تجعله يخسر...فأسقطت جميع الاحجار امامه وانهت اللعبة دون ان يخرج احدهما منتصرا على الاخر...

"ادري جيدا انك يومها سألت نفسك لماذا لم انطق لك بكلمة حب رغم يقينك بوجوده في قلبي...لكنني لم اخبرك ولم تفاتحني بالموضوع ...لا ادري اعن خجل منك ام عن لا مبالاة...لكنني اعلم جيدا انك تعلم وانك طلبت مغادرتي غير عابئ ولا سائل عن قلب تعلم انه احبك...سألتني يومها:

انتي معجبة فيني؟اذككر وقتها انني لم اعد اميز لون وجهي اثر تلك الجملة...لازلت اتساءل لماذا لم اقلها لك؟ وهل يغير بك شيء سماعها مني ياترى؟ ربما لا تصدقني اذا قلت لك ان السنة التي امضيتها معك ما دريت خلالها انني كنت اعيش على حبك كل تلك الفترة ولم اكتشف ذلك حاقا الا بعد ان خسرتك وذقت كل ذلك العذاب...الا بعد ان بكيت لاول مرة ولاخرها خروج اخحدهم من حياتي وكنت انت...الا بعد ان انكسر قلبي عرفت ان عاصفة عاطفية هوجاء مرت به حتى تركته مقفرا اجرد بعد ما انهزم وبعد ان كنت مخدره ومسكن اوجاعه...كنت تباغته بلحظات جنونية من السعادة التي لا يقوى على تحملها وانت تقف امامه...لكنك ومع الاسف كنت تبيع له سعادة واهية سرؤعانما انقطعت وتقطعت عروقه وجعا لانقطاعها...كنت تبلغ بي القمة في كل شيء ...ففي السعادة كنت تطير قلبي عاليا حتى لا اعود اشعر بنفسي وانسى دنياي وكلما حولي وفي الحزن حتى اشعر وكأممي تبنيت اسى الدنيا حتى اعيشه لوحدي ...لم اعرف انني اكن لك كل هذا الا بعد ان رحلت...

فعادة نحن لا نكتشف حقيقة مشاعرنا تجاه احد الا بعد افتقاده وتجربة جميع الوان العذاب بعده كنت كلما نظرت في عينيك انقطعت انفاسي وارتعشت اطرافي وتشتت افكاري وتوقف تفكيري وتلعثم لساني وتعثرت كلماتي لذا لم استطع تحديد شعوري او تسميته حب...اعلم انك سيد الحب وانك جريء في ممارسته ولم اكن كذلك ...ربما ظننت ان عدم اعترافي لك كان دليلا على زيف مشاعري ...لكنني كنت ارى ان اصدق المشاعر تلك التي لا تقال ...والتي لم اجد سبيلا لترجمتها بغير رسمها حروفا على ورق...لم اكتب يوما الا محاولة مني للتعبير عما بداخلك...وكي اؤكد لك انني خير من يفهمك ويجيد قراءتك لكنك كنت اغبى من ان تتفهم ما لا يقال...

قلت لي يومها "انا معاشر بنات عقد شعر راسك" ومما تعلمته منهن ان رجال العالم اجمع لو اجتمعوا واجمعوا ذكاءهم لن يكونوا اذكى من انثى واحدة منكن معشر النساء..ربما هو ليس ذكاء هو دهاء فطري

خلقه الله فيكن وعلينا معشر الرجال ان نحذر كيدكن لانكن قادرات على فعل ما لا يمكن ان تتوقعه عقولنا...نسيت يومها ان اجيبك لانني كنت احاول التشبع من النظر اليك واتفادى مقاطعتك محاولة الارتواء من صوتك ...نسيت ان اقول لك يومها انكم الرجال تخيفون انفسكم من المرأة متغافلين عما فيها مما لا تملكونه ...انتم تقولون "ان كيدكن عظيم" ليتكم تعلمون ان حبهن اعظم" فصحيح ان كيد النساء عظيم ولكن اذا احببن ايضا يحببن بعظمة واذا كنت تخاف كيدهن فالافضل لك ان تخاف حبهن اكثر لانه خطر...ان لا احد غير المراة في الدنيا اذا احب فقد عقله لا احد غيرها اذا فارق يبقى على وفائه حتى اخر نفس فيه...

فاذا ظننت يا سيدي الرجل ان بتآمرك مع الزمن على امراة ستحطمها فانت تتحدى نفسك لا المرأة...فمن صبرت على حمل جنين في احشائها تسعة اشهر ثم ولدته بدمائها ثم ارضعته حولين كاملين ومن ذلك سعت الى تربيته لسنوات حتى يصبح رجلا وكانت قد اعطت لزوجها واخيها وابيها اضعاف ذلك لا يمكنك مجاراتها في صبرها الذي تسقط عند عتبته مؤامرات الرجال والزمن...صبرت حتى اخذ حقي قلمي بقد عقد لانني ايقنت يوم خسرتك ان خسارتنا يمكن ان تكون السبب في تحقيقنا لحلم اخر يوصلنا لمراتب اعلى مما تمنيناه....كان حلمي يومها ان اكون امراة في عينيك وكم كنت غبية حين فعلت..لكنني اصبحت بفضلك احدى نساء الادب العربي...

هي تدري انه اصبحت اغبى ما يمكن لها ان تكون عندما احبته منذ عشر سنوات ... في سنة من حب عاشت فيها غباءها وسذاجتها...خطأها كان انها نسيت ان تفكر...اغبى ما نكون نحن حين نتصرف بنوايا حسنة مع اناس لا تتوب عقولهم عن الشك...كان سدي الشك بامتياز بينما استسلمت هي لاحلامها ورومانسيتها مع ذاك الذي لا يتوقف عقله عن التفكير ...عن العقلنة ...والبحث عن منطق الاشياء ...وواقع ما حوله...

هو الذي اذا فقد سيطرته على كل ما يحيط به ولم يقدر على الامساك بزمام الامور...شعر انه مهدد عليه انقاذ نفسه....وهي قد افقدته سيطرته باحلامها...بدراماها الذي كان يسميها "لف ودوران" هو الذي اخذ من عمرها سنة كاملة ليرمي بها مع بداية خريف رمادي خاردج تفكيره الذي اتعبته...في سنة بين صيفين قلب حياتها...هي من افقدته تسلطه الذكوري الغاشم على انثى...وهو الذي لم يتعود ان تسلبه انثى سلطته...لم يرضى ان تفعل به ذلك مراهقة تصغره بعشر سنوات...عسكري هو لا يعرف غير الحرب اسلوبا...معه لا يمكن لها ان تحلم بمصالحة عاطفية او هدنة مع الحب لانه لا يجيد غير الا السلاح لغة...عسكري هو لايمكن له استيعاب ان مراهقة صغيرة قد تغلبت عليه في معركة هو اعلنها دمرت فيه جميع اسلحته بلحظة هرب ما توقعها...

هو من سلبها عقلها وبعينيه خط قدرها ولسنة اغدق عليها من الفرح ما لا تسعه احلامها ...لكنه سلب عمرها سنة من الكبرياء باعت له فيها كل جوارحها...فكانت هديته لها ان خدش كل تلك الجوارح بمخالب قسوته جاعلا قلبها مطفأة للخيبة اتلف فيه عقائب غدره.

***

طرقت مكتب رئيس التحرير...قال:

- تفضل

فتحت الباب قائلة: مرحبا سيدي

- اهلا اماني ادخلي

- دخلت واغلقت الباب

- اجلسي اماني

- سيدي هل لي باجازة في اخر شهر من الصيف ؟

- وماسبب هذه الاجازة؟

- علي ان اهتم بوالدتي

- وهل هي بخير؟

- تعاني بعض التعب والضعف

- حسنا بامكانك العمل في الحصة الصباحية فقط

- لكن سدي ارجوك انا في حاجة لاجازة

- اماني الم تلاحظي ان اجازاتك وتغيبك عن عملك قد كثر هذه السنة ؟ ولم اسألك حتى ما السبب ...ماذا دهاك؟ لقد كنت صحفية مجتهدة ومتميزة

- انا اسفة سيدي ...لكنني رغم تغيبي فانني عندما اكون هنا اقوم بعملي على اكمل وجه

- اعلم لكن لم كل هذه التغيبات والاجازات التي تاخذينها؟

- وضعي ليس جيدا هذه الفترة

- هل بك شيء اتراك مريضة؟ قولي لنا نحن هنا زملاءك ومستعدون لمساعدتك

- لا ابدا انا بخير اسفة على طلبي اظن انه ليس بمحله...عذرا سيدي عن اذنك

- اماني انتظري حسنا ستاخذين اجازة لكن لن تكون مطولة اتفهمين ؟

- حقا...شكرا جزيلا سيدي...حسنا موافقة

ذهبت الى الشام في بداية الاجازة وبعثت له برسالة على هاتفه كتبت له فيها "انا في الشام اذا اردت رؤيتي انا جاهزة" اتصل بها وتسامرا يتحدثان طويلا ...ثم جاء الى الشام في صباح يوم الغد واخذها معه الى القرداحة بعد ان قررت النزول باحد فنادق اللاذقية التي كانت قد اقامت به في نيسان وذلك لاجل ان تقدر على التقائه بلا مشقة ...اوصلها الى الفندق ووعدها ان ياتي في الغد ليخرجا سويا...

كان صباح جمعة والكل في عطلة نهاية الاسبوع قد خرج للمقاهي والملاهي والشطآن والشوارع لقضاء ساعاتهم على البحر في صباح حار من صباحات اب...وكان بدوره قد اخذها باكرا الى احدى مقاهي اللاذقية المطلة على الكورنيش ...كانت جالسة قبالته دقائق عدة تستنشق عطره وتشبع نظراتها بملامحه وتسلي سمعها بصوته..كانا يتحدثان في مواضيع متعددة الى ان قطع حديثهم مجموعة اطفال كانوا يركضون بين الطاولات لاعبين وضحكاتهم تتعالى...نظرت اليهم اماني بابتسامة حزينة والتفتت الهي قائلة -ليتنا نعود اطفالا ونعيد ممارسة الحياة من جديد بكل ما تعلمناه منها...

عزيزتي لو كنا ولدنا متعلمين لما كنا قد عشنا حاة ...انما الحياة مدرسة جئنا اليها كي نتعلم ونخوض تجاربنا بمفردنا لا ان نولد متعلمين

-لو كنا نولد متعلمين لكنا تفادينا اخطاء كثيرة كنا قد ارتكبناها ولما كنا خسرنا الكثيرين اللذين ادميت قلوبنا لفقدانهم وفضلنا الموت على العيش بدونهم...لما كنا قد فعلنا اشياء احترقت صدورنا ندما على فعلنا اياها ولن يتغير شيء في حياتنا بعد ندمنا ذاك

-انما خلقنا الله اناسا بشرا خطائين وفتح لنا لنا باب الاستغفار والتوبة واكرمنا بالتعويض...انه لا ياخذ منا شيئا الا ليعوضنا دونه بشيء يمكن ان يكون الافضل وينسينا اياه وذكراه

-ليس ذلك دائما....احيانا تتوالى وتتالى خساراتنا دون ان نقدر على التعويض بشيء.

لاحظت اماني اثناء حديثها الى مجتبى ان امراة جالسة بمفردها في الزاوية المقابلة في احدى الطاولات بمفردها وقد غطت عينيها بنظارات شمسية وصبغت فمها بالحمرة وهي تحتسي عصير البرتقال ولا تكف عن النظر اليها وكناها تريد منهما شيئا ومن اماني خاصة لم يرها مجتبى وكان مسندا ظهره نحوها بينما كانت اماني تستغرب نظراتها تلك قال مجتبى:

-عفوا اماني سادخل الى الحمام انتظريني لحظة من فضلك.

-تفضل خود راحتك .....ما ان غادر مجتبى مقعده ودخل قاصدا الحمام حتى همت تلك المراة بالنهوض من مقعدها والذهاب الى اماني وهي مهتمة احتساء قهوتها واذا بها ترى تلك المراة تقف امامها تستاذنها الجلوس رفعت راسها ونظرت اليها وقالت : تفضلي

شكرا قالت بعد صمت وهي تنظر بعيني اماني وقد وضعت نظارتها الشمسية جانبا قالت:الم تعرفي من انا

- لا عفوا لا اذكر انني قد رايتك قبل هذه المرة لكنني لاحظت انك ترمقينني منذ دقائق اتعرفينني؟

- اجل اعرفك انت اماني الاحمدي صحفية من قناة المقاومة وابنة الضاحية اليس كذلك

- مبلى لكن من تكونين

- منى انا منى

صعقت امال بمجرد سماعها لهذا الاسم ولم تصدق انها تكلم حبيبته بعد كل هذا الوقت,قالت:

- انت حبيبة مجتبى؟

- وتدرين ذلك ايضا؟

- اجل اعلم ذلك جيدا وما الغريب قفي ذلك

- منذ متى تعرفين مجتبى

- وهل اتيتني اليوم لتحدثينني بشأنه إساليه سيجيبك

- اماني اسمعيني اتيت اليوم فقط لأقول لك كلمتين وذاهلة

- تفضلي

- فلم تجيبيني

- لا يعنيك ذلك ولن يفيدك بشيء

- اسمعي اماني (وضعت يدها على فمها وابتلعت غصة كادت تجعلها تبكي) ربما تكونين قد اغريته ليتبعك لكتنني اريد ان اقول لك ان الرجال على قدرة كبيرة من الخيانة التي لا نمتلكها نحن جنس حواء فها انت ترينه بعد عشر سنوات من حب وارتباط بيننا اصطدم قلبه بحبك....ربما معك انت ايضا وبعد عشر سنوات تجدينه يحب واحدة اخرى يفضلها عنك

- منى اسمعيني جيدا اعلم انك غاضبة لذا تقولين هذا لكن حتى لو كان مجتبى يحبني كما قلت فانني لم ولن احلم يوما بكسبه او سرقته منك حبي له كان حب مراهقة ولا انكر الى اليوم انني احبه ولم انساه ولم يغادر قلبي لكنني كنت قد رحلت منذ ست سنوات لاجلك لاجل الا افسد حياته وعلاقته بك.

-تعرفينه منذ ست سنوات؟

-اجل ومن قبل ان يعرفك واذا تطلب الامر اليوم ان اكرر ذلك الرحيل سافعل ولاجل نفس السبب وانصحك ان تحافظي عليه لانك لن تجدي من هو افضل منه اما عن حبي له فليس ذلك خيانة منه وليس ذلك غريبا عن قلب رجل فانك تدرين جيدا اننا النساء اذا احببنا رجلا نكتفي به لوحده وننتظر ان نجد فيه كل م نحلم به لكن الرجال ليسوا مثلنا هم لا يمكن لقلوبهم ان تكتفي بواحدة بل يظلون في كل امراة يبحثون عن شيء لم يعثروا عليه في امام المراة التي قلبها فمجتبى مؤكد انه قد احبك لانه وجد فيك شيئا لم يجده في بقية النساء قبلك ووجد بي شيئا لم يعثر عليه معك وربما في الغد يعشق بعدي ولا يمكن لامراة التحكم في قلب رجل اما عني فاقول لك احتفظي به واحذري التفريط فيه فهو لا يزال وفيا لحبك انا ساعود لبلدي بعد ايام وال اظن ان لي عودة الى سورية بعد هذا فليهنئكما الله وليديم عشرتكما ادامك الله واياه بخير.

قامت منى من امامها ولم تنبس حرفا.... غادرت المقهى وبقيت امينة تنظر اليها متألمة لمرورها بموقف كهذا مع حبيبة حبيبها ووضعت وجهها بين يديها وكادت تنفجر بكاء ...عاد مجتبى وهي على ذلك الحال جلس اليها مبتسما واذا به يلاحظ تبدل ملامح وجهها ...قال

- مابك اماني ؟

- لا شيء لو سمحت اريد المغادرة

- لماذا ؟ لا يزال لدينا وقت للاستمتاع

- لا من فضلك اريد المغادرة الان.

-حسنا هيا

***

ركبت معه السيارة وأوصلها الى الفندق حيث مررت بقية يومها باكية في جناحها لا تصدق ما حصل كيف يكتب لها القدر ان تلتقي بمنى وتتحدث اليها بعد كل هذه السنوات التي كانت تعرفها فيها ومنى لا تعلم كيف لهذا ان يحصل ؟ بقيت على سريرها باكية " لم اتوقع يوما ان التقي بتلك التي لطالما حسدتها على امتلاكها اياك تلك التي يستهويني ان اعرف نسبة حبها في قلبك واعرفها جيدا لكن لا ارغب في التصديق تلك التي كم تملكت الغيرة قلبي يوم قلت يوما عنها "يارب لي فتاة اريد افناء حياتي لاجل اسعادها يا رب لا تحرمني منها" وقلت ايضا " يوم نظرت اول مرة في عينيك لم اكن اعلم انني انظر لعينين لن ينساهما

قلبي" تلك التي تملك قلبك بين كفيها وتغريك ميدعتها البيضاء ورائحة العقاقير والادوية العالقة بها تلك الممرضة المحفور اسمها في كل ضلع منك تلك التي تعمل في مشفى باسل الاسد للامراض القلبية المشفى الذي زارته والدتك اثر تعكر صحتها للخضوع لعملية قلبية قبل يوم فقط من اليوم الذي جئتني به وتعرفت فيه الي وقلقت كثيرا عليها لحظة سمعت القصة لا ادري اكانت صدفة ام لا فقد كان اخي نفس تلك الفترة قد دخل الى المستشفى للعلاج جراء تعرضه لشدة التعذيب من قبل اعوان سجون العدو يوم اتيت وحدثتني لم تكن حال كلينا بخير ولا اظنها اليوم ستكون كذلك اذا انا بقيت وخطوبتك لم يبقى لها عدا بضعة ايام.....

"اه ما اكثر الواجبات في هذا الزمن وما اقل الحقوق... ما اكثر الابطال وما اقل البطولات... ما اكثر الاعياد وما اقل السعداء"

محمد الماغوط

...كان واقفا امام النافذة ناظرا الى النجوم مناجيا السماء التفت ونظر اليها كانت بعباءتها السوداء على طرف الاريكة ممسكة بمسبحة بيضاء بين يديها ووجنتاها الورديتان يفضحان خجلها امام سحر مقلتيه الغامضة قال له -لماذا عدت الى الشام ولم تبقي في النزل في اللاذقية؟ هل من العدل ان اضطر للقدوم الى الشام لرؤيتك ؟

- اردت العودة الى بيتي

- لكننا اتفقنا على ان تبقي هناك كي نلتقي بسهولة انت دائما تغيرين قراراتك بين لحظتين لا لعلم ابسبب مزاجك ام لعدم رغبتك في رؤيتي ...لماذا تصمتين ؟ ها قد جئت الى الشام لاجلك رغم عدم انتهاء اجازتي.

- كتر خيرك والله

- الا يعنيك مجيئي ؟

- انه سواء

- جلس امام رجليها ووضع راسه على ركبتيها ضمته الى صدرها ووضعت ذقنها على راسه محاولة تقبيله دون ان يشعر ...قالت:

- ما بك ؟

- لا شيء ..متعب يا اماه

قالت:

- افرغ ما بداخلك علك ترتاح انا اذن صاغية اليك.

- -انني مذ عرفتك لم اتمنى الا لو انني لم اعرف واحدة قبلك لا اعلم ما الذي يجعلني اشعر نفس الشعور الذي يراودني عندما اكون مع امي

- لكنني اذكر انك قلت مرة انني اتمنى افناء عمري لإسعادها يا رب لا تحرمني منها " اين ما قلته اليوم؟اذهب سدى؟لم يذهب لازلت على وفائي لها لكن انت لا تعلمين انك الوحيدة التي تفهمني واقرب من الاقربين الي

- وكيف ذلك؟

- انت من ستقولين لي كيف لك ان تفهميني دون ان انطق بكلمة ؟

- الا تشعر بذلك معها

- لا بصراحة

- اذا ما العمل ؟

- هل لك ان تخونها او تغيرها ؟ انك لا تقدر

- اعلم انا مستعد لأعطيها بلا مقابل لكنني نفس بشرية تحتاج للعطاء ايضا لا ان تعطي فقط.

وهل لا تعطيك هي ما تريد؟

- انني اجد عند كل منكما شيئا لا اجده في الاخرى لنا انا متمزق بينكما

- لا ادري ما الذي يجعلني اشعر انك اشبه بصبي لا يزال بحاجة للارتماء بحضن امه

- الم اقل ان لا احد يفهمني غيرك نعم انني كذلك ولم اكتشف ذلك قبل ان اعرفك كيف وانت تصغرينني بعشر سنوات استطعت ان تشعريني بحنان امي ان لم تكوني استثناء عن بقية الاخريات

(وضعت ذقنه بين اصابعا) وقالت:

- وكيف استطعت وانت تكطبرني بعشر سنوات ان تاخذ مكان ابني في قلبي ؟

ما الذيب يحدث بيننا؟

رفعت راسه باصبعيها وجعلت عيناه توازي عينيها:

- انك تسلبني حناني الذي عزمت الا اهب منه لاحد خاصة لو كان ذكرا.

- ربما اتيت حتى اخرج ما بداخلك واتيت انت حتى تكشفي عن وجهي الخفي

- -يمكن ذلك ...(قامت وابتعدت واقفة امام النافذة فجلس على الاريكة مكانها) – اردت الليلة ان اخبرك شيئا مهما

- على فكرة قبل ان تفعلي الم تطالبي مني ان اتي لك البوم صوري عندا كنت طفلا صغيرا ؟

- اجل

- ها قد اتيت لك خذيه

- اخذت تتصفحه بعد ان جلست على الاريكة التي تحت النافذة واتى بانبها يشاهده معها اخذت تبتسم مع كل صورة تراها – ما اجملك !

- تسلمي

واصلت التصفح حتى رات صورة لرضيع يرتدي لباسا ابيض وهو يضحك بين يدي امراة تحمله...قالت:هل هذه امك؟

- اجل ام مازن ما رايك بها ؟

- توقعت

- ماذا توقعت؟

- تشبهك تماما لك هي جميلة

- اجل امي جميلة وضحوكة ودائما الابتسام لكن حياتها لم تكن تشبهها امي تعذبت كثيرا وتحملت الكثير في حياتها

- ورغم ذلك احسدها

- علام ؟

- انني اعتبرها محظوظة جدا

- اقول لك تعذبت وتقولين محظوظة جدا؟

- يكفيها سعادة انها انجبت شبلا كالذي يجلس بجانبي

(نظرت الليه وابتسمت فبادلها الابتسامة) انني اعتبر النساء اللولاتي ينجبن رجالا كما انت لسن عاديات... انهن عظيمات.

- الهي يحميها ويديمك لالها لقد وهبها الله جوهرة خالصة

- تسلمي

- وضعت الالبوم جانبا وقالت:

- على كل شكرا لتلبيتك لطلبي

- عفوا فنعد الى سالف كلامنا ماذا كنت تريدين ان تقولي لي ؟

- اسمع لقد دعوتك الى بيتي الليلة لاخبرك شيئا مهما وعليك ان تفهمني جيدا وتسمعني حتى اكمل...(تقف وتبتعد)

- قولي اسمعك

- اردت ان اقول لك اني رغم كل شيء سابقى سعيدة بمعرفتك لكن اتعلم ماذا اصبح ععلينا ان نفعل؟

- ماذا؟

- ان نفترق

- ماذا؟ لماذا؟

- لانها لعبة مستحيلة ولايمكن ان تنهي الا بفراقنا... ان كل مانفعله هو كسر للمنطق وانا امراة لا يمكنني التخلي عن عقلي لاجل قلبي

- لماذا لا تعترفين بما في قلبك؟لماذا لا تقولين ماتريدين قوله وعيناك تفضحانك؟

- كيف تجرؤ على قول هذا بكل ثقة ؟

- اتنكرين ذلك

- اجل انكره لانني وان كنت افهمك واعطيك مالم تجده في امراة اخرى فلانك صديقي لا اكثر وهذا لا يعني بالضرورة حبي.

- اذا لماذا لا تفعلين ذلكمك مع بقية اصدقائكّ

- صمتت وبقيت تنظر اليه وقد احمرت وجنتاها حتى اصبحتا كريحانتان تقطران خجلا وحياء وعبناها تلتمعان وهي تنظر اليه وتتساءل اتعترف له وتستسلم لقلبها ؟ وليس ذلك ماتريده

- اذا لم يكن قلبك يحبني لما اذن كل هذه الرعشة والتوتر والحياء في تصرفاتك؟ اليس لانك تخفين ما تشعرين به تجاهي؟ انك تعذبين نفسك وتكبتين مشاعرك وعليك ان تتقوفي عن فعل هذا.

- اسمع جيدا ....حتى لو كان قلبي احبك فان عقلي رفض ذلك ولن اعترف حتى وبلو شعرت بما تقول

- تعجبني ثلابة شخصيتك لولا انك توظفيننها في غير محلها.

- اسمع انت حالم حالم وخيالي ولانك مدلل فانك عندما تتمنى امتلاك شيء تسعى اليه دون التفكير بمن حولك...تجرفك رغبتك دون منطق وعقلانية ان ماتريده احلام غير ناضجة واعود لسابق كلامي اصبح علينا ان نفترق.

- لم اكن يوما اتوقع انك ستكونين كالبقية لقد اغرقتني بحنانك واهتمامك لتتركينني في النهاية كترك الافلاك لاصحابها وجعلهم يغرقون

- امسك بزنديها فتملصت منه كن علي ان عنوة

- انه ليس اختياري عليك ان تعلم انني لا اريد ذلك لفعله ...احيانا يصبح علينا في الشوط الاخير من اللعبة الانسحاب ورمي الاحجار امام القدر حتى لايتقدم نحونا فيسقط جميع احجارنا نصب اعيننا

ونخسر بمذلة...ان لك حبيبة لن تفرح بعدها اذا ما تركتها... لن اسمح لنفسي بالدخول في حياتك وافسادها...خطوبتك بعد اسبوع...ستبقى قصتنا المستحيل الذي لن يحدث ابد...فالاحلام جميلة لكن علينا الا ننتشي بسكرتها كي لا تصفعنا صحوتنا على الواقع...ليست خطيئتي ان كنت احببتك في وقت عاشت فيه بلدك تحت وطأة الحرب...ليس لي ذنب في كل مايحدث...ماذا عساي افعل اذا كانت الحروب عواصف تأتي فتأخذ بطريقها كل ما بأيدينا الى النهاية...لتجردنا كل شيء وتتكرنا على حافتها عراة غير محملين بشيء عدا الذكرى...كنت الاستثنائي الوحيد...كنت ذاك الذي حلمت طوال عمري بالحصول عليه...لانني الفتاة التي حلمت دوما بالحصول على شيء استثنائي لم يحصل عليه احد قبلها ...كنت كذلك...للكنني ما احببتك لو دريت ان الاستثنائي يتعبنا الى هذا الحد..يجرحنا الى هذه الدرجة من العمق...يتسبب لنا في الالم لنبقى ننزف بعده طويلا كجريح حرب لم يأخذ حقه في الشفاء بعد...لم ادر ان الاستثنائي يسبب فينا كل هذا الدمار بمجيئه...ويترك فينا كل هذا الخراب برحيله...كنت وستبقى الاستثنائي الوحيد...لكن دم الحرب قد لطخ حضورك وجعلن يكطفل عاجز عن الخروج من تحت الانقاض بمفرده...لقد حرمتني اياك الحرب...فلا يمكنني الحصول عليك ولا امتلاكك ولا التفرد بك ولا ان اجتمع واياك تحت سقف واحد او انجب لك اولادا اعلمهم كيف يحبونك حتى العبادة ويعشقونك حتى التوحد بك ويعبدونك حتى الفناء..وانا الوحيدة الاقدرة على ذلك...لطالما كتمت غيرتي من بذلتك التي تلبها وانا الاحق ان اكون لك لباسا..انا الاحق من كل امرأة بصناعة سعادتك لامك وحدك من صنعتها في قلبي ...لكنني عندما احببتك كنت خارج المكان والزمان والمنطق..كنت فقط تحت وقع الرغبة واللهفة والشوق وعشقك المباغت الذي يأتي دوما كأنه قد أتى للمرة الاولى...تعلم جيدا انه لا يحق للمرأة غير السورية الزواج من عسكري سوري...لم بقائي اذا؟

- حسنا اذا كنا لا نقدر على ان نكون في بيت يجمعنا سويا لم لا نحيا علاقة عاطفية مع بعض ثم نترك بعضنا في سلام.

- اتقصد لم لا نقتل بعضنا ثم نهرب فجأة كالاطفال؟

كم تراها تبقى هذه القصة اذا عشناها؟ متى تنتهي؟ كيف ستكون؟ مانهايتها؟ وكيف سنرحل بعد الوصال؟ اعلم انك تجيد صنع النهايات اكثر مني وتقدر على تحملها اكثر من قدرتي على ذلك ! لكن اتظن ان الفراق بعد الارتباط هو بهذه السهولة ؟ أي خراب سنتركه في لقبينا ؟ أي حطام سنلحقه بروحينا؟ اتذكر يوم سألت حبيبة محمود درويش شاعرها "متى نلتقي" فأجابها "بعد عام وحرب" فسألته "ومتى تنتهي الحرب "فقال "حينما نلتقي"

.....كان فقط يهبها املا واهما بأن تبقى على انتظار...وان تتأمل الياسمين حتى يجف الدم عليه ويعود ابيضا ويقطف من جديد لتفوح بعبقه شوارع الياسمين التي لطالما رصعها ببياضه...ان تبقى على انتظار

انتهاء الحرب كي يعم السلام وتسقط البواريد ارضا مفرغة من رصاصاتها وتطلق رصاصات التبشير بالنصر منذرة بعودة السلام...على انتظار ان يغمرها الحب من جديد وهو على يقين تام بأن ذلك يحصل وان ان الامل احيانا يكون كاذبا بإمتياز وندفع ثمن املنا اعمارنا المهدورة قهرا جراء حرب لم يكن ذنبنا فيها عدا ان ربيع عمرنا صادف خريف اوطاننا عن غير قصد...انه ليس ذنبي ان يصادف عشقي لك هذا الوضع في بلادك...فيوم درست واجتهدت ونجحت لم تدرك انك ستكون في الغد عسكريا ويوم احببتك لم ادرك انه سيكون لبلادك عمر اسود ستحياه على حساب شبابكم...علينا ان نفترق فالحرب لن ترحمنا...ولن تعلن انتهاءها لاجلنا...

- ستنتهي لا تقلقي...

- ستنتهي لكن ستبقى تعصف بكل شيء يداخلنا اثر انتهائها طالما انها حرمتنا اغلى ما نملك... ان عاصفة الحرب لا تنتهي لحظة اعلان السلام لان خرابها سيمتد في نفوسنا الى الابد...انها لن تنتهي الا لحظة موتنا ورحيلنا في سلام...لاشيء يدمر الحب بقدرما تفعل الحرب...لذا فلنبقي على حبنا سرا في القلوب...ولنخبأه جيدا في ارواحنا كي لا تطاله ايدي الحرب...فلنبقي عليه في مكان امن فإنه كطفل جميل ان عثرت عليه الة الحرب ستقتله...لا اريده ان يموت يكفيه الما جراءها...

- لو كنت اعلم انك ستصفعينني بكلام كهذا لما اتيت الليلة

- كنت ساخبرك سواء اتيت ام لا انه قدرنا وعليك ان ترضى

- اتجه نحو الباب وقد تجمدت شفتاه وعجزتا عن النطق وهو ينظر اليها بنظرات استغراب مما حصل معه في ليلة لم يتوقع مرورها في حياته...كاد يخرج فنادته فالتفت اليها قالت

- نسيت البومك

- خليه عندك

نزل من بيتها غاضبا ماسكا دموعه وقد غص بكلماتها التي نزلت على قلبه كضربة قاصمة اوجعته غير عابئة بما تركته في صدره...عاد الى بيته يكاد فؤاده يتفطر مما بلغه من خبر مشؤوم لم يتوقعه فهو قد عاش صبيا مدللا يحصل على كل ما اراد وهاهو يشعر ان الدنيا بدات ترفضه وتلفظه خارج سلمها الزمني ...اتراها سعادته تنتهي هنا؟ اتراه اول حجر في رقعة احزانه؟ ام ان متاعبه لن تتوقفهنا؟

غادر بيتها وقد غاصت الارض تحت قدميه ماذا يفعل كي يكسبها؟ ايخطفها؟ اينفصل عن منى لارضائها ؟ ايهرب بها الى وطن لا يسرق احلامه منه؟اين لا تلاحقه حرب تتربص بنبضات قلبه |؟ ايكون نسيانها هو الحال؟ لم ينم ليله يفكر ويتساءل ويحدث نفسه ايكون الحل في الركوع امامها والبكاء على قدميها؟

مذ خرج من البيت انهارت "اماني" على الارض وخرت باكية ...كيف تمكنت من اخراجكلمات كتلك امام حبيب قلبها ؟ سهرت في غرفتها تبكي طوال ليلها...تتوسل قلبها ان يلفظ من دخل اليه في لحظة غفلة هي تحبه وهو يعلم ذلك لكنها تعرف ان عشقا كاسرا للمنطق خارقا للقدر لن يكون مصيره الا الانتحار على حبال واهية ...حب لا يمكن ان يكون وسط حرب حرمته حق الحياة...كيف لهما ان يقلبا الصحون على مائدة الحياة فيغيرا كل ما يحصل حولهما؟

- قدر لهما ان يجتمعا ويتحابا لكن لم يرد لهما امن يسعدا ماذا عليها ان تفعل ؟ وهي الان في دهليز ما بين الجنة والنار ؟ ما الطريق لخروجها من الجحيم الذي رمت بهاما فيه لعبة قدر لم يجيدا فكها...

- سهر كلاهما تلك الليل يتساءلان أي حظ هذا الذي جمعهما وأراد لهما الفراق ...كانت منى تتصل به ليلة كاملة وهو يرى مكالماتها ويأبى اجابتها... يتمنى لو انه يرد عليها امرا إياها بمغادرة حياته...لكنه لا يمكن ان يجرح فتاة احبته وما سعدت يوما الا بوجوده جانبها...فتاة قد اختارها وأحبها ولا يزال...اما عن اماني قررت مغادرة الشام بلا عودة ونسيان ذلك الشخص وأنها عرفته يوما...لأنها تدري ان بقاءها سيسبب له المشاكل وسيفتضح امرهما...لذا عليها انقاذ الامر سريعا والإفلات من ورطة غير محسوبة العواقب...ثم اغمضت عينيها ونامت على دموعها بعد بكاء طويل.

***

كانت الساعة السادسة صباحا وقد افاقت لتجهيز حقيبتها التي لم تأخذ وقتا طويلا ولاشيء يملاها عدا العباءات...غادر بيتها متجها نحو " مطار دمشق الدولي " هي تدري انه سيأتي على عجل وان عليها ان تسبقه في الرحيل ... كانت قد نامت الساعة العاشرة واستيقظت صباحا لتجده قد بعث لها برسالة هاتفية الساعة الحادية عشر والنصف كتب فيها " انتظريني الساعة الثامنة صباحا سأكون عندك" لكنها مرت عليه بنظرة ووضعت هاتفها في حقيبة يدها وخرجت لتغلق الباب بإحكام وتنزل وكأنها تذهب الى عزاء قلبها ممسكة دموعها كاظمة حزنها ولوعة فراقها له في صدرها ...هي لا تريد ما تفعله لكنها مجبرة على فعله عادت الى الجنوب تاركة كلما فعلته وتمنته وراءها بعيدا عنها عادت وقد قررت عدم العودة الى سورية مجدا بقية حياتها ولم يكن يعلم انه ستفعل ما فعلته...ذهب الى بيتها فلم يجدها وعلم انها غادرته...بقي يكرر اتصالاته به وزيارته لبيتها حتى مر ثلاثة ايام ولم يعلم عنها شيئا...قرر انتظارها علها تعود لوحدها...هو لا يصدق الى الان اتراها جادة في ما قالته تلك الليلة ؟ احقا هي لا تهتم لغيابه الى هذه الدرجة ؟ احقا هو سهل الفراق لديها الى هذا الحد؟

***

كان يوم خميس نفس اليوم الذي راها فيه لاول مرة...وذهب لعمارتها غير يائس من امكانية لقائها صعد الدرج ودق الباب مرتين ولم تفتح خرجت ياسمين من البيت المحاذي وقالت

- مرحبا

- اهلا

- هل انت مجتبى؟

- اجل

- اجئت لترى اماني؟

- اجل منذ فترة وانا اتصل بها واتي الى بيتها دون معرفة شيء عنها انت من تكونين؟

- انا ياسمين جارتها وصديقتها اردت ان اقول لك ان اماني قد عادت الى لبنان واوصتني اعطاءك هذه الرسالة؟

- ماذا ؟ اتركت بيتها؟ اغادرت سورية؟ متى سافرت؟

- منذ ثلاثة ايام

- لماذا لاتجيبني على اتصالاتي؟

- لقد غيرت رقمها

- اعطني رقمها الجديد ياسمين ارجوك

- انها لم تعطني اياه ووعدتني ان تتصل بي عند وصولها والى الان لم تفعل

- اقرات الرسالة؟

- لا لست ممن يفعلون ذلك رسالتك امنة من اعز صديقاتي وقد وصلتك ...عن اذنك

بقي مذهولا مما سمعه ونزل الدرج وهو لا يكاد يستوعب صدمته لقد خذلته...تلك التي ترجاها ألا تفعل ذلك وفعلته لشدة خوفها وعم جرأتها على المغامرات غير المحسوبة العواقب وكان هو جريئا يعلن الحب امام الملا يعشق المغامرات ويكره الجبناء واللذين يرفضون ان يغامروا او يخاطروا معه لكنه لم يفهم انها فتاة لا يمكنها المغامرة بكرامتها...ركب سيارته وفتح الرسالة التي كتب فيها

"اخي مجتبى

اتمنى ان اقول عزيزي حبيب قلبي لكن لا يمكنني قول ذلك لشخص ليس لي انني اعتذر اذا كنت خذلتك لكن كان علي ذلك رغما عن ارادتي فنحن لسنا لبعض ...اتمنى لك حياة سعيدة سواء مع منى او غيرها حفظك الله ...فقط اردت أن اقول لك لطالما احببت امك وتمنيت تقبيل جبينها ويديها رغم انني لم ارها لكفي انها من انجبتك قبلها نيابة عني ...سأظل اقنع نفسي دوما انك في حياتي كي لا اموت قهرا"

مع السلامة الى الابد...اماني

تمزق قلبه بكلمات تلك الرسالة توقف تفكيره ورفض ما كتبته فيها فمزقها ...لم يزل كذلك حتى اتت اليه ياسمين راكضة من العمارة تناديه:

- مجتبى خيي مجتبى

- ماخطبك؟ ماذا تريدين؟

- لقد نست ان اعطيك شيئا ارادت اماني اهداءه لك

- ماهو؟

- انه هذا تفضل

اعطته من شباك سيارته الايمن شيئا مغطى بغلاف احمر اشبه بهدية...قال لها:

-اتعرفين ماذا في هذا الغلاف؟

-لا لا اعرف طلبت مني امينة ان اعطيك اياه اذا اتيت

-الم تقل لك شيئا عني؟

قالت:

-بلغي له سلامي وانني سابقى متشرفة بمعرفته

-شكرا

-عفوا عن اذنك

بقي ناظرا في تلك الهدية هنيهة متعجبا ماذا تراها وضعت له فيها وضعها على الكرسي الجانبي وغادرت وهو لا يكاد يفهم شيئا مما فعلته عاد الى بيته ليرى ماذا وضعت له في تلك العلبة واذا به يمسك بدفتر صغير بين يديه كتب عليه..." بلا عنوان"...عرف انها رواية من كتابتها ...لم ينم ليلته وهو يتمعن كلمات ذلك الدفتر يقراها يتفرس في ما بين سطورها عله يدرك لم كتبتها؟

اتراه كان يعرفها ؟ احصل شيء بينهما مسبقا؟ ا

تراه راها قبل ذلك اللقاء الصحفي له معها في "داريا" ؟

اذا كان قد حدث ذلك فعلا فلماذا لم تخبره؟ لماذا كتمت امرها؟

اكمل قراءة تلك الرواية صفحة تلو اخرى ...وانتهت الرواية بفقرة في اخر صفحة من صفحاتها كتب عليها " هذه الرواية التي دفعت ثمن كتابتها عشر سنوات من فقدانك ...شكرا لانك جعلتني اككتب كل هذا"

ما كاد يغلق الكتاب حتى وجد وردة جورية حمراء بعد الصفحة الاخيرة وورقة بيضاء كتب عليها

"ما امتع الايام التي قضيتها معك لسنة ! لسنتي هذه وسنة مثلها مرت منذ زمن لا تذكره ...لقد كتبت هذه الاسطر كي اثبت لك وفائي الذي لا يقهره الزمن ...اتذكر انني قلت لك يوما " اعلم ان الصدق الاخلاص اهم شيء لديك"...لقد اضعت حجر الصدق وقت كذبت لكن بقي لي حجر الاخلاص لاتمام اللعبة كم كنت اخاف وانا اكتب روايتي هذه الا انصفك ان اظلمك وابرئ نفسي ان لا اقول عنك ما يجب ان يقال او ان اكملها ولا يزال لي ما اقول ماذا سافعل حينها بكل مالم اقله لك وعنك؟كم خفت وانا اكتبها ان تقع الاخيرات ممن سيقرانها في شراك فتنتك ...لقد اردت الرحيل اليوم دون ازعاجك ولم ارد ان يبقى لك شيء مني غير اغلى ما املك وهو هذا الكتاب الذي بين يديك...الذي لم اكتبه بقلمي انما بدم قلبي ...لقد كتبت روايتي هذه كمن يرمي رسالة في بحر علها تصلك وتعمدت تسميتها بلا عنوان لان حكايتي معك كانت بلا عنوان وانني ما طلبت من الله بعد كتابتي كتابي هذا الا ان يصلك واتمنى ان يكون قد وصلك

ياسيدي يا مجتبى؟ عديدون من كتبت لأجلهم الروايات ونظمت لأجلهم الاشعار وخطت باسمائهم القصائد التي اعجب بها الملايين ومع ذلك هم لم يقدروا من كتبها لأجلهم وربما لم يعرفوا ذلك اصلا ولم تمنحهم الحياة فرصة قراءتها وما اصعب ان نكتب شي ندري جيدا ان الجميع سيقرؤونه الا من نريد له ان يفعل ...عديدون اولئك اللذين كتبنا لاجلهم اوراقا باشياء لن يقرؤوها وسجلنا لهم شرائط بكلام لن يصلهم ولن يسمعوه....ويال حسن حظي لو وصلتك هذه الرواية وامسكتها بيديك وتصفحتها وقرأت سطورها وما بينهم وعرفت من تكون انت فيها !لأنك عندها ستعرف من تكون بداخلي وستذكر زمنا بعيدا مر به كلينا وخانته كلتا ذاكرتينا فطويناه بين صفحات النسيان... اتعلم ماهو الوجع يا مجتبى؟...الوجع ان تصبح اجمل ايام حياتنا قصة قتلناها على كتاب ... لكم خشيت افتضاحي وانا اكتب روايتي هذه ربما اصابت مي زيادة عندما قالت لجبرانها " ربما على المراة الا تقرا ولا تكتب" واخيرا اريد ان تعذرني عما كذبت فيه في روايتي هذه ...فقط اتمنى لك ان تقرأها وتتذكرني لاغير...

طوى الورقة ...اغلق الكتاب...عرف انها تلك التي فارقها منذ عشر سنوات وراها وكلمها وأوقعها في حبه ثم لفظها تلك هي ابنة الجنوب التي فعل بقلبها ما فعل منذ زمن منذ تلك اللحظة لم يتوقف عقله عن التفكير ...بقي اياما يزور الاماكن التي رافقها اليها وهو يلاحق طيفها بحثا عن صوتها ...عن نظراتها المسروقة منه..اقترب موعد خطوبته من منى اقترب موعد ارتباطه من تلك التي لم يعد يدر الايزال يحبها ام لا ؟ وهو لا يزال يصارع آلامه واوهامه بداخله بصمت كما تعود ان يفعل طيلة حياته ...اتى يوم خطوبته عائلته في بيته تحضر التجهيزات وهو كان قد استيقظ صباحا قبل ان ينهض احد وغادر البيت ولم يعد وهو يتمنى ان يحلق فورا فياتي امام اماني ويهرب بها الى حيث لاتتربص بهما عيون احدماذا تراه يفعل ؟ وقد اتى اليوم الذي سيصبح فيه سجين تلك الورقة الثبوتية التي ستتحكم بقلبه لا فقط حياته.

استيقظت "ام مجتبى" صباحا فلم تجده في فراشه اتصلبت به فقال لها :

- انا عند اصدقائي يا امي ساعود -بعد حين

بدؤوا بتنظيم البيت وقد اجتمع اهله واصدقاءه وجيرانه قال باسل

- اين ابن العم يا خالتي ؟ ان يكون معنا في يوم فرحه؟

- لقد قال انه مع اصدقائه وسياتي بعد حين

- فلننتظره اذن

اتى المساء والكل في البيت ينتظر وخطيبته قد حضرت وهو لم ياتي بعد هاتفه خارج الخدمة الحاضرون يتبادلون نظرات التعجب فمن سيعقد قرانه مع الفتاة غائب ماذا سيفعلون؟

قالت ام مازن لحيدر:

- يا ابني الم يجبك؟

- لا يا خالتي هاتفه خارج التغطية

- واشحاري وين بدو يكون راح؟

- هدئي من روعك يا خالتي لابد ان ياتي قريبا

كانت خطيبته جالسة بجانب والدها تنتظر قدومه مذهولة مستغربة ما يحدث ...لا تجد تفسيرا لغيابه وتاخره...ماذا تراه دهاه كي لا ياتي ؟ قالت لعلي: ماذا سنقول للناس ان لم يأت ؟ ماذا سنفعل مع اهل الفتاة؟ الله يهديك يا ابني وين رحت والهفتي واخجلي قدام الناس.

- اهدئي يا خالة عله يأتي قريبا
- الله يستر مايكون حتصل معوش شي
- اطمئني سيكون بخير

همس اب منى في اذن ابنته:

- ما به تأخر يا ترى؟
- لا اعلم يا ابي
- الا تعرفين رقمه؟
- بلى يابي

- اتصلي به اذن لعل شيئا ما منعه من المجيء

اخذت هاتفها وفعلت ما امرها به والدها فلم يجب ...قالت "خطه مغلق يا ساتر يارب ايكون بخير؟"

مرت ساعة والجميع في انتظاره في بيت منى ولا جاء ولا احد اتى بخبر عنه

***

"هذا الحب كان شيئا غريبا على اجساد لم تعرف من قبل ان النظرات بإمكانها ان تشطر الذاكرة الى الف جزء."

ادهم الشرقاوي

اما عن اماني فمنذ عادت الى لبنان وعيناها لم تتوقفا عن ذرف الدموع حتى غارتا وذبلتا وشحب وجهها.

مذ عادت لم تتوقف عن الكتابة محاولة اخراج كل ما بداخلها...محاولة نسيان ما حدث بقتله على الورق ..لكن ان نكتب لا يعني اننا قد اخرجنا ما بداخلنا فالكلمات لم تكن يوما دواء انما محاولة للعلاج ...الكتابة هي محاولة منا للخروج عن ذواتنا وحياتنا هي محاولة لعيش اكثر من حياة واحدة وتقمص اكثر من شخصية واحدة نختلقها لنحيا حياتها عوضا عنها ...كتاباتنا ليست الا محاولة لافاضة اوجاعنا في حبر الاقلام

فتحت الراديو فجاة لسماع اخر الاخبار ...فسمعت اغنية "انت حبيب ضحكاتي" واغلقت مذعورة تلك هي الاغنية ذاتها التي سمعتها لاول مرة عندما ركبت معه في سيارته في طريقهما الى البحر وكانه خرج لها من الراديو فجاة حتى يقول لها انت حبيبة ضحكاتي ...ذعرت من ملاحقته اياها حتى باغنية

دائما في قصصنا العاطفية الفاشلة وفي محاولة لا مجدية للجوء الامني لنسيان من احببنا نعزف عن زيات الامكنة التي رافقناهم اليها...نحرق صورهم...نقطع رسائلهم....نمحو ارقامهم من هواتفنا...فتصعقنا اول اغنية سمعناها معهم...فمع كل محاولاتنا اليائسة تظل ذكراهم محفورة على قلوبنا لانهم لم يخرجوا منا مذ غادروا في لحظة لم نكن نتوقعها نفارقهم ونقول مع الايام سننساهم...وتبقى قلوبنا تعتصر الما وحرقة على غياب لم ندرجه في قائمة حساباتنا...

ونبقى كمن يحترق حيا ولا يموت ...نواصل ممارسة زرع بنا حزنا سكن ضلوعنا وانزف قلوبنا لسنوات ...هكذا هم الاحبة يرحلون وكانهم لم يكونوا يوما ولا يبقى منهم الا صورهم العالقة في ذاكرتنا ..ونبقى نموت لاجل فراقهم كموت النهار على غياب الشمس...

نحن لا نختار من يدخلون الى حياتنا ...لا نعرف ما سيكون مقامهم اثر ذلك الدخول ..كيف سيخرجون ومتى؟انما فقط نستقبلهم على بساط فاخر واذا بهم يسحبونه من تحت ارجلنا ليتركوننا واقفين تحت واقعة خروجهم في لحظة مباغتة...

نقول " اليوم سندفنهم في مقبرة الاذاكرة ونواريهم تحت ثرى النسيان دون ان نضع اسمائهم على قبورهم ودون ان نعلن عليهم الحداد او نلبس لاجلهم السواد...

لن نبكي رحيلهم ولن ننعى فراقهم بعد اليوم هم ليسوا اوكسجينا تتوقف بدونه الحياة هم ليسوا اكثر من خطأ عابر في حياتنا يجب الا يتكرر... واذا بنا نكرره كل لحظة باسترجاعنا لذكراهم ...ان الفراق هو

نوع امن الموت نمارسه اثر غياب من نحب ...وكل مرة نفارق فيها احد احبائنا هي موتة لنا...نفقد فيها جزءا من روحنا...لكنها موتة بنفس طويل نبقى نحتسيها حتى اخر نفس فينا وتبقى تتكرر حتى الرحيل الابدي...

اولئك اللذين أسكنناهم قلوبنا وغلقنا عليهم الابواب وأغرقناهم في عتمة اعماقنا حتى على يطلع على وجودهم احد...لو اطلعوا على قلوبنا لوجدوا انفسهم يتربعونها لكنهم ابوا إلا ان يخرجوا منها ...رغم محاولاتنا جعلهم اجمل شيء في حياتنا ...ابوا الا ان يكونوا سطرا اخر في كتاب اوجاعنا..لا نتذكر اليوم الذي اقتحموا فيه ساعاتنا للكننا سنذكر دوما اليوم الاخير لهم في حياتنا...

بقيت ببيتها يومين بعد انتهاء اجازتها لم تقدر على الخروج او التوقف عن البكاء والنحيب وندب قدرها...اتراها ذهبت الى العذاب بقدميها ؟اتراها من فعلت ذلك بنفسها يوم ارتضت لنفسها ان تعود فتراه وتلتقيه وماذا عساها خسرت الان بما فعلته؟ هي تدري ان لا وصال بينهما ويستحيل لذلك ان يكون ...ربما تكون قد كسبت قلبه في بضعة لقاءات بينهما...ويستحيل لذلك ان يكون..ربما تكون قد حققت مالم تقدر على فعله منذ زمن اضافة الى ذلك هو قد اخذ روايتها الان ...وربما يكون قد فهم كل شيء وعرف من تكون اذا ماذا عساها خسرت بفراقه؟ اكان عليها ان تنتقم منه قبل العودة الى الضاحية وتركه؟ اكان يجب عليها انصافا لقلبها ان تعذبه وتكيد له سوءا؟ لكنها لم ترد له السوء يوما...لذا ارادت الخروج من حياته بهدوء ...

لم تقدر على العودة الى عملها وهي بين بكاء وكتابة وانقطاع عن كل شيء...لاتزال على ذلك الحال حتى اتصلت بها زميلتها "فاطمة" فأجابتها قائلة:

- الو

- الو اماني

- اهلا فاطمة

- عزيزتي اين انت كل هذه الفترة وكيف حالك هل انت بخير؟

- اجل انا كذلك

- لقد مر يومان على انتهاء اجازتك ولم تعودي احصل معك شيء؟

- لا انا فقط مرهقة قليلا

- مابك؟اانت بخير؟اتحتاجين مساعدة؟اخبريني سالبيك

- لا يا عزيزتي اطمئني ساعود في الغد باذن الله

- حسنا نحن بانتظارك لا تغيبي اكثر اشتقنا اليك

- حسنا عزيزتي شكرا الى اللقاء

قررت في صباح غدها طوي تلك الصفحة بعودتها لعملها ونسيانه ونسيان ما حصل معها ومواصلة حياتها كان شيئا لم يكن ... فلا جدوى من البقاء حزنا في بيتها باكية عليه ناعية فراقه كما فعلت منذ عقد...هو ليس من يستحق ذلك منها... هي لا يمكنها نسيان ما فعل بها بلا رحمة وليس ما فعلته معه بشيء مقارنة بتعذيبه لها ولا مبالاته بمشاعرها يوم اخلف وعده وخذلها وتركها غير عابئ بما يمكن ان تشعره وتقاسيه بغيابه....

ليس من يفعل بها ذلك بجدير بالشفقة او الحب او العطاء....استيقظت في صباحها باكرا للعودة الى عملها...واكتست جميل حللها واتجهت نحو القناة فرحة بعودتها مشتاقة لزميلاتها وزملائها....في طريقها نحو صفحة جديدة من الحياة....

"كم ذرفنا ليلة الرحيل..من دموع ثم اعتللنا خوف ان نلام بالمطر...

مطر..مطر"

بدر شاكرالسياب

اولئك اللذين احببناهم وكنا قد تعهدنا على انفسنا اننا لن نعيش اذا ما رايناهم....لن نعيش اذا فارقناهم...واثر فراقهم نكتشف اننا نعيش بطريقة عادية وأحيانا مما كنا عليه عندما كنا معهم...لنكتشف انهم لم يكونوا يعطوننا الاوكسجين كي نعيش وأنهم ليسوا اكثر من سطر في كتاب حياتنا قد وضعت نقطته وابتدأنا سطرا جديدا....

والوجع اننا لم نعرف يوما ماذا كانوا في حياتنا...اهم نزوة عابرة ام حب ام صداقة ام خطأ عابر في حياتنا لا يجب ان يتكرر؟ فقط رحلوا ليبقوا حلما يراودنا كل ليلة لنبقى نغفو كل ليلة على امل رؤياهم في منامنا...

دخلت القناة كي ترجع لعملها وتبدأ صفحة من حياتها تطوي بها صفحة اخرى لا جدوى من بقائها....رحب بها الجميع من زملائها بحفاوة بعد هذه الاجازة التي كانت فيها وما علم احد ما حصل معها فيها...اتى اليها حسن وقال:

- هلا اماني كيف انت؟

- اهلا حسن الحمدلله

- اين كنت كل هذه الفترة ؟ اغادرت الجنوب ؟

- اجل لم اكن هنا

- اين ذهبت كل هذا الوقت ؟

- كنت في زيارة الشام

- مؤكد انك استمتعت الصائفة جميلة في الشام؟

- استمتعت؟ اجل كثيرا

- اماني

- نعم

- انني ادعوك للعشاء الليلة بعد انتهاء ساعات عملنا.ما رأيك؟

- عشاء ؟ لماذا ؟ ما المناسبة ؟

- بمناسبة عودتك من الاجازة

- اعتذر عن عدم قبولي ...حسن...اطلب منك تأجيل ذلك اذا كنت مصرا على دعوتي لو سمحت.

- ولماذا التأجيل ؟

- انا مرهقة هذه الفترة وليس بي ارادة لمغادرة منزلي لولا ان عملي يقتضي ذلك.

- خير انشاالله مابك ؟

- مجرد ارهاق سوف ينقضي باذن الله .... لا تهتم.اتمنى ألا يزعجك رفضي.

- لا ابدا المهم ان تكوني بخير.

- شكرا حسن

- انني اطلب لقاء كاتبة صحفية هنا تدعى امينة ....ايمكنني ايجادها ؟

- اجل انتظر هنا قليلا ساطلبها اليك

...كمن ينتظر موته على مرض وقف منتظرا لقائها على ياس ايجاد حل ينهي الفراق بينهما

-اماني هناك من يطلب لقائك عند باب الدخول

-من هو

-لم يقل

-اقال ماذا يريد

-لا لم يقل شيئا عدا طلبه رؤيتك

ادركت اماني انه لحقها الى مقر عملها خمنت في طريقها اليه ماذا ستقول له ؟ اتعترف له بحبها ؟ ام تسرد عليه قصة انتقامها ؟ هي التي قررت نبذه من قلبها وحرمت عنه العودة لحياتها ...تدرك جيدا انه اتى اليوم في حاولة يائسة للرجوع لكنها تعرف جيدا كيف سترجعه....خرجت مستجمعة في قلبها نقمة عشر سنوات من الفراق والحنين والالم الذي اشربها من كأسه بيده...اليوم يحين وقته ليشرب من يدها من نفس ذلك الكأس وقعت عيناها عليه فانحبست انفاسها في حضرة مقلتيه كعادتها هي يبقى ذلك العشق العتيق يبعثر مشاعرها امامه....وقفت كمن يقف امام عدوه حتى يميته بين يديه.

قالت بجفاء : مرحبا....ما الذي اتى بك الى هنا؟ ظننت نفسي انهيت هذه القصة بتلك الرسالة التي تركتها لك عند ياسمين الم تتسلمها؟

- بلى اعطتني اياها وقراتها ....اتدرين ماذا فعلت بها ؟

- ماذا؟

- مزقتها

- ولم فعلت ذلك؟

- لانني لا اقبل بوداعك

- ستقبل يوما ما رغما عنك وستنساني وتواصل العيش بدوني

- تعلمين جيدا انه لا يمكنني ذلك ... اتعرفين ما المناسبة التي في بيتنا اليوم ؟

- ماهي ؟

- خطوبتي من منى ... تركت البيت واهلي وخطبتي لاجل الا يحدث وداع بيننا وتقولين ستقبل به يوما ؟ لن افعل ذلك مادمت حيا واعرفك.

- تعرفني ؟ انت لم تعرفني يوما

- ماذا تقصدين؟

- اسمع الان لدي عمل كثير ولا يمكنني البقاء وقوفا هنا للتحدث معك

- متى يمكنني مقابلتك؟

- انهي عملي الساعة السادسة ...انتظرني في مقهى "ليالي بيروت" هناك وساتي

- سافعل لا تتاخري

- لن اتاخر اذهب الان

- الى اللقاء

كانت الساعة السادسة مساء وقد تزينت شوارع الجنوب بالاضواء ... دخلت المقهى كان جالسا يفكر في كلمة قالتها " انت لم تعرفني يوما" ماذا كنت تقصد؟ هو الذي كان على يقين دائم ان وراءها سرا ما...جالسا الى الطاولة بثقة ...احس وكأن اللحظة قد حانت لشيء ما..قال:

- لماذا فعلت هذا ؟ لماذا غادرت ولم تقولي لي ؟ ماذا تقصدين بأنني لم اعرفك يوما ؟

- استغرب من ضعف ذاكرتك....ألم تفعل الم تعرف بعد من اكون ؟

- من تكونين؟

- الم تتذكر يوما تلك الفتاة الصغيرة ابنة السادسة عشر عاما التي احبتك فرفضتها ورحلت ....ترجتك البقاء فلم تفعل لعبت بقلبها وعواطفها كما ينبغي لك.

- اماني؟

- اجل انا هي تلك الصغيرة العاشقة التي قتلت فؤادها بأقسى كلماتك...رحلت وتركت قلبها خاويا اتت اليوم لتأخذ القصاص لذلك القلب.

- عرفت ذلك من روايتك...لقد شعرت كلما سمعت صوتك ونظرت في عينيك طيلة هذه الفترة انني اعرفك قبل هذا....هل مازلت تذكرين كل ذلك بعد كل هذه السنوات؟

- ربما لا تصدقني اذا قلت انني لا اعلم كيف وجدت نفسي في ضيعتك؟ ما الذي اوصلني اليك وجعلني القاك بعد كل هذا الوقت عرفت يومها ان اصبح كاتبة ....عل الشهوة توصلني الى من فقدتهم وقد فعلت...على غيابك كان الحبر ينتحر على ورقي وكان قلبي يموت حبا وحبي يموت وجعا يوما ما سينطق قلبي امام الله عما فعلت به...كيف طعنته بسيف غدرك ومزقته قهرا وقطعته وجعا....انت لا تعلم ما حدث في غيابك بيننا ...طيلة ست سنوات اصبحت عاشقة صوتك تلك التي علقتها على جدران قلبي...كنت اقبل جبينك كل صباح وليلة..اشبعت شفتيك قبلا على تلك الصورة التي كانت سبيلي الوحيد اليك هكذا هم الاحبة يرحلون وكأنهم لم يكونوا يوما ولا يبقى منهم الا صورهم العالقة في ذاكرتنا....كالشمس التي تشرق يوميا على الارض...لا يمر علينا يوم دون ذكراهم اشبه بالشمس خلف الغيوم ...يطلون علينا ولا نراهم...طيلة عقد من الزمن بقيت اسال نفسي اتراك ذكرتني بعد رحيلي اتراه مكاني في ذاكرتك بقي شاغرا ؟ ام ان هناك من ملاه ؟ اهناك من اتت بعدي وانستك اياي ؟ طيلة عقد من الزمن بقيت ذلك الحاضر الغائب في داخلي لم تفارقني لحظة ...كنت تأكل معي وتشرب معي...تتنزه معي وتشاركني سهري...ثم تضع راسك على وسادتي وتنام بجانبي ...امرر اصابعي بين خصلات شعرك كل ليلة حتى تنام بحضني فأغفو على نعومة انفاسك....تنهض صباحا معي ترافقني اينما ذهبت ...كنا نسهر سويا ونضحك ونلعب سويا ونمزح سويا...كنت اضحكك كل يوم اقف الى جانبك فرحت لفرحك وحزنت لحزنك وبكيت لبكائك واعالجك في ساعة مرضك...كل ذلك كان يحصل في مخيلتي حتى تعب تفكيري بك ولكنني لم امل يوما مرافقتك...انما ازداد لهفة للالتصاق بك في كل مرة ...اظننت ان برحيلك سأنسى انك كنت يوما في حياتي ؟ انت لم تعلم انني جعلت روحك تسكنني ...سرقتك اياها دون علمك...جعلتك لي بيني وبين نفسي...بعدك بقيت احيا على لهفة اللقاء وحرقة الانتظار ونزعة الانتقام وسنوات الهدر السائب في عمري...بقيت اعيش على الخسارات المتتالية دون ايجاد أي تعويض دون المقدرة على التجاوز والبدء من

جديد...عادة ما نخسر من نحبهم لا لاننا لم نجد الحفاظ عليهم...انما لاننا احببناهم جدا فسرقتهم منا الحياة...كنت يوما اجمل مافي حياتي....وبعد ان التاقيتك عدت للتربع على عرش قلبي بعد ان كنت هدفه.

- لماذا عدت بعد كل هذه السنوات ؟ بعد ان ظننت انني اصبحت في الصفوف الخلفية من ذاكرتك او محيت منها...

- اتيت لاخذ القصاص لقلبي...ولم اقدر سرعانما وجدت نفسي اغرق بك من جديد كما كانت اشتد بها بكائك وغرقت عيناها بلجج الدموع قالت بصوت مختنق...لماذا فعلت بي هذا ؟ جعلتني كمن يحترق حيا ولا يموت اتجرع الموت في غيابك على مهل ولا اكاد اسيغه

- لانني احبك

- قالت مستغربة..اومن يحب فتاة يفعل بها ما فعلت ؟

- لانني لا اقدر على مصادقة فتاة احبها كان الافضصل لك ان ترحلي...لقد اردت تملكي وأحسست وقتها انني اريد جعلك تدفعين ثمن حبك لشيء ليس لك.

- اردت ان تجعلني ادفع ثمن حبك ؟ أي انك اردت ان تجعلني اندم وتذلني وتنسيني اليوم الذي نظرت فيه اليك وتمحو اسمك من على قلبي ...اظننت انك ستفعل ؟ غرورك ليس في محله ...ليست المسالة بهذه البساطة لست من اذل بهذه السهولة.

- ولست من اهزم بهذه السهولة

- ولست من اعلنت عليك الحرب انت من حارب قلبي وهيهات من قلبي الذلة

- ربما لا تصدقينني اذا قلت لك انني كنت اخافك.

- تخافني ؟

- لما قلت لي يوما "قراءتك اصعب ما يكون " اخفتني وما خفت يوما من انثى...لقد كنت اتعرى امام كلماتك ...كنت اشعر انك تنبشين ما بداخلي بحروفك وان روحي صفحة شفافة بيت يديك ومازلت لا ادرك سرك في ذلك ولم اكن من اقبل ذلك...لم اقبل ان اخسر نفسي لانني كنت اتجرد منها امامك و انت طبعا لم تفهمي قولي عندما قلت لك " المهم الواحد ما يخسر حالو" لقد ندمت وحاولت الاعتذار منك لكنني لم اجد سبيلا الى ذلك ولم اسمع عنك شيئا بعد ذلك. ووكيف تريد مني العودة لشخص اذلني؟

- ندمت.

- ندمت ؟ لن يغير ندمك هذا شيئا !

- انا اعتذر عما سببته لك بعد كل هذا الحب لي

- او لا تعلم ان الاعتذار في مرحلة ما لا يجدي نفعا...لن يعوضني اعتذارك وندمك عما قاسيته برحيلك....امضيت عقدا من الزمن اتمنى فيها لو كنت بندقيتك تلك التي تقبل بها اعدائك التي تحتضنها بيديك وتداعبها باصابعك ثم تنيمها بجانبك...لطالما كتمت غيرتي من تلك البذلة الخضراء التي تسرقك مني امام عيناي وانا الاحق بك ...لطالما تمنيت لو كنت مني...لو كنت امك...اختك...امراة ما في حياتك...لانني سعيت طويلا ان اكون امراة بين اناث في قلبك...لكنني فشلت فعوضت عن فشلي ذلك على روايتي هذه ...جعلتك بطلي وقتلتك انت الذي كل ما اردت قوله لك ولم اقله جعلته رواية انت من مزقت كياني بمخالب قسوتك وامتصصت روحي الما برحيلك وجعلتني اتجرع موت الفراق ... حتى صرت جسدا خاليا من كل ما يمكن ان يجعله انسانا اجردته احاسيسه سعادته وكل ما يملك...خسرتك وساظل اخسرك لكنني ربحت وسابقى مسيرة ادبية باكملها...لولاك لما كتبت حرفا واحدا...انت لم تكن تعلم انني لم اكتب يوما الا لاجلك لا بحثا عن مكان لي في قائمة النساء حولك...انت ظننت ان غيابك سينسيني اياك لكنه غرسك في قلبي اكثر ..اتصدق ؟ لم احبك يوما الا كأبي كأخي كابني لكنك عندما طلبت رحيلي افسدت شيئا ما في قلبي...لم اجد نفسي الا احبك حب امراة لرجل...فاصبحت اخاف نفسي حينها...هربت منك الى النوم...الى القراءة...الى الضحك...الى العبادة...الى النسيان...ظننتهم سينسونني واذا بي اجدك معي في كل ما اقوم به اجد نفسي ادعو لك في صلاتي واكتبك على ورقي واراك في احلامي ... كل ذلك كان يحصل معي ولم تعلم بشيء منه...لقد رضيت ان اعطيك كل هذه السنوات من عمري لانني اعرف انك الاحق بها...جعلتك رجلا بين ذكور وجعلتني انت كالاخيرات ... انت لم تكن تعلم انني لست كبقية البنات...ان لم عجب بك لاجل زيك العسكري ولا لاجل جمالك ووسامتك ومكانتك الاجتماعية....اولئك الغبيات اللاتي يدعين حبك وهن لا يعرفن عما بداخلك شيئا....انا لم اقع بك الا بعد قراءتك...ككتاب جميل انت وجدت نفسي اعيد قراءتك والعودة اليك اكثر من مرة ...لكأني اسد رمق حاجتي اليك...لكنني كنت في كل مرة ازداد ظمأ للاحتساء من انهار غموضك والغوص في اعماقك فلم اجدك الا تجف امامي وفجاة وتتلاشى لتتركني احيا على البكاء على اطلالك

- لم تخبريني بعد ما سبب غيابك المفاجئ يومها ؟ لماذا لم اجد لك اثرا بعد ذلك ؟ ماذا حدث بينك وبين زهرة يومها؟ لماذا لم تفهميني شيئا ولم تخبريني بشيء ؟

- زهره ؟ زهرة هي من كانت السبب في خسارتي اياك...هناك اناس دخولهم الى حياتنا انذار لأكبر خساراتنا ....كثيرون هم اولئك اللذين يسببون لنا الالام دون علم منهم...ويزرعون بداخلنا الوجع لسنوات بتصرفات طائشة منهم لا يذكرونها حتى...ويكونون السبب في فقداننا لأعزائنا واغلى من عرفنا ...والشخص الوحيد الذي حرصنا على الحفاظ عليه والبقاء معه دون علم منهم.....في النهاية هم لن يقدموا لنا تعويضات عن ذلك...ونحن من كنا الخاسرين...(نظرت اليه بحدة) ان يتسبب احدهم في جعلك تخسر

اغلى من لديك دون علمه اهناك اغبى من هكذا اناس ؟ كنت تقول ان زهرة غالية على قلبك ...وكنت انت اغلى من املك..وتسببت في فقداني لك وخسارتي لك واحتسائي مرارة ذلك لسنوات حتى سكن الوجع قلبي واستفرغ الحنين روحي...ولا احد يمكن ان يعوضني عن تلك السنوات الضائعة من حياتي في بعدي عمن احببت وشوقي الدائم اليه وعذابي الذي لم يشأ ان ينتهي يومها قالت لي

- من فضلك مجتبى خط احمر لا تزعجيه.

- فضلت خسارتك على خسارة كرامتي...انا انثى عنواني كبريائي لا اتخلى عنه كي اكسب احدا.

- لماذا لم تقولي لي عما فعلته بك وقتها ؟ اهروبك كان افضل ؟

- انه ليس بهروب لم يكن بامكاني اخبارك يومها وانت لم تعطني فرصة حتى للتفسير لك ماحدث اما عنها فلم تكن تعنيني لانها لم تكن بصديقتي ...اما ع انت فلم اتوقع منك مارفعلته يوما...وجعي انك خيبت ظني بعدما وضعت بك كل ثقتي...تلقيت ضربة قاسمة من اعز الناس واحبهم الي...ومنذ لحظتها تركت امري لقدري...لكن تعلمت الا اضع بيني وبين من احب احدا ولا اضع في طريق وصولي لما اريد أي وساطات ... اليوم تحقق لي ما اريد وهو جعلك تغرق بعشقي بعد ان عزمت على الانتقام منك بذهابي لداريا وتصويري تلك الحصة التلفزية.

- وها قد وصلت لي واغرقتني عشقا ماذا تريدين بعد هذا ؟

- لم يعد ذلك طلبي ولا بغيتي ....اتذكر يوم قلت لك لا اريد ان اخسرك فقلت "عادي المهم الواحد ما يخسر حالو" انا اليوم لا اريد ان اخسر نفسي...لا اقبل ان اخضع لك اليوم قابلة تاركة كلما ورائها بهذه السهولة....اليوم قد انتهيت منحياتي وانتهت قصتك على دفتر ذكرياتي ... عندا كنت غائبا كنت اقول سيأتي يوما يعود فيه كل شيء كما كان والآن وقد اتى وشارف على العودة صعب علي تقبله ... احيانا تعيد لنا الحياة اشياء تمنيناها سابقا واليوم لم نعد نريدها".

- بقي امام كلماتها مصدوما مذهولا متدهورا مابين مدها وجزرها مابين حبها وحنانها ونقمتها وقسوة كلماتها لا ينطبق بكلمة تريد شفاهه اخراج الحروف فتبتلعا...تجمدت شفاهه من وقع ما سمع..قالت الست انت القائل ان رجال الدنيا لو اجتمعوا جميعا واجمعوا ذكائهم لن يكونوا ادهى من انثى واحدة ؟ بقي دهائي مخبئا عشر سنوات لأجل هذه اللحظة واليوم ارتاحت نفسي وانتهى كتاب اوجاعي وقفت وحملت حقيبتها وقالت

- انت رواية ختمتها بقلمي

غادرت وتركته جالسا الى طاولته محاولا استيعاب ما سمعه اما هي فعادت الى بيتها تكاد تسقط ارضا مما قالته وهي لا تكاد تصدق كيف جرؤت على قول ذلك هكذا هي تتقن امامه فن التمثيل تتظاهر بالقوة

والصلابة بعدم الاكتراث رغم كل قواها المنهارة تصعقه بكلماتها تدمر كيانه وتدري لا يريد الرجال احدا يمس من كيانهم يبعثر مشاعرهم عادت الى بيتها مشرفة على السقوط ارضا استغربت من نفسها من اين لها كل تلك الكلمات ؟ ربما لا يحتاج المرء للقوة كي يسترد حقه الذي ضاع بين يديه امامها الكلمات المؤثرة يخرجها منا الالم الانهيار الكبت حتى تطهر الروح ويصفى القلب وينثر العقل ما تبقى من غبار ذكرياته السوداء هي تدري انه ذلك الذي تعود مقاومة ما يرفضه بالعفن والمحاصرة والانتقام لكنها تعلم جيدا بانه يضعف امام من يحب وقد فعل وضعف امامها فتجلد ولم يتحرك من مكانه لساعات مرت عن رحيلها كاد قلبه ان يتوقف عاد الى بلاده مصدوما مذهولا مما سمع وعلم بينما حاولت اماني منع نفسها من ان تبقى على ذكراه او تبقى متاثرة بما حدث وحصل محاولة اقناع نفسها ان ذاك ما كان عليها ان تفعل ولا يمكن ان يكون للقصة نهاية غير هذه فهي لم ترد يوما ان تدمر حياته او تتسبب في عذاباته وهي تدري ان لا حل لها غير ان تنسى اما هو فعاد لضيعته مخذولا غير مصدق لما حصل وما عاشه عاد مفكرا ماذا له ان يفعل الان مع منى وهو قد خذلها يوم فرحها ولا تدري حتى سبب فعله ذاك ماذا عساه يقول لها ... اوقف السيارة على احدى ارصفة الطريق بعد ان طلبت اليه انتظارها هناك انتظر نحو الربع ساعة واذا بها تاتي وتركب بجانبه وهي مرتدية نظارات شمسية تغطي عينيها وهي صامتة حتى قالت

- لماذا اتصلت بي ؟ ماذا تريد مني ؟

- منى اردت ان اعتذر منك عما فعلته

- تعتذر ؟ لا يمكنك توقع شدة خيبتي في هذه اللحظة لا يمكنك تخيل مدى وقع الصدمة التي الحقتها بي نذالتك انا التي اعطيتك من عمري كل هذا الوقت كل هذه السنوات حتى تخونني يوم فرحي ؟ اكان هذا جزائي؟

- منى انا

- هل تظن انني لا اعلم بقصة تلك الفتاة التي تصغرك بعشر سنوات التي تعمل في لبنان وذهبت للقائها يوم خطوبتنا لماذا لم تتزوجها وتأتي بها للقرداحة؟ الم تفضلها علي لماذا لم تعلن عن حبك لها امام الملأ؟ الست انت الذي لا تخاف شيئا ؟ ولا تخجل من حبك لاحد؟ أأتيت اليوم حتى تحاول ارجاعي لمهزلتك؟ اتظنني حمقاء الى هذه الدرجة ؟ لقد اصبحت دعوتي اليك مستحيلة مادمت حية انت الذي اخسرتني من عمري كل هذه السنوات عبثا وانت الذي افسدت فرحي وخنت حبي لك ونسيت ايامنا وسعادتنا حطمت احلامنا وكل ما عشناه وبنيناه بلحظة. انك لم تعد تستحقني كي ابقى معك اكثر اتمنى عدم رؤيتك بعد هذه اللحظة.

نزلت من سيارتها واغلقت الباب بكل مافيها من غضب وصدمة وخيبة ورحلت تاركة ايامها واحلامها وذكرياتها معه ورائها . ما الذي يحدث معه ؟ كان قد خسر امسينة في السيارة ثم انفصل مع منى ,,,

وصعر اسه على المقود صابا عليه جميع همومه واحزانه ...اليوم قد غارت الارض تحت قدميه وضاع لحياته العنوان خاسرا كل شيء بعد كل هذه السنوات هكذا هي الحياة احيانا وعندما نوشك على الفرح ونسيان ماقد مضى تصعقنا بارجاعها لصفحات من الماضي تفسد بها مواصلة حياتنا او القدرة على المضي من جديد ترجعنا لها لتصفية الحسابات لا اصلاحا لحياتنا انما افسادا لها اكثر..ذلك ان الماضي ليس صندوقا مغلق انما صندوق مفتوح اضعنا مفتاح غلقه

بقي تحت وقع صدمته امام ما حصل له ومر به وعاشه دون ان يقدر على تغيير شيء منه كيف لهذا ان يحصل كيف لانثى نسي منذ فترة طويلة انها مرت وتفعل به ما فعلت ولم ترحل حتى جعلته يخسر اغلى مايملك ... اتذكر يوم قالت له " انشاالله ماتذوق حرقة خسارة اغلى شي " وهاهي تذيقه بعد كل هذا الوقت هذه الحرقة فلم ينل منها شيئا ولا ظفر بمنى....لم يجد بدا من البقاء حزنا في بيته والبكاء على ما حصل معه وابقى اصلاح ماحدث بيد الزمن وعاد من اجازنه لساحة المعركة عل عمله ينسيه ما عاشه وعل الزمن يصلح ما افسدته يد القدر

*****

مر شهر....

دخل حسن الى قسم الاخبار وقال: اماني لقد تغيبت فاطمة اليوم هل بإمكانك تقديم نشرة الاخبار عوضا عنها ؟

- اجل طبعا سأفعل

دخل نبيل احد الزملاء وقال:

- لقد وصلنا خبر عاجل الان

- ماذا هناك؟

- لقد نفذ الارهابيون كمينا للجيش في صحنايا راح ضحيته عديد الجنود.

(حسن): اللهم ارحم ارواحهم وابدانهم

(اماني) :الله اكبر ... لقد حان موعد النشرة وعلي ان التحق بقسم الاخبار.

(حسن) : لا تنسي إعلان عن هذا الخبر العاجل ونحن سنعرضه على الشاشة

(اماني): حسن

اكملت اماني عرض النشرة وأنفاسها منقطعة .....المنطقة التي حصل بها هذا الكمين هي المنطقة التي يقيم فيها ايكون قد حصل له شيء ما.

قالت في نفسها في لحظة ارتعاد"يا رب اسمعني عنه كل خير" دخلت وقالت:

- شباب اوصلتكم صور اولية عما حصل ؟ ألديكم قائمة اسماء الشهداء ؟

(نبيل): وصلت قائمة اسماء الشهداء وسننقل بعد حين صورا اولية لا يزال مراسلونا يصورون من على عين المكان مباشرة.

- قالت وقد ارتعشت اطرافها وبرد الدم داخل جسمها

- اعطني القائمة

افتكت من يديه الورقة وراحت تتفرس فيها فوجدت اسمه بين سطرين ووقعت مغماة

(حسن) اماني اماني ما بك ؟ استيقظي.

(نبيل) اماني استيقظي ماذا اصابك؟

***

كان الثامن والعشرين من ايلول.....

نزلت من سيارتها ماشية كتائهة وقدميها ترتعدان غير مصدقة خبر موته حتى اللحظة ة يسري خوفها في جسدها فترتعش حتى تكاد تسقط ارضا من رعبها...دخلت المقبرة تجوب باعينها اسماء القبور كباحث عن روحه بين الموتى...تبحث عن حبها الشهيد بين اللحود...وجدت قبره بين قبرين لشهيدين من عائلته علي وحسن ووجدت صورته بين اكليلين من الورود الحمراء المهداة لشهادته...وقفت امام قبره وقد تصلبت عيناها امام اسمه....الان فقط صدقت انه اصبح بصفوف الساكنين بالسماء....زادت رعشتها وغارت عيناها بالدموع وهي تكذبهما على ما رات ...رمت بنفسها على قبره وقد اختنق صوتها حتى لم تقدر على اخراج اهاتها فغص حلقها بصرخة لم تقدر على اخراجها...اكتفت بالبكاء الصمت وهي تقبل صورته وتضمها حتى تغسلها دمعا وتدفنها بحرارة في حضنها وقد وضعت هي الاخرى اكليلا من الرياحين على قبره وقالت : "اتذكر انني قلت يومها : اليوم انتهت قصتك على دفتر ذكرياتي .... اليوم غادرت قلبي ؟" لست اكذب الا على نفسي ياسيدي حتى اجعلك تنساني ...انت لم تغادر قلبي يوما...

بقيت مرمية على قبره تبكي ولم تقدر على ابتلاع شهقاتها ...وقف امامها ابن عمه عمار ...احست باقتراب خطواته منها رفعت راسها فوجدته امامها ...قالت له : "البقية بحياتك" وهي تمسح دمعاتها

قال : - تعيشي . وجلس قبالتها يقرا الفاتحة على روح ابن عمه ...بقيت هي جالسة امامه تنظر اليه.... ثم قالت :

- ليته يسامحني لقد استشهد غاضبا مني ليس بي حزن اكبر مما لقيته بمصرعه.

- لا تقلقي ان قلب ابن عمي ابيض ورحب سيسامحك ... يال حرقة قلوبنا على فقدانه وحبس دموعه.

- كان غالينا وكبيرنا واميرنا كلنا....الله يرحم روحو ويقدسا.

- امين.

- ابو ياسر.

- نعم؟

- ابامكاني ان اطلب منك شيئا؟

- تفضلي

- أتعطيني بدلته العسكرية ؟

- لماذا ؟

- اريد ان اصلي عليها كي يصل ثواب صلاتي الى روحه عل الله يتغمدها بجميل رحمته.

- لديه اكثر من بذلة سأعطيك واحدة منهن.

- ركبت واياه السيارة الى بيت مجتبى واخذ البذلة وأعطاها اياها من امام الباب .... قال لها : 6 احتفظي بها جيدا.

قالت :

- شكرا جزيلا ان لك علي فضلا لن انساه

قال :

-فداكي يا غالية

اخذت تلك البدلة وقبلتها واشتمت ريحه العالقة بها وضمتها الى صدرها...ركبت سيارتها عائدة الى الجنوب ...بقي ينظر اليها من بعيد وقال في نفسه :

-أي عاشقة انت ؟ !

"كيف لي بعد الان ان اكون الراوية والروائية لقصة هي قصتي والروائي لا يروي فقط لا يستطيع ان يروي فقط انه يزور ايضا بل انه يزور فقط ويلبس الحقيقة ثوبا لائقا من الكلام ولذا فان كل روائي يشبه اكاذيبه "

-احلام مستغانمي -

كنت اعيد قراءة هذه الرواية التي كنت قد اخذتها الى دار النشر منذ ستة اشهر عندما....

يتبع